مجموعة نقشجم العلميّة

إصدراة رقم (٧)



الرسائل الميرغنية

رسائل فى الذكر والآداب والسلوك والتصوف

يحتوي على سبع عشرة رسالة

تأليف

السيد عبدالله الميرغني المحجوب

السيد محمد عثمان الميرغني الختم

السيد جعفر الصادق الميرغني



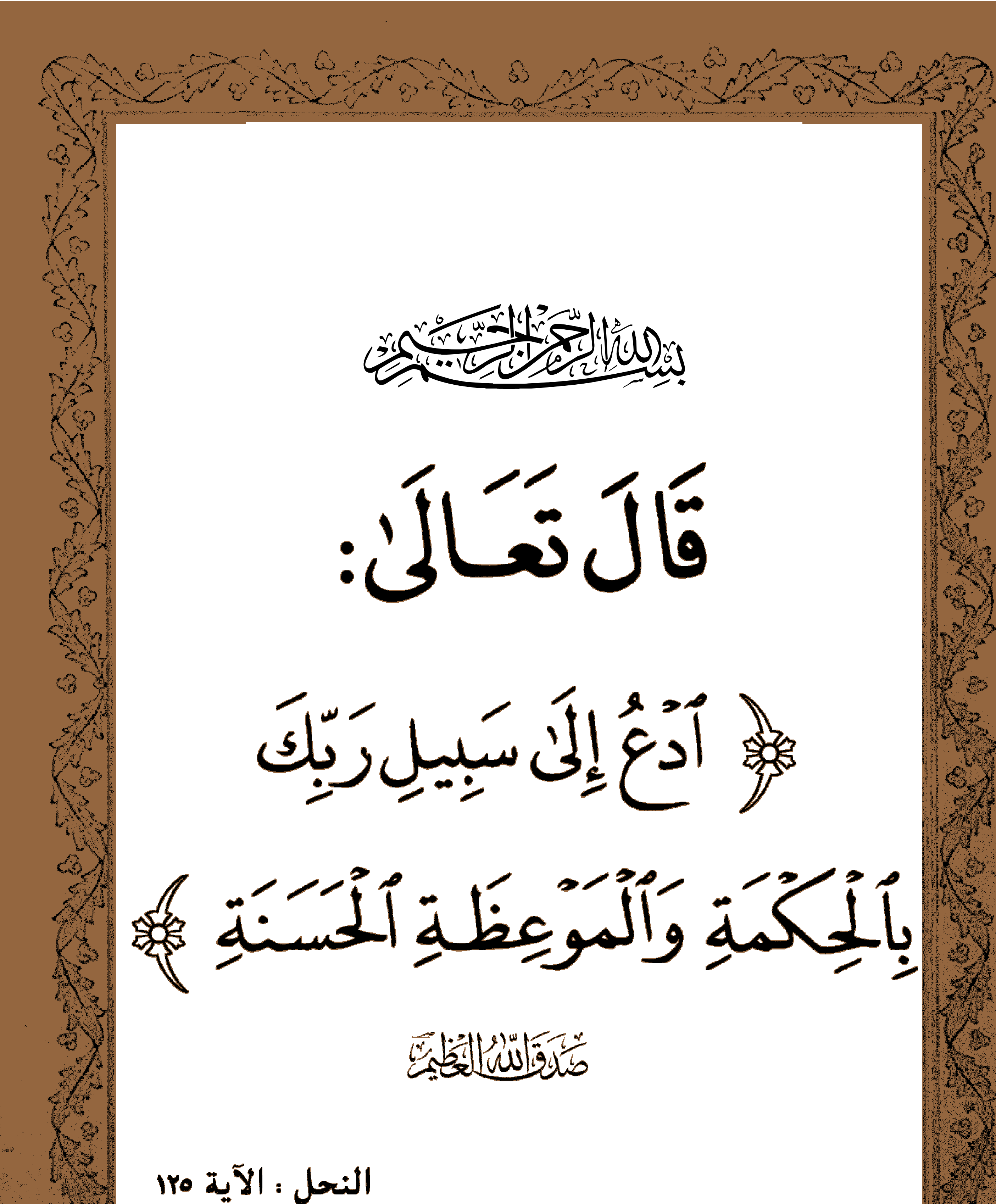
رسائل فى الذكر والآداب والسلوك والتصوف

يحتوي على سبع عشرة رسالة

تأليف

السيد عبدالله الميرغني المحجوب
السيد محمد عثمان الميرغني الختم
السيد جعفر الصادق الميرغني

محرم ١٤٤٠هـ - سبتمبر ٢٠١٨م


بسم الله الرحمن الرحيم
قَالَ تَعَالَى:
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ
بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾
صدق الله العظيم
النحل : الآية ١٢٥

المُحتَويَات

يحتوي على سبع عشرة رسالة

١

المنن الكبرى من الله
في بعض فضائل لا إله إلا الله

تأليف

السيد عبد الله الميرغني المحجوب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ للهِ الحنَّان المَنَّان بلا إلهَ إلا الله، والشُكر لله المُتّفضل بمحمدٍ رسول الله، ورسل اللهِ وأحزاب الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله صلّى وسلّم عليه الله .

وبعد: فهذه (المنُّ الكُبرى من اللهِ ببعض فضائل لا إله إلا الله)، جمعتُها للحثّ عليها، وللتحريض والندب إليها والاستغنام من الغنيمة الباردة، والارتشاف من مناهلها العذبة الواردة، ولتحيي بذكراها موات الأشباح، ويقال بمبراها: حيَّ على الفلاح حيَّ على الفلاح، ورتّبتُها على أربعة أبواب وخاتمة .

الباب الأول : في فضلها

أما فضلها فثابت في الكتاب والسُّنة والأثـر:

أما الكتاب :

فقد ذكرها الله تعالى في سبعة وثلاثين موضعاً:

قال الله تعالى:

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ ﴾ .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾.

﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾.

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾ .

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ ﴾ .

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

﴿ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ .

﴿ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ .

﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾ .

﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ .

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ .

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ .

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ .

﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ ﴾ .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ﴾ .

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴾ .

وأما من السُّنة :

فروى الإمام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي، عن ابن عمر رضي الله عنهما: (بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله إلخ الحديث) . وروى الترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : (أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله) . وفي رواية: (أفضل الحسنات)، وفي أخرى: (ما من الذكر أفضل من لا إله إلا الله)، وفي غيرها: (أفضل ما قلت أنا والنبيُّون من قبلي لا إله إلا الله) .

وروى الديلمي في الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أفضل العلم لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الاستغفار) .

وروى أحمد والشيخان عن أبي ذر عن النبي ﷺ: (ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق، رغم أنف أبي ذر) .

وروى أحمد والشيخان، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عنه ﷺ: (يا معاذ بن جبل ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله صادقاً من قلبه، إلا حرّمه الله على النار، قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ ، قال: إذاً يتكلوا) .

وروى أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجة: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة) . وروى الديلمي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إذا قال العبد لا إله إلا الله؛ خرقت السموات حتى تقف بين يدي الله تعالى فيقول: اسكني، فتقول: كيف أسكن ولم تغفر لقائلي، فيقول ما أجريتك على لسانه إلا غفرت له) .

وروى الخطيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (ما قال عبدٌ: لا إله إلا الله مخلصاً؛ إلا صعدت لا يردها سحاب، فإذا وصلت إلى الله تعالى نظر إلى قائلها، وحقَّ على الله ألا ينظر إلى موّحد إلا رحِمه) .

وروى الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (ما قال عبدٌ: لا إله إلا الله مخلصاً؛ إلا فتحت له أبواب الجنة حتى تفضي إلى العرش، ما اجتنبت الكبائر) .

وروى الخطيب عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (من قال: لا إله إلا الله مخلصاً؛ دخل الجنة، قالوا: يا رسول الله ما إخلاصها؟ ، قال: أن تحجزكم عما حرّم الله عليكم) .

وروى الحكيم عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إن الله عزَّ وجلَّ عهد إليَّ؛ أن لا يأتيني أحد من أمتي بلا إله إلا الله لا يخلط بها شيئاً؛ إلا أوجب الله له الجنة، قالوا: يا رسول الله ما الذي يخلط بلا إله إلا الله؟ ، قال: حرصاً على الدنيا وجمعاً لها ومنعاً لها، يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة).

وروى أبو نعيم عن عياض الأشعر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (لا إله إلا الله، كلمة كريمة على الله، ولها عند الله مكان، جمعت وسولت، من قالها صادقاً دخل الجنة، ومن قالها كاذباً حقنت دمه، وأحرز ماله، ولقى الله عزَّ وجلَّ غداً يحاسبه) .

وروى ابن النجار عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (لا إله إلا الله، كلمة عظيمة كريمة على الله تعالى، من قالها مخلصاً استوجب الجنة، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه وكان مصيره إلى النار) . وروى الحاكم في تاريخه: (لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها حتى يُستخف بها، والاستخفاف بحقها أن تظهر العمل بالمعاصي فلا تنكروه ولا تغيروه) .

وروى الحكيم عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: (لا يزال قول لا إله إلا الله يدفع سخط الله عن العباد؛ إلا إذا نزلوا بالمنزل الذي لا

يبالون ما نقص من دينهم؛ إذا سلمت لهم دنياهم؛ فإذا قالوا: عند ذلك لا إله إلا الله، قال لهم الله: كذبتم) .

وروى الحكيم: (لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله؛ ما لم يؤثروا صفقة دنياهم، فإذا آثروا صفقة دنياهم وقالوا: لا إله إلا الله، رُدّت عليهم وقال الله: كذبتم) . وروى الديلمي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (ثمن الجنة لا إله إلا الله، وثمن النعمة الحمد لله) .

وروى أحمد وأبو داود والحاكم عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (من كان أخر كلامه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة) ، وفي رواية: (حرّمه الله على النار) .

وروى أحمد ومسلم عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (من مات وهو يعلم لا إله إلا الله؛ دخل الجنة) . وروى ابن النجار عن عليّ: (قال الله تعالى: لا إله إلا الله كلامي، وأنا هو، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عقابي).

وروى أبو يعلى عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (سأل موسى ربه حين أعطاه التوراة دعوة يدعوا بها، فأمره أن يدعو بـ لا إله إلا الله، فقال موسى: يا رب كل عبادك يدعو بها، فأنا أريد أن تخصني بدعوة أدعو بها، فقال تعالى: يا موسى لو أن السماوات وما فيها، والبحار وما فيها، وضعوا في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة، لوزنت بهن لا إله إلا الله) .

وروى الطبراني في الأوسط، وتمام وابن عساكر عن أنس وحسن رضي الله عنهما، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (قاد الناقة جبريل فلما استقلت التفت إليَّ جبريل، فقال: أبشر وبشّر أمتك أنه من قال: لا إله إلا الله وحده لا

شريك له؛ دخل الجنة، فضحكت وكبّرت ربي، ثم سار رتوة ثم قال: أبشر وبشّر أمتك أنه من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، دخل الجنة وحرّم عليه النار، فضحكت وكبّرت ربي، وفرحت بذلك أمتي) .

وروى أبو طاهر الطبري المفسر، في "فضائل التوحيد" والرافعي عن أنس رضي الله عنه : (لما خلق الله جنة عدن، وهي أول ما خلق الله تعالى، قال لها: تكلمي، قالت: لا إله إلا الله محمد رسول الله، قد أفلح المؤمنون، قد أفلح من دخل فيّ، وشقِي من دخل في النار) .

وروى الطبراني في "الكبير" - وفيه المنهال بن خليفة منكر الحديث - : (يا بلال أذّن في الناس، من قال: لا إله إلا الله قبل موته بسنة؛ دخل الجنة، أو شهر أو جمعة أو ساعة، قال: إذاً يتكلوا، قال: وإن يتكلوا) .

وروى أحمد وابن أبي شيبة، وأبو يعلى وابن حبان، وعبد بن حميد وابن قانع، والطبراني والحاكم، وسعيد بن منصور، عن سهيل بن بيضاء رضي الله عنه : (يا سهيل بن بيضاء، أنه من شهد لا إله إلا الله حرّمه الله على النار، وأوجب له الجنة) .

وروى البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عنه ﷺ : (أذّن في الناس أنه من شهد أن لا إله إلا الله، حرّمه الله على النار وأوجب له الجنة) .

وروى أحمد والطبراني: (أبشروا وبشّروا من وراءكم، من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بها قلبه، دخل الجنة) .

وروي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إذا قال العبد: أشهد أن لا إله إلا الله، قال الله تعالى: يا ملائكتي علم عبدي أن ليس له رب غيري، أشهدكم إني قد غفرت له) . وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أول شيء خلقه الله تعالى في الكتاب الأول؛ إني أنا الله لا إله إلا أنا، سبقت رحمتي غضبي، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي، أدخلته الجنة) . وروى ابن النجار عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (كل شيء بينه وبين الله حجاب إلا شهادة أن لا إله إلا الله ودعاء الوالد على ولده) . وروى الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما: (إني لأرجو أن لا يموت أحدٌ، شهد أن لا إله إلا الله صادقاً من قلبه، فيعذبه الله) .

وروى أبو يعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما : (عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة، عليهن أسس الإسلام، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان) . وقال ﷺ: (يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة، إلا شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها لا توضع في ميزان، فإنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً، ووضعت السموات السبع والأرضون السبع، وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك) . وقال ﷺ: (يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها تهدم الذنوب هدماً، قال: قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف الأحياء؟ ، فقال ﷺ: هي أهدم وأهدم) . وروى ابن أبي

الدنيا عن عثمان رضي الله عنه : (إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله، فإنه ما من عبد يختم بها عند موته، إلا وكانت زاده إلى الجنة) .

وروى الطبراني عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (حضر ملك الموت رجلاً، فنظر في كل عضو من أعضائه، فلم يجد فيه حسنة، ثم شقّ عن قلبه فلم يجد فيه شيئاً، ثم فكَّ عن لحيته فوجد طرف لسانه لاصقاً، بطرف حنكه يقول: لا إله إلا الله، فقال: وجبت لك الجنة بقولك كلمة الإخلاص) .

وروى أبو نعيم عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (ليس أحد يشهد أن لا إله إلا الله، فتطعمه النار) . وروى أحمد ومسلم والترمذي عن عبادة رضي الله عنه : (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، حرّم الله عليه النار) . وروى البزار عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة) . وروى الطبراني عن معاذ رضي الله عنه : (كلمتان أحداهما ليس لها نهاية دون العرش، والأخرى تملأ ما بين السماء والأرض، لا إله إلا الله والله أكبر) . وروى الديلمي عن شداد بن أوس رضي الله عنه : (لا إله إلا الله نصف الميزان، والحمد لله تملأه) .

وروى أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي، عن ابن عمرو رضي الله عنهما: (إن الله تبارك وتعالى سيخلص رجلاً على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مثل مدّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ ، أظلمك كتبتي الحافظون؟ ، فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذره؟ ، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة،

وأنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول أحضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقال: إنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء).

ورواية عبد بن حميد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (يؤتى برجلٍ يوم القيامة، ثم يؤتى بالميزان، ثم يؤتى بتسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مدّ البصر فيها خطاياه وذنوبه، فتوضع في كفة الميزان، ثم يخرج له قرطاس مثل هذه - وأمسك إبهامه على نصف أصبعه - فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فتوضع في كفة أخرى فيرجح بخطاياه وذنوبه) .

وفي الحديث: (لتدخلن كلكم الجنة إلا من أبي، وشرد شراد البعير على أهله، قالوا: يا رسول الله من الذي يأبى، قال: من لم يقل لا إله إلا الله، فأكثروا من قول: لا إله إلا الله، قبل أن يحال بينكم وبينها، فإنها كلمة التوحيد، وهي كلمة الإخلاص، وهي كلمة التقوى، وهي الكلمة الطيبة، وهي دعوة الحق، وهي العروة الوثقى، وهي ثمن الجنة) .

وفيه عن أم سلمة رضي الله عنها: (لا إله إلا الله، لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً) . وفيه: عن عائشة رضي الله عنها: (من ربى حتى يقول لا إله إلا الله، لم يحاسبه الله) . وروى الطبراني عن معقل بن يسار: (لكل شيء مفتاح، ومفتاح السموات لا إله إلا الله) .

وروى ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها : (شعار المؤمنين يوم يبعثون من قبورهم؛ لا إله إلا الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون) . وروى الرافعي وابن النجار عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (دخلت الجنة، فرأيت بعارضتي الجنة مكتوب ثلاثة أسطر بالذهب، السطر الأول: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) الحديث .

وروى ابن ماجة عن حذيفة بن اليماني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (يدرس الإسلام كما يدرس الثوب، حتى ما يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسري على كتاب الله تعالى في ليلة لا يبقى في الأرض منه آية، ويبقى الشيخ العجوز والكبيرة العجوز، يقولون: أدركنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله، فنحن نقولها، فقال: صلة بن زفر لحذيفة فما تغني لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا صدقة؟ ، فأعرض عنه حذيفة فردها ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه الثالثة، فقال: يا صلة تنجيهم من النار، تنجيهم من النار، تنجيهم من النار) .

قال القرطبي في "تذكرته" وفي الخبر: إن الله تعالى يقول لإسرافيل: (إذا سمعت قائلاً يقول: لا إله إلا الله، فأخّر النفخة أربعين سنة إكراماً لقائلها).

إلى غير ذلك من السُّنة مما لا يحصى، ولا ينال فيستقصى، ولو لم يكن إلا هذا الحديث بهذا الإسناد الشافي، كلوم الفؤاد وأدواء الأرواح، لكفى كل ذي وداد، وهو ما نقله السيد السمهودي في "جواهر العقدين" من "تاريخ نيسابور" وعن "الفصول المهة" وذلك:

ما روي أن المأمون لما انصرف من مرو، يريد العراق اجتاز بنيسابور وكان على مقدمته الإمام علي الرضا رضي الله عنه ، فقام إليه الإمامان الحافظان أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي، ومعهما قوم من المشائخ، وقالوا: نسألك بقرابتك من رسول الله ﷺ ، أن تحدثنا بحديث ينفعنا، فقال: (حدثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ ، وعن جبريل الأمين، عن الله تعالى أنه قال: (لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي)، ثم أرخى الستر على القبة وسار، فعد أهل المحابر والدفاتر والدوي الذين كانو يكتبون، فأنفوا على عشرين ألفاً، قال الإمام أحمد: لو قرأت هذا الإسناد على ذي جنة لبري من جنته .

وأما من الآثار:

فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ورفعه البعض، قال الله تعالى: (يا أمة محمد، فأجابوه من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: لبيك اللّهم لبيك أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك، قال الله: يا أمة محمد، إن رحمتي سبقت غضبي، وعفوي سبق عقابي، قد أعطيتكم قبل أن تسألوني، وقد أجبتكم من قبل أن تدعوني، وقد غفرت لكم من قبل أن

تستغفروني، ومن جاءني يوم القيامة، بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي، دخل الجنة وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر) .

وقال سعيد بن جبير -رحمه الله تعالى- :(ليس شيء أقطع ظهر إبليس؛ من قول لا إله إلا الله) .

وقال سفيان الثوري - رحمه الله تعالى-: (إن لذة قول لا إله إلا الله؛ كلذة شرب الماء البارد في الدنيا) . وقال سفيان بن عيينة -رحمه الله تعالى-: (ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من قولهم لا إله إلا الله، وأن لا إله إلا الله في الآخرة كالماء في الدنيا) .

وقال أبو الفضل الجوهري: (إذا دخل أهل الجنة الجنة سمعوا أشجارها وأنهارها وجميع ما فيها، يقول: لا إله إلا الله، فيقول بعضهم لبعض: كلمة كنا نغفل عنها في دار الدنيا) .

وعنه: (يهتز العرش لقول المؤمن: لا إله إلا الله، ولكلمة الكافر إذا قالها، وللغريب إذا مات في أرض الغربة) .

وخرّج ابن حبيب في كتاب "الذكر" له عن مجاهد: (أن الملك يريد أن ينفخ في الصور، فإذا سمع قائلاً يقول: لا إله إلا الله، أخّر النفخة أربعين خريفاً) .

وقال الحسن: (ثمن الجنة لا إله إلا الله) . وقال مجاهد: (ليس عندي شيء أقطع لظهر إبليس؛ مثل قول لا إله إلا الله، فإذا لعنته، قال: لقد لعنت ملعوناً) .

وورد في بعض الآثار: (أن العبد إذا قال لا إله إلا الله؛ فإنه يُعطى من الثواب بعدد كل كافر وكافرة على الأرض) . قال بعض المحققين: الوجه فيه أنه بقولها رداً على كل كافر وكافرة، يثبت لله ضداً ونداً وشريكاً، فلا جرم أن يستحق الثواب بعددهم .

وقال أبو علي الدقاق: (من قالها مخلصاً في مقالته، دخل الجنة في حالته) . قال تعالى: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَام رَبّه جَنَّتَانِ)، جنة في الوقت وهي جنة المعرفة، وجنة في العاقبة وهي جنة الآخرة .

وقيل: إذا كان في آخر الزمان، فليس شيء من الطاعة له فضل كفضل لا إله إلا الله، لأن صلاتهم وصيامهم يشوبها الرياء والسمعة، وصدقاتهم يشوبها الحرام، ولا إله الا الله ذكر المؤمنين، والمؤمن لا يذكر الله إلا من صميم قلبه .

وقال ابن عطاء الله في "مفتاح الفلاح" : (وكلمة لا إله إلا الله، تصعد بنفسها وغيرها من الطاعات، يصعد به المَلَك)، قال الله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) . قال بعضهم: أي العمل ترفعه الملائكة، وجميع الطاعات تزول يوم القيامة، وطاعة التهليل والتحميد لا تزول .

قال الله تعالى حكايةً عن أهل الجنة: (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

وذكر عياض في "المدارك" عن يونس بن عبد الأعلى: (أنه رأى في المنام قائلاً يقول: اسم الله الأكبر: لا إله إلا الله، فقاله ومسح بها ما وجعه فأصبح معافى) .

وقال بعض العلماء : (اسم الله الأكبر: لا إله إلا الله) . وقال بعضهم: لا إله إلا هو، وذكر ابن الفاكهاني: (إن ملازمة ذكرها عند دخول المنزل، ينفي الفقر) .

وقال بعضهم: (لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفاً، وساعات الليل والنهار كذلك، فكأنه قيل كل ذنب أذنبته في هذه الساعات، فهو مغفور بهذه الحروف الفاضلات) .

ويقول الفقير كان الله له: (وأنفاس الشخص في اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس، فإذا قالها مرة مرت بركة كل حرف منها على ألف نفس، فصارت كلها مباركة، وكان التوحيد متجدد في كل نفس منها، وهكذا تستغرق العمر إذ لا يخلو فرد منها عادة من مرة في كل يوم وليلة) .

وقيل: (هي سبعة كلمات، وللعبد سبعة أعضاء، وللنار سبعة أبواب، فكل كلمة منها تغلق باباً عن عضو من السبعة) .

وقيل: (كلمة لا إله إلا الله اثنا عشر حرفاً، فلا جرم وجب لها اثنتا عشر فريضة، ستة ظاهرة وستة باطنة: فالظاهرة الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد، والباطنة: التوكل والتفويض والصبر والرضا والزهد والتوبة) .

قال بعضهم في كلمة لا إله إلا الله، أسرار منها: (أن جميع حروفها جوفية، ليس فيها حرف شفهي، إشارة إلى إن التبيان من خالص الجوف، وهو القلب) . ومنها: (أنها اثنا عشر حرفاً، كشهور السنة منها أربعة حرم، وهي حروف الجلالة فرد وثلاثة سرد، وهي أفضل كلماتها، كما أن الحرم أفضل السنة، فمن قالها مخلصاً كفّرت عنه ذنوب سنة) .

والحاصل أن فضائلها لا تحصى، وفواضلها لا تستقصى، ولذلك فزع إليها الولي والعدو، وقال تعالى حاكياً عن يونس عليه السلام: (فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) . وقال مخبراً عن فرعون: (قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل) .

ولذا اختار كثير من العارفين ملازمتها، ليلاً ونهاراً وعشية وأبكاراً ، وبعضهم يذكرها فيها سبعين ألف مرة .

ومن فضائلها كثرة أسمائها إذ كثرة الأسماء تدل شرف المسمى .

وقال في "الحقائق الواضحات في شرح الباقيات الصالحات" ، قال ابن عطاء: (يحتاج قائل لا إله إلا الله، إلى أربع خصال: تصديق وتعظيم وحلاوة وحرمة، فمن لم يكن له تصديق فهو منافق، ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع، ومن لم يكن له حلاوة فهو مرائي، ومن لم تكن له حرمة فهو فاسق، ثم قال: نظر هنا إلى القلب والنفس واللسان والجوارح، فجعل التصديق حظ القلب، والتعظيم حظ النفس، والحلاوة حظ اللسان، والحرمة حظ الجوارح، ثم قال: لا إله إلا الله، مبدأ ونهاية، فمبدأها نفي كل آلهة عبدت

من دون الله تعالى، ولهذا يكون موحداً، ونهايتها نفي النظر لشيء سوى الله تعالى، إذ هو الموجد، موجد الأشياء ومظهرها، ولا حكم للموجد مع الموجد، ولا للمظهر مع المظهر، وهذا توحيد السابقين، وهم المفردون، وبين هذا المقام الذي هو مقام السابقين، وبين المقام الأول وهو مقام عوام المؤمنين، مقام متوسط وهو توحيد الصالحين، وهو نفي كل هوى تميل النفس إليه، لقوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ)، وفي الخبر: (الهوى أبغض إله عبد في الأرض)، ولذا قال ﷺ: (من قال لا إله إلا الله مخلصاً، دخل الجنة)، ومعنى الإخلاص: أن يخلص قلبه لله ولا يبقي شركة لغير الله.

الباب الثاني: في فضل أهلها

لاشك أن أهلها أهل الذكر، فلهم فضل أهله، كما لها فضله، وقد ذكرا في محالهما، ومن أحسن ذلك ما في "جواذب القلوب لذكر علام الغيوب".

أخرج الستة عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وهو متواتر - : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله فإذا قالوها؛ عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله).

والحديث عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ: (للذين أحسنوا) أي الذين قالوا لا إله إلا الله، (الحُسنى) الجنة، (و) الـ(زيادة) النظر إلى وجهه الكريم.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله) . وأخرج الشيخان عن عتبان بن مالك رضي الله عنه: (إن الله حرّم النار ،على من قال: لا إله إلا الله، يبتغي وجه الله بذلك) . وخرّج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما : (ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت، ولا في القبور، كأني انظر إليهم عند الصيحة، ينفضون عن رؤوسهم التراب، ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) .

وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه : (حدثني جبريل قال: يقول الله تعالى: لا إله إلا الله حصني، ومن دخله أمن عذابي) . وأخرج البزار والبيهقي: (من قال لا إله إلا الله، نفعته يوماً من دهره يصيبه، قبل ذلك ما أصابه) .

وأخرج أبو داود عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله، ولا يكفر بذنب، ولا يخرجه من الإسلام بعمل) الحديث . وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما : (من قال لا إله إلا الله؛ لم يضره معها خطيئة، كما لو أشرك بالله لم تنفعه معه حسنة) . وفي الحديث: (لو جاء قائل: لا إله إلا الله بقراب الأرض ذنوباً؛ لغفر الله ذلك) .

وأخرج الخطيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (إن الله يحشر المؤذنين يوم القيامة، أطول الناس أعناقاً، بقولهم: لا إله إلا الله) . وأخرج الديلمي عن

جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (لا تلتق الشفتان على قول لا إله إلا الله، إلا كذلك لا تحجب عن سماء سماء، حتى تنتهي إلى العرش لها دوي كدوي النحل، تشفع لصاحبها) .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم، عن ابن عمر رضي الله عنهما : (صلّوا على من قال: لا إله إلا الله، وصلّوا وراء من قال لا إله إلا الله) . وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما: (كفّوا عن أهل لا إله إلا الله، لا تكفروهم بذنب، فمن كفّر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب) .

وروي عن كعب الأحبار رضي الله عنه : (أوحى الله تعالى إلى موسى في التوراة: لولا من يقول: لا إله إلا الله، لسلطت جهنم على أهل الدنيا) .

وروى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أنبئني عن هذه الأمة المرحومة، أمة محمد صلّى الله عليه وسلم؟ ، فقال: علماء أتقياء حكماء، كأنهم أنبياء يرضون مني بالقليل من العطاء، وأرضي منهم باليسير من العمل، أدخلهم الجنة بلا إله إلا الله، يا عيسى، هم أكثر سكان أهل الجنة، لأنها لم تذل ألسنة قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم، ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت به رقابهم) .

وورد: (أن لله تعالى وتبارك عمود نور، بين يدي العرش، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله، اهتز ذلك العمود، فيقول تبارك وتعالى: اسكن، فيقول: كيف أسكن ولم تغفر لقائلها، فيقول: قد غفرت له فيسكن عند ذلك) .

وقال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (أعلم الناس بالله أشدهم حباً وتعظيماً لأهل لا إله إلا الله) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (يفتح الله أبواب الجنة وينادي منادي من تحت العرش: أيتها الجنة، وكل من فيك لمن أنت؟ ، فتنادي الجنة وما فيها: نحن لأهل لا إله إلا الله، ولا غلبنا إلا أهل لا إله إلا الله، ونحن محرمون على من لم يقل لا إله إلا الله، ولم يؤمن بلا إله إلا الله، وعند هذا تقول النار، وكل ما فيها من العذاب: لا يدخلني إلا من أنكر لا إله إلا الله، ولا أطلب إلا من كذب لا إله إلا الله، وأنا حرام على من قال لا إله إلا الله، ولا أمتلئ إلا بمن جحد لا إله إلا الله، وليس غيظي إلا على من أنكر لا إله إلا الله، قال: فتجيء معرفة الله ومغفرته، فيقولان: إنّا لأهل لا إله إلا الله، وناصران لمن قال لا إله إلا الله، ومحبان لمن قال لا إله إلا الله، ومتفضلان على من قال لا إله إلا الله، ويقول الله: أبحت الجنة لمن قال لا إله إلا الله، وحرّمت النار على من قال لا إله إلا الله، وأغفر كل ذنب لمن قال لا إله إلا الله، وما خلقت الجنة إلا لأهل لا إله إلا الله، ولا تخالطوا أهل لا إله إلا الله إلا بما يوافق لا إله إلا الله) .

وقال العارف بالله سيدي ابن عطاء الله -عليه رضوان الله - : (إيّاك ومعاداة أهل لا إله إلا الله، فإن لهم من الله الولاية العامة، فهم أولياء الله، وإن أخطأوا، وإن جاءوا بقراب الأرض خطايا، لا يشركون بالله شيئاً، للقيهم بمثلها مغفرة، ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته، فمن حاربهم فقد حارب الله، ومن حارب الله فقد ذكر الله جزاؤه في الدنيا والآخرة، وكل من

لم يطلعك الله على عداوته فلا تتخذه عدواً، فأقل أحوالك إذا جهلته أن تهمله مرة، فإذا تحققت أنه عدو لله وليس إلا الشرك، فتبرأ منه كما فعل الخليل عليه الصلاة السلام في حق أبيه آزر، قال تعالى: (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)، هذا ميزانك .

الباب الثالث: في أسمائها

قال الفخر الرازي: أن لها أربعة وعشرون اسماً:

الأول كلمة التوحيد: لدلالتها على نفي الشرك مطلقاً وهو كذلك .

الثاني كلمة الإخلاص: لأن الأصل فيها عمل القلب، وهو كونه عارفاً وحدانيته تعالى، وهذه المعرفة يستحيل أن يأتي بها الإنسان لغرض آخر سوى طاعة الله وحبه وعبوديته، فكانت إخلاصاً بخلاف غيرها، فقد يؤتى به لغرض كالمدح والثناء والرياء وغيرها .

الثالث كلمة الإحسان: قال تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)، عن ابن عباس رضي الله عنهما: (ما جزاء من أحسن بقول: لا إله إلا الله، إلا الجنة) . وعنه قال: (الإحسان في الدنيا بلا إله إلا الله تعالى، وفي الأخرة الجنة)، واتفق المفسرون على أن معنى (أحسنوا) من قوله: (للذين أحسنوا الحسنى) لا إله إلا الله، لأنه من قال ذلك ومات

دخل الجنة، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، اتفقوا على أنها في فضيلة الآذان لاشتماله عليها، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾، وأحسن القول لا إله إلا الله .

الرابع دعوة الحق: قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هو قول لا إله إلا الله، والدعوة لا تكن إلا بها، وإليها لفظاً ومعنىً) .

الخامس كلمة العدل: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، روي عنه عليه السلام عن جبريل عليه السلام أنه قال: (العدل شهادة لا إله إلا الله، والإحسان القيام بالعبودية)، ومثله عن ابن عباس، وقيل: العدل: شهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان: الإخلاص فيها وغير ذلك .

السادس الطيب من القول: قال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي إلى لا إله إلا الله، وأي قول أظهر وأطيب منها، والألف واللام للاستغراق والحصر، كأن غيرها بالنسبة إليها غير طيب .

السابع الكلمة الطيبة: قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، وسميت بها لطهارتها عن التشبيه والتعطيل .

الثامن القول الثابت: قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، ووصفت بالثبوت لأن مذكورها واجب الثبوت لذاته، فالقول كذلك .

التاسع كلمة التقوى: قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾، ولأن قائلها اتقى الكفر فوقت نفسه وماله، وإن انضاف إلى القول التصديق بالقلب وقته من الكفر، فإن رزق التوفيق كانت واقية من المعاصي ومن النار .

العاشر كلمة باقية: قال كثير من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾، أنها قول لا إله إلا اللّٰه، لقوله قبله: (إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني) ، وهذا نفي الألوهية عن غيره، وإثباتها له، وهو معنى لا إله إلا اللّٰه .

الحادي عشر كلمة العليا: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللّٰهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾، ولاستعلائها على سائر الأديان، وعلى جميع الذنوب، فإنها تزيل جميع الذنوب، ولا يزيلها ذنب، وترجح الكل ولا يرجحها شيء، وترقي صاحبها إلى الدرجات العلى، وتورث مداومها عزة ورفعة، يستحقر كل شيء سوى اللّٰه، ولا يبقى محبوبه ومطلوبه إلا هو، ولا خوفه ولا رجاؤه إلا منه، بل لا يرى سواه ولا يشهد إلا إياه .

الثاني عشر المثل الأعلى: قال تعالى: ﴿وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ﴾، قال قتادة: (هو قول لا إله إلا اللّٰه)، ومعنى المثل هنا: الصفة، كذا قال أهل اللغة ونظيره (مثل الجنة) أي صفتها .

الثالث عشر كلمة السواء: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، قال أبو عالية: هي كلمة لا إله إلا اللّٰه .

الرابع عشر كلمة النجاة: قال ﷺ: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً، دخل الجنة) .

الخامس عشر العهد: قال ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى: (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)، هو قوله: لا إله إلا الله .

السادس عشر كلمة الاستقامة: قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)، قال ابن مسعود: المراد من قوله (اسْتَقَامُوا) هو قول: لا إله إلا الله، فالذي أقر بالربوبية ولا يخالطها بشرك وتبديل؛ هو الذي استقام .

السابع عشر مقاليد السماوات والأرض: قال تعالى: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)، قال ابن عباس: (هو قول لا إله إلا الله)، إذ بها قيام الأحكام، وانتظام كل نظام، فهي المقاليد والمفاتيح والمعاهد والمصابيح .

الثامن عشر القول السديد: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا) .

التاسع عشر البر: قال تعالى: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)، أي قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه .

العشرون كلمة الدين: قال تعالى: (أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) .

الحادي والعشرون كلمة الصراط: قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ).

الثاني والعشرون كلمة الحق: قال تعالى: ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾، أي قول: لا إله إلا الله .

الثالث والعشرون العروة الوثقي: قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾، يعني بلا إله إلا الله .

الرابع والعشرون كلمة الصدق: قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ .

فهذه جملة أسماء لا إله إلا الله بحسب الاستقراء، ولا مانع من الزيادة والإفادة .

وزاد بعضهم: المعروف: قال تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، قال ابن عباس: (هو قول: لا إله إلا الله) . والإيمان: قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ أي بلا إله إلا الله .

والعمل: قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، عن لا إله إلا الله . والنعمة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ﴾ يعني بذكر لا إله إلا الله . والحسنة: قال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾، يعني بلا إله إلا الله . والقول اللين: قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾، يعنى قول: لا إله إلا الله .

والحطة: قال تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، أي لا إله إلا الله .

وكلمة الرشد: قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾، أي يقول: لا إله إلا الله . وكلمة التزكية: قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾، أي قال: لا إله إلا

الله . والصواب: قال تعالى: ﴿إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، أي لا إله إلا الله . والنعم: قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾، يعني بقول لا إله إلا الله .

وكلمة السلامة: قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، أي مقرب لا إله إلا الله .

والعظة بواحدة: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ أي بلا إله إلا الله . وكلمة الاستغفار: قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني بقول لا إله إلا الله . والإيمان بالغيب: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، أي بلا إله إلا الله .

والتطهير: قال تعالى:﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾، بقول لا إله إلا الله . والوصية: قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ﴾، يعني بقول لا إله إلا الله . والاعتصام: قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، أي بلا إله إلا الله . ودعوة الإخلاص: قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، أي قولوا لا إله إلا الله .

انتهي ملخصاً بزيادة، ثم قال: وعلى التحقيق جميع القرآن، إنما هو توحيد الله تعالى، إما تصريحاً وإما تلويحاً، وكل آية منه لها ظاهر وباطن، وحد ومطلع، والكل رمز إلى توحيد الله تعالى وصمديته، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب الرابع: في بعض فوائد الذكر وفضائله

كيف، وهي أشرف الأذكار وأعظمها عند أولي الأبصار:

أخرج أحمد وابن ماجة والحاكم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنه ﷺ: (إن الله تعالى يقول: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه).

وخرّج أحمد والحاكم عنه: (جدّدوا إيمانكم، أكثروا من قول: لا إله إلا الله). وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: (إن صدقة السر تطفئ غضب الرب، وإن صلة الرحم تزيد في العمر، وإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وإن قول: لا إله إلا الله تدفع عمن قالها تسعة وتسعين باباً من البلاء، أدناه الهم).

وخرّج أبو يعلى عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (عليكم بلا إله لا الله، والاستغفار، فأكثروا منهما، فإن إبليس قال: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله، والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، وهم يحسبون أنهم مهتدون).

وخرّج أبو الشيخ والديلمي عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما من عبد يقول لا إله إلا الله، مائة مرة؛ إلا بعثه الله عزَّ وجلَّ ووجهه كالقمر ليلة البدر، ولم يرفع لأحد يومئذ أفضل من عمله، إلا من قال مثله أو زاد عليه).

وخرّج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل

شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك، حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء، إلا رجلاً عمل أكثر منه) .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم: (من قالها مائتي مرة، لم يسبقه أحد كان قبله، ولم يدركه بعده، إلا من عمل بأفضل من عمله) .

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (من قالها في سوق من الأسواق، كتبت له ألف ألف حسنة، ومحيت عنه ألف ألف سيئة، وبني بها بيت في الجنة، إلا أنه زاد: (يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير)، ولم تكن هي أي زيادة (بيده الخير) ولا (يحي ويميت) في رواية عمرو بن شعيب.

وخرّج مسلم وغيره، عن عمر رضي الله عنه : (ما منكم أحد يتوضأ، فيبلغ أو يسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء) ، وفي رواية لمسلم بزيادة: (وحده لا شريك له) .

وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: (ما من عبد يقول عند رد الله تعالى روحه إليه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، إلا غفر الله تعالى له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر) .

وفي "الحقائق الواضحات" : يحي محمد بن يحيى العدناني في "مسنده" إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أنه من قال حين يصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك

له، إلهاً واحدا صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، كان كمن قرأ القرآن، اثنتي عشر مرة، وكتب الله له بها أربعين ألف ألف حسنة) .

وخرج الشيرازي، والخطيب والرافعي، وابن النجار، عن علي رضي الله عنه : (من قال في كل يوم مائة مرة: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، كانت له أماناً من الفقر، وأنسا من عذاب القبر، واستجلب بها الغنى، واستقرع بها باب الجنة) . قال الفضل بن غانم: (والله لو خرجتم في هذا الحديث إلى اليمن لكان قليلاً) .

وفي الحلية: (من قال ذلك في كل يوم وليلة مائتي مرة، لم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها) . وأخرج الحاكم وابن أبي الدنيا عن سعد رضي الله عنه : (ألا أخبركم بشيء، إذا نزل برجل منكم كرب، أو بلاء من أمر الدنيا، به فرّج عنه دعاء ذي النون، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) .

وفي رواية أحمد والترمذي، والنسائي والحاكم، والبيهقي والضياء، عن سعد رضي الله عنه : (دعوة ذي النون إذ دعا، وهو في بطن الحوت، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدعو بها رجل مسلم، في شيء قط، إلا استجاب الله له) .

وفي رواية الحاكم عن سعد: (أيما مسلم قال في مرضه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، أربعين مرة، فمات في مرضه ذاك، أعطي أجر شهيد، وإن برأ برأ، وقد غفرت له جميع ذنوبه) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (من تعار من الليل فقال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، انسلخ من ذنوبه كما تنسلخ الشاة من جلدها) . وخرّج ابن أبي الدنيا، عن ابن عباس رضي الله عنهما : (كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموت السبع، ورب العرش الكريم) .

وأخرج الشيخان، عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموت ورب الأرض) . وعنه ﷺ قال: (من قال: لا إله إلا الله، ثلاث مرات في يومه، كانت له كفارة لكل ذنب، أصابه ذلك اليوم) .

وخرج أبو نعيم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (من قال: لا إله إلا الله، ومدّها، هدمت له أربعة آلاف من الكبائر، قيل: فإن لم يكن له هذه الذنوب، قال: غفر له من ذنوب أبويه وأهله وجيرانه) .

إلى غير مما لا يحصر، ومنها: ما حُكي عن الشيخ أبي زيد القرطبي -رحمه الله- أنه قال: سمعت في بعض الآثار: (من قال: لا إله إلا الله، سبعين ألف مرة، كانت فداءه من النار)، فعملت ذلك على رجاء بركة الوعد، فعملت منه لأهلي، وعملت أعمالاً أدخرتها لنفسي، وكان إذ ذاك يبيت معنا شاب، يقال أنه يكاشف في بعض الأوقات بالجنة والنار، وكانت الجماعة ترى له فضل على صغر سنه، وكان في قلبي منه شيء، فكان اتفق أن استدعانا بعض الأخوان إلى منزله، فبينما نحن نتناول الطعام، والشاب

معنا، إذ صاح صيحة منكرة، واجتمع في قلبه وهو يقول: يا عم هذه أمي في النار، وهو يصيح بصياح عظيم، لا يشك من سمعه أنه من أمر، فلما رأيت ما به من الانزعاج، قلت في نفسي: اليوم أجرب صدقه؛ فألهمني الله السبعين ألف، ولم يطلع على ذلك أحد، فقلت في نفسي: الأثر حق، والذين رووه لنا صادقون، اللّهم إن السبعين ألف فداء هذه المرأة أم هذا الشاب من النار، فما استتمت الخاطر في نفسي إلا أن قال: يا عم ها هي أخرجت الحمد لله؛ فحصل لي فائدتان إيماني بصدق الأثر، وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه .

ومنها: ما يحكي أن رجلاً كان واقفاً بعرفة، وكان بيده سبعة أحجار، فقال: أيها الأحجار السبعة، أشهدوا لي، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فنام فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت، وحوسب ذلك الرجل، فلما ساقوه إلى باب من أبواب جهنم، جاء حجر من تلك الأحجار السبعة، وألقت نفسها على ذلك الباب، واجتمعت ملائكة العذاب على رفعها فلم يقدروا، ثم سيق إلى الباب الثاني، فكان الأمر كما كان في الباب الأول، وكذلك الأبواب السبعة، فسيق به إلى العرش، فقال الله سبحانه وتعالى: عبدي أشهدت الأحجار فلا يضيع حقك، وأنا أشهد على شهادتك على توحيدي، ادخل الجنة، فلما قرب من أبواب الجنة، فإذا أبوابها مغلقة، فجاءت شهادة أن لا إله إلا الله، وفتحت الأبواب فدخل الرجل .

ومنها: ما روي أنه زاد الماء ببغداد حتى أشرفت على الغرق، فقال بعض الصالحين: رأيت في تلك الليالي كأني واقف على طرف الدجلة، وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، غرقت بغداد، فجاء إنسان حسن الصورة، وكنت أعلم أنه مَلك، وجاء أخر من الناحية الأخرى، فقال أحدهما للآخر: ما الذي أمرت به؟ ، فقال: أمرت بتغريق بغداد ،ثم نهيت عنها، قال: لِمَ ؟، قال: رفعت ملائكة الليل البارحة، افتض في بغداد سبعمائة فرج حرام، فغضب الله وأمرني بتغريقها، ثم رفعت ملائكة النهار صبيحة هذا اليوم بسبعمائة آذان وإقامة، فغفر الله لهؤلاء بهؤلاء، قال صاحب الرؤيا: فانتبهت وجئت إلى الدجلة، فإذا الماء قد نقص . انتهى، وذلك لما في الأذان من الشهادتين .

ومنها: ما ذكر بعضهم: أن من قال في أول النهار، عقدت لسان الحية وزبان العقرب، ويد السارق، بقول: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أمن من الحية والعقرب والسارق . إلى غير ذلك مما لا يحصى .

والحاصل أن فضائل (لا إله إلا الله) لا يحيط بها إلا الله، ولا يقترف من بحارها إلا من صدق من أهل لا إله إلا الله، الصادق يخرج من ذلك، ما لا يحيط به إلا المالك، ويكفي أنها أول أركان الدين، وأول فرض واجب على المسلمين، والإتيان بها فرض في أول الإيمان، إلا لعجز عن النطق بها باللسان، فيحرك بها لسانه ويوافق بها جنانه .

خاتمة

ختم الله لنا بالحسنى، وبحقيقة لا إله إلا الله وحقها، وجعلنا من أخص خواص أهلها، وحيثما ذكرنا فلابد معناها لتظهر ثمار مجناها، وتبرز نتائج مبناها، إذ المقصود المعاني لا الألفاظ، والألفاظ أصداف والمعاني جوهرها، والحروف وسائل، والمعاني مقاصدها .

فنقول: قد ذكر العارفون لها معاني لا تُحصى، ومبانٍ لا تستقصى، فمنها: قول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (لا إله إلا الله: لا نافع ولا ضار ولا معز ولا مذل ولا معطي ولا مانع إلا الله) . ومنها: (لا إله) يرجى فضله، ويخاف عذاب وعدله، ويؤكل حرفه وينزل أمره، ويسأل أمره ويرتكب نهيه، ولا يحرم فضله (إلا الله) .

ومنها: (لا إله إلا الله): إشارة إلى المعرفة والتوحيد، بلسان الحمد والتشهيد إلى الملك المجيد . ومنها: (لا إله) له النعمة والقدرة والبقاء، والعظمة والثناء، والعز والسخط والرضا، (إلا الله) الذي هو رب العالمين، وخالق الأولين والآخرين، وديان يوم الدين . ومنها: قول العلماء: (لا إله إلا الله): أي لا مشهود ولا موجود إلا الله .

والذي ألهمه الله للفقير الحقير: أن معناها يتفاوت بتفاوت حال ذاكرها: فإن كان مبتدئ فمعناها: (لا إله) موجود قديم باق قيوم، واحد منزه عن مماثلة الحوادث، (إلا الله) الحي العليم القدير المريد السميع البصير

المتكلم، الذي استحال في حقه ضد هذه الصفات، وجاز من جانبه ما أمكن بإعدام وإثبات، وهذا هو معنى قولهم أي (لا معبود إلا الله) .

وإن كان متوسطاً فمعناها في حقه: لا محبوب ولا مطلوب ولا مرغوب، إلا الله الكريم الرحيم، اللطيف الرءوف العفو الحليم .

وإن كان منتهياً فمعناها في حقه: لا مشهود ولا معبود إلا الله العظيم، المقصود الكبير المعبود، انتهى .

أخرج أبو يعلى وابن ماجة، وعبد الرازق، عن أبي هريرة رضي الله عنه : (أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله، قبل أن يحال بينكم وبينها، ولقنوها موتاكم) .

وإذا علمت فضل (لا إله إلا الله) وفوائدها، فعليك أن تكثر منها، وترد وتصدر عنها، لأنها من أعذب المناهل، وألطف البحار التي ليس لها ساحل، ومن يسمع بهذه الفضائل ويحيد عنها إلى الشهوات والفضائل فضلاً الرذائل، إلا المحروم المعكوس، الذي ببحار ذاته مغموس، ويلج مهاوي أهوائه منكوس، وكيف والإكثار من علامات حب الواحد القهار، ومنتج لذكر الله العزيز الجبار، ومن يكره أن يكون محباً لله، ومذكوراً لله بذكره لله إلا المطرود المبعود، الذي هو في شروره ممدود، فكيف يا مغرور، هل لا يُحب الغفور، أم لا يُطاع الشكور، ما ذاك إلا نفور، ما ذاك إلا عثور، أو تغافل أو قصور، وقد عميت عينك عن رؤية هذه الفضائل وصمت أذانك، عن سماع هذه الفواضل، وضلت بصيرتك عن معرفة تلك

الكوامل، فتيقظ من غفلتك وهواك، ولازم ذكر مولاك، لتحظى بالسعادة الأبدية وتكون جليسه وأنيسه وهواه، ولكن هناك آداب في غير هذا الكتاب .

وهذا ولنختم "المنن"، بما رواه أحمد والشيخان، والترمذي وابن ماجة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان للرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) .

وبما رواه أبو داود وابن حبان، عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كلمات لا يتكلم بهن أحدٌ في مجلسه عند فراغه ثلاث مرات، إلا كفر بهن ولا يقولهن في مجلس خير وذكر، إلا ختم الله بهن عليه، كما يختم بالخاتم على الصحيفة، سبحانك اللّهم وبحمدك، لا إله إلا أنت استغفرك، وأتوب إليك) .

وقد تمت ظهر السبت، ثاني ربيع أول، من عام سبع وسبعين ومائة وألف، بيد مؤلفها الفقير الغني، عبد الله بن إبراهيم ميرغني، كان الله للجميع بجاه الرسول الشفيع ﷺ .

٢

ذات الجنب
في معنى الذنب

تأليف
السيد عبدالله الميرغني المحجوب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ المنفرد بالكمال، الذي ما سواه باطل وخيال، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة مُتيقن، بأن كل ما سواه ملازم لوزره، إذ قال تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، شهادة معترف بأن كل أحد مُقصر في إجابته، لمن يقال له لبيك، اذ قال ﷺ: (سبحانك لا أُحصي ثناءً عليك) .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنام، وآله وصحبه الغُرّ الكرام .

(وبعد) فقد كان يتردّد في الخاطر الخليّ، أن أضع رسالةً في نوعيْ الذنب الخفيّ والجليّ، لينكشف بها النِقاب عن مسائل جرى فيها الإطناب، وسرى فيها الإضطراب، ولم يك ذلك إلا حيثما أراد الله ما هنالك، وسميتها: (ذات الجنب في معنى الذنب) .

فأقول مُستعيناً به ومُستمداً من فيض حبيبه ﷺ:

اعلم أن الذنب والخطيئة والإثم والعصيان، والإساءة والوِزر والإصر، ألفاظٌ مترادفة، مرجعها إلى ثلاثة أنواع: لغويٌ وعُرفيٌ وشرعيٌ .

فمعنى الذنب لغةً: فعل ما لا يليق بحسب الفاعل والمفعول معه، كما لا يخفى على من تدّبر اللغة، ولذا قال البيضاوي في سورة القتال: إن الذنب ماله تَبِعةٌ ما، كترك الأوْلَى .

وأما العُرفيّ: فمخالفة الفاعل له بحسبها أيضاً .

وأما الشرعيُّ المصطلح عليه عند العلماء فهو: عبارةٌ عن الصغائر والكبائر، وإذا عرفت ذلك علمت أنه يُطلق على غيرهما لغةً وعُرفاً، بل واصطلاحا للإجماع، على قبول القاعدة التي قالها أبو سعيد الخرّاز رضي الله عنه ، وهي: حسنات الأبرار سيئات المقربين، فجوّزوا إطلاق السيئة المرادفة للذنب وإخوته على ضدها وهي الحسنة، وخرّجوا على ذلك كثيراً من المسائل، لا سيما من كلام العارفين، كقول رابعة العدوية رضي الله عنها : (استغفارنا يحتاج إلى استغفارٍ كثيرٍ)، وهو ظاهرٌ، إذا نزلت نفسها منزلة العوّام لكونها مع الغفلة، كما أوّله به كثير من العلماء، وأما إن أنزلت نفسها منزلة العارفين شُكراً للنعمة، فهو أيضاً كذلك، لأنه بالنسبة إلى مقام الشهود، الذي هو أقصى مُرادهم ذنبٌ، وأي ذنب كما أوّلته بذلك، ولذا قال بعضهم: الاستغفار من الذنب ذنب آخر، قال سهل: التوبة فرضٌ على العبد في كل نَفَس، وقال العارف ابن الفارض -رحمه الله- :

ولو خطرت لي في سواك إرادةٌ على خاطري سهواً قضيت بردتي

وما ذاك إلا أنّ كل ما سوى مقام شهود المحبوب، فهو من أعظم الذنوب .

وعن هذا قلت في كتابي جواذب القلوب: واعلم أن الاستغفار على ثلاثة أنواع: استغفار من الذنوب وهو للعوّام، واستغفارٌ عن الطاعات ورؤيتها وهو للخوّاص، واستغفارٌ عن شهود كل ما سوى الله تعالى، وهو

لأخصّ الخوّاص، وإذا فهمت هذا علمت أنّ العلماء مُحِقون في إجتهادهم في المسألتين الآتيتين، إذ هو بحسب إصطلاحهم ولا مانع من غيره .

أما المسألة الأُولى: فما وقع من إضطرابهم وتكلفهم في الجواب، عما صدر في الكتاب العزيز والسنة الشريفة، في شأن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم، من قوله سبحانه: (وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ)، (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)، وقوله: (لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)، وقوله: (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ)، وقوله حاكياً عن إبراهيم عليه السلام: (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين)، وقوله عن موسى: (تُبْتُ إِلَيْكَ)، وقوله: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ)، وقوله عن يونس: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)، وغير ذلك من القرآن، وقوله ﷺ: (اللّهمّ اغفر لي ما قدّمت وما أخرّت)، وقوله: (إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله)، ونحوه من السنة، ولو أعادوا الأمر إلى ما مهّدناه سابقاً، لما استشكلوا ذلك واستصعبوه .

وأما الثانية: فقد منعوا الدعاء بالمغفرة للأنبياء صلوات الله عليهم، بناءً على ما اصطلحوا عليه من قصر الذنوب على الصغائر والكبائر، فأما إذا كانت غير قاصرة على ذلك، فأي مانع مما هنالك، كيف وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة كما تقدّم والأثر، كقول عليّ رضي الله عنه في تشهده: (اللّهمّ اغفر لمحمد وتقبل شفاعته إلخ)، وكقول الحسن البصري -رحمه الله تعالى- في صلاته عليه ﷺ ومغفرته ورضوانه، فإذا كان طلب المغفرة ثابتاً، في قوله

سبحانه وقول نبيّه ﷺ ، وقول بعض أصحابه، وهو باب العلم وبعض التابعين وهو سيدهم، وكان لذلك وجهٌ وجيه وهو طلب غفران مالا يليق بمقامهم الشريف، وإن كان هو أجلَّ من أكمل طاعة من كُلّ ذي قدر منيف، فأي مانع من هذا، والذي أقطع به وأدين الله أنه لو تدبر هذا كل من قال بالمنع، لما منع ولرأى أن الأمر متسع، إلا لقاصر في القصور، وجاحد في القبور، والناس أحد رجلين: إما قاصر عن فهم قول العلماء، أو عارف به وبمقام الحكماء، فالأول المنع به أليق، والثاني عدمه به أجدر وأحقّ، وأما العوام فلا يعرفون ولا يميزون فهم فيما جاء مأثوراً مطلقون، وفي غيره محجوزون، ويكفي هذا لذوي الإنصاف، ويشفي لأُولي الإعتراف .

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، قاله جامعه عبدالله بن ابراهيم بن حسن بن ميرغني الحسني الحنفي، مُلتمساً للدعاء، ومُقتبساً لملء الوعاء، في ساعة واحدة، من يوم الأربعاء ١٤ ربيع سنة ألف ومائة وسبعة وخمسين ١١٥٧ ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم .



٣

البشائر الحاتمة
بأسباب حسن الخاتمة

تأليف

السيد عبدالله الميرغني المحجوب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ختم النبيين بسيد المرسلين، الأول لهم خلقاً وبعثاً، قبل أن يكون آدم ماء وطين، فسبحان الأول والآخر، وتبارك الله أحسن الخالقين، نحمده تعالى أن كمل حسن ختامنا بالشهادة بأكمل الكاملين، وحسنه بأنوار طاعة رب العالمين، وفضّله بأسرار مشاهدات حب العارفين.

والصلاة والسلام الأكملان الأتمان، على سيد ولد عدنان، المخصوص بأم القرآن، من كان أجود ما يكون في رمضان، المتخلق بأخلاق الرحمن، وكان خلقه القرآن، وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وملائكة الله المقربين المكرمين، وعلى الآل والأصحاب، وسائر الأخيار والأحباب، وسلّم تسليماً كثيراً .

(وبعد)، فلما كان وقت السحر من ليلة الأحد، ثالث رمضان المعظم، من عام ألف ومائة وأربعة وخمسون، جرى علي في الخاطر الفاتر، والبال المقصرالقاصر، شيء من الإلهام في حسن الختام، فأحببت أن أرقم ما منح به الملك العلام، في وريقة لينال التمام، ببدء السلام وحسن الختام، فشرعت في ذلك الوقت مستعيناً بالله، ومستمداً من فيض حبيب الله ﷺ ، معلماً له بـ(البشائر الحاتمة بأسباب حسن الخاتمة) .

اعلم أيها الطالب لحسن الختام، والفوز بكمال الاختتام، أن سبب ذلك شيئان: قولٌ وعملٌ؛ فأما الثاني: فهو العمل الصالح، وهو موجب لذلك بفضل الله ومَنّه، كما ثبت بالكتاب والسنة والأثر .

أدلة أن العمل الصالح من أسباب حسن الخاتمة: أما الكتاب، فقال تعالى : ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وقال: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾، وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ .

وأما من السنة، فقال ﷺ: (إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء)، وقال ﷺ: (من زار قبري وجبت له شفاعتي) . وقال ﷺ: (من مات مرابطاً في سبيل الله أمّنه الله من فتنة القبر) . إلى غير ذلك من الكتاب والسنة الواردين الموجبة للجنة، والشهادة والمغفرة والرضا والزيادة، وذلك لا يحصر، وفضل الله أكبر .

وأما من الأثر: فقال مجاهد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في شأن داخل البيت الحرام: (أنه يخرج معصوماً فيما بقى) . وقال بعض العلماء: يحتمل أنه أراد بذلك العصمة من الكفر، فيكون بشارة للداخل بالموت على الإسلام، وقد قال العلماء قاطبة: (أن الموت إذا جاء، العمل الصالح كان سبباً لحسن الخاتمة) . وفي أحاديث القضاعي: (من مات على خير عمله، فأرجو له خيراً، ومن مات على سئ عمله، فخافوا عليه ولا تيأسوا) .

وأدلة أن القول الصالح من أسباب حسن الخاتمة، وعده الأول فلذا قال: أما الأول، وهو القول فكذلك: أما الكتاب فقال سبحانه: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)، وقال تعالى: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ)، والصدق هو قول: لا إله إلا الله .

وأما من السنة: فروى السنوسي في تأليف له عنه ﷺ ، أنه قال: (من سرّه أن ينسأ له في أجله، وينصر على عدوه، ويوسع له في رزقه، ويوق ميتة السوء، فليقل حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات: سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش) .

وفي الحديث: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) . وفيه: (كلمات من قالهن عند وفاته دخل الجنة؛ لا إله إلا الله الحليم الكريم، ثلاثاً، الحمد لله رب العالمين، ثلاثاً، تبارك الله الذي بيده الملك يحي ويميت وهو على شئ قدير) . وفيه: (من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللّهم أجره من النار) . وفيه: (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت) .

إلى غير ذلك مما لا يحصى ولا يُعد من أقوال السنة المقتضية لحسن الختام ضمناً، كالموجبة للشهادة والجنة والزيادة والرضا والمغفرة، ونحو ذلك مما لا يحصى ولا يُعد فيستقصى .

وأما من الأثر: فمنه ما ذكر العارف الأجهوري في معراجه عن العارف الشيخ عبد الوهاب الشعراني، عن أبي العباس الخضر عليه السلام ، أنه قال: (سألت أربعة وعشرين ألف نبي، عن استعمال شيء يأمن العبد به من سلب الإيمان، فلم يجبني أحد منهم، حتى اجتمعت بمحمد ﷺ ، فسألته عن ذلك، فقال: حتى اسأل جبريل، فسأله عن ذلك، فقال: حتى اسأل رب العزة عن ذلك، فسأل رب العزة فقال: من واظب على قراءة آية الكرسي، وآمن الرسول إلى آخر السورة، وشهد الله إلى قوله الإسلام، وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب، وسورة الإخلاص، والمعوذتين والفاتحة، عقب كل صلاة، أمن من سلب الإيمان) .

وعن سيدي عبد الوهاب الشعراني أيضاً، عن سيدي على الخواص، عن سيدنا داود عليه وعلى نبينا وعليه الصلاة والسلام، أنه قال: (من قال كل يوم ثلاث مرات صباحاً ومساءاً: سبحان الدائم القائم، سبحان القائم الدائم، سبحان الحي القيوم، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده، سبحان الملك القدوس سبحان رب الملائكة والروح، فإنه يموت على الإسلام، من غير شك ولا تردد ولا توقف) .

وقال الحكيم الترمذي: رأيت الله في المنام، فقلت: يا رب إني أخاف زوال الإيمان؟، فأمرني بهذا الدعاء بين سنة الصبح والفريضة، إحدى وأربعين مرة، وهو هذا: يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا

الجلال والإكرام، يا الله، لا إله إلا أنت، اسألك أن تحي قلبي بنور معرفتك، يا الله يا الله يا أرحم الراحمين) .

وعن الشيخ عبد الواحد بن أبي بكر القاضي: يقال في المساء والصباح: (اللّهم إني أعوذ بك من المكر والاستدراج، فإنها تحرس قائلها من سوء الخاتمة) .

ومما نقل عن عارف الأمجاد السيد الشريف عبد الله بن علوي الحداد: (مما يوجب حسن الخاتمة عند الموت، بعد صلاة المغرب، تقول: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الحي القيوم الذي لا يموت وأتوب إليه، ربي اغفر لي) .

وعن بعض العارفين رضي الله عنهم أجمعين: (من قال بعد صلاة المغرب، قبل أن يتكلم: اللّهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، بعدد كل حرف جرى به القلم، عشر مرات، مات على الإيمان) .

ومما يقتضي ذلك ما رُوي عن الإمام الأعظم أبو حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (رأيت رب العزة في المنام، تسعاً وتسعين مرة، فقلت في نفسي: إن رأيته تبارك وتعالى تمام المائة، لأسألنه بم ينجو الخلائق من عذابه يوم القيامة، قال فرأيته سبحانه وتعالى، فقلت : يا رب عزَّ جارك، وجلَّ ثناؤك وتقدست أسماؤك، بم ينجو عبادك يوم القيامة من عذابك ؟، فقال سبحانه وتعالى: من قال بالغداة والعشي: سبحان الأبدي الأبد، سبحان الواحد الأحد، سبحان الفرد الصمد، سبحان من رفع السماء بغير عمد، سبحان

من بسط الأرض على ماء جمد، سبحان من خلق الخلق فأحصاهم عدد، سبحان من قسم الرزق فلم ينس أحد، سبحان من لم يتخذ صاحبة ولا ولد، سبحان من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد؛ نجا من عذابي) .

وما رُوي عن الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهو كثرة تلاوة القرآن، فإنه رُوي عنه أنه قال: (رأيت ربَّ العزة في المنام، فقلت له: بما يتقرب إليك المتقربون، قال: بكلامي، قلت: بفهم أو بغير فهم ؟ ، فقال: بفهم أو بغير فهم) .

وما رُوي عن الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مناماً من الصلوات، التي كانت سبباً لإكرام الله له التي منها: اللّهم صلّ على محمد عدد من صلّى عليه، صلّ على محمد بعدد من لم يصلّ عليه، صلّ على محمد كما أمرت أن يُصلى عليه، صلّ على محمد كما تحب أن يُصلى عليه، صلّ على محمد كما تنبغي الصلاة عليه، اللّهم صلّ على محمد كلما ذكره الذاكرون، وصلّ على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون .

وما ذكره الشيخ أحمد الملوي، أنه قال: ذكر السيوطي رضي الله عنهما: (أن من ذكر هذه الصلاة ليلة الجمعة، ولو مرة ولازم عليها لم يلحده في قبره إلا المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهي: اللّهم صلّ على محمد النبي الأمي الحبيب، العالي القدر، العظيم الجاه، وعلى آله وصحبه وسلّم) .

وما نقل عن العارف البكري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (من ذكر هذه الصلاة في عمره ولو مرة واحدة، ودخل النار، يقبضني بين يدي الله تعالى، وهي:

اللّهم صلّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، ﷺ ، وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم) .

ثم اعلم أن حسن الختام على ثلاثة أقسام:

فالأول: عام لسائرالعوام، وهو: الموت على الإسلام .

والثاني: خاص للخواص، وهو الموت على الإيمان، وحسن المعاملة والإيقان .

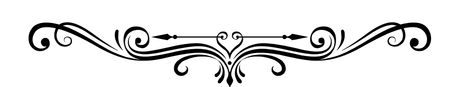
والثالث: أخص الخاص، لأخص الخواص، وهو الموت على الإحسان، بمشاهدة الملك الديان، وهذا هو الحسن الأحسن حقيقة وحساً، فاجتهد أيها الرائم للعلى، في أن يكون قصدك مشاهدة المولى، فإنه النعيم العظيم الذي لا يبلى، ولا يتم لك ذلك إلا بحفظ القلب عن الموت والغفلة .

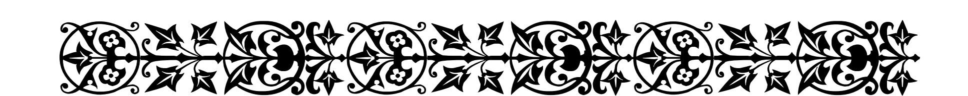
وقد قال العارف بالله تعالى أبي بكر الكتّاني، -قدس الله سرّه- : (رأيت المصطفى ﷺ في المنام فقلت: أدع الله لي، أن لا يميت قلبى، فقال: قل كل يوم أربعين مرة: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت)، ووقتها بعضهم بما بين فرض الصبح وسنته .

وهذا، وأصل ذلك والأساس، تقوى الله التي هي أشرف لباس، ولذلك كانت وصيته سبحانه لسائر الناس، كما قال: (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) . وفي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله)، فعلى الصادق في طلب حسن

الختام، أن يجتهد في تقوى الله ما أمكن بالتمام، لينال السعادة وفوق المرام، كما قال جلّ شأنه: ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتّقه فأولئك هم الفائزون﴾ .

وبهذا حصل التمام وحسن الختام، بما أجراه المليك السلام، بيد عبده وفقيره الغني، عبد الله بن إبراهيم بن حسن ميرغني، الحسيني الحنفي، أحسن الله إليه بقربه، وجعله من أخص خواص رهط حبه، وجعل ختامه مسكاً، وأصلح له نفسه ووالديه وذريته وإخوانه وأحبابه، و﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد رب العالمين﴾ .





٤

تحريض الأغبياء
على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء

تأليف
السيد عبد الله الميرغني المحجوب

نبذة من ترجمة المصنف
ملتقطة من معجم السيد مرتضى الزبيدي رحمه الله تعالى

هو عفيف الدين أبو السيادة، عبد الله بن إبراهيم بن حسن بن محمد أمين بن علي ميرغني، الحسيني النسفي، البخاري الأصل المكي، ثم الطائفي الحنفي، المحجوب، شيخنا القطب، ولد بمكة، وبها نشأ، وحضر في مباديه دروس بعض علمائها، كالشيخ النخلي وغيره، واجتمع بقطب زمانه السيد يوسف المهدلي، وكان أوحد عصره، فانتسب إليه ولازمه، حتى رقاه، وبعد وفاته جذبته عناية الحق، وأرته من المقامات، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فحينئذ انقطعت الوسائط، وسقطت الوسائل، فكان أُويسياً، تلقيّه من حضرة جده ﷺ، كما أشار إليَّ ببعض ذلك، وظهرت كراماته، وبهرت إشاراته، أول ما اجتمعت به بمكة، في رباط الزمامية، وذلك في سنة ١١٦٣هـ، فلاحظني بأنظاره العلية، وشملتني نوافح أنواره البهية، ثم عدت إلى اليمن، ثم وردت مكة سنة ١١٦٦هـ، والمترجم له، كان انتقل إلى الطائف بأهله وعياله، فذهبت إليه ولازمته ملازمة العبيد للأسياد، وتشرفت بسماع ما يلقيه من فوائده العالية الإسناد، وأمرني بكتابة بعض ما تيسر من مؤلفاته، فكتبتها بخطي، وحررتها بضبطي، وقد أجازني بكل ما عنده، وطلبت منه مرة إسناد كتب الحديث، فقال عني عن رسول الله ﷺ، فعلمت أنه أُويسي المقام، ومآثره شهيرة، ومفاخره كثيرة، وأحواله في احتجابه عن الناس مشهورة، وأخباره في زهده عن الدنيا، على ألسنة الناس مذكورة، فلا حاجة إلى الإطالة بها، انتهى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أبدع هذا النظام، على أحكم وجود الانتظام، وأتقن هذا الوجود، لنظام الدرّ المنضود، وجعل ظاهره عنوان باطنه، وباطنه جامعاً لأسراره ومعادنه .

أحمده أن جعل قواعد ملكه الظاهر، مظاهر معاقد ملكه الباطن الفاخر، فما من شيء من لوازم الملك الموجود، إلا ومثله وأعظم في ملكه المشهود، وما ذاك إلا لاقتضاء الملكين، لزوم هاتين القاعدتين، وأشكره أن جعل الوسائل والأسباب والأبواب، مفاتيح للورَّاد والطلاب والرُّغاب .

وأُصلي وأُسلم على الوسيلة العظمى، والباب الأعظم الأسمى، والسبب الأفخم الأحمى، وعلى الوسائل والأبواب، وسائر الأسباب والأنساب .

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة مؤمن بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ)، وأشهد أن محمداً رسول الله، شهادة مُوقنٍ بنفع الوسائل وفضل ذي الفضيلة .

وبعد: فهذه كلمات وضعتها في لزوم التوسل بالأنبياء والأولياء، ووجوب الاستغاثة بالأتقياء والأصفياء، كما مرَّ عليه عامة السلف والخلف، ومشى إليه أولو العلم والفضل والشرف، وأصول منهجهم ثلاث آيات، وكثير إشارات وأحاديث صَيِّنات، وكثير أخبار وآثارٍ زينات، ونتكلم على

كل آية بما يفتح الوهّاب، من هاتيك الأبواب، وليس بواسطة تلك الأسباب، فنقول :

المقصد الأول من الآيات

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ)، اعلم أن الوسيلة قسمان: قديمة، وحادثة، فالقديمة هي: ذاته تعالى وصفاته وأسماؤه وكلامه، فالتوسل بها لا يتوقف فيه إلا ملحد أو جاحد عنيد متمرد، والحادثة العظمى منها: هو سيدنا رسول الله، وأنبياؤه وملائكته وأصفياؤه وأولياؤه، والتوسل بهم ثابت وواقع من ابتداء الوجود إلى انخرامه، في تحليل كل خطب وانبرامه، والنداء لهم والاستغاثة بهم والنَّدْه لهم كذلك، لا ينكره إلا أعمى البصر والبصيرة، وكيف ينكر ما وقع من كثير لكثير من الصحابة والتابعين، والعلماء الراسخين والأولياء العارفين، وسيما ما نظموه ونثروه، وهل هذا الإنكار إلا من عمى البصائر والأبصار؟، أو من الجهل بالبراري والأبحار، أو الشموس أو الأقمار، ومعاذ الله أن ينكره معترف، أو مَن مِنْ بحار إيمانه مغترف .

ولا شك أن الأصل في الأمر الوجوب، والتوسل لازم مؤكد محبوب، ولا يتوصل إلا به إلى المطلوب، فهو من المطلوب، وفي نهج السعادة، قال: ﷺ (تَوَسلُوا بِي وَبِأَهْلِ بَيْتِي إِلَى اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ مُتَوَسِّلٌ بِي وَبِأَهْلِ بَيْتِي إِلَى

اللهِ، لَا يُرَدُّ مُتَوَسِّلٌ بِنَا)، وقد استغاث عمر بالعباس، وكان ابنه يندبه لسيد الناس أجمعين ﷺ، وإذا لم تقع الوسائل في الملمات والنوازل فما من ذي الوسيلة، وما من هاتيك الحيلة، وأيٌّ واللهِ لها وأيُّ فضيلة، وقد ظهرت فضائلها وفواضلها في كل ذلك ظهور الشمس في ضاحية النهار، حتى لم يكن على ذلك عند أربابه غبار .

المقصد الثاني

قال الله تعالى: (وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) .

اعلم أن البيوت نوعان: حسية، ومعنوية، وهي أماكن القصد والأمنية، فأبوابها كذلك، ولا شك أن الباب الأعظم هو سيدنا رسول الله ﷺ، ثم رسل الله وأنبياؤه وملائكته، وخواصه وأولياؤه، والإتيان إليهم بوجوه: منها الزيارة، ومنها الاستغاثة، والنداء عند الغارة، ومنها اللجأ والنَّدْه عند حلول الضيق في المحارَة، وإذا نفعت إغاثة اللهفان، ولو كان من كان، فلأن تنفع إغاثة أُولي الشأن، عند من: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) أولى، وهذا الأمر أيضاً للوجوب، وكيف لا يكون كذلك، والسلطان المجازي الصوري العدمي مرتِّب مُلكه على هذا التراتيب، ومحدد بحدود وأساليب وأعاجيب، وأبواب ودساتير ومحابيب، حتى أن من جاء على خلاف مراده، لا يرضاه ولو كان من أهل وداده، لأن بغير هذا الترتيب

والنظام لا يتم الانتظام، ولا يكون التمام، وهذا من بديع الاصطناع، ورفيع الاختراع، وعظيم شأن السلطنة، وخطير شأو المشانة، وكذا رأي كثير منا ما من طرق الباب الأكبر، رده إلى الأصغر، كما يقع كذلك من الملوك المحازية بالفعل، وهل هذا يوجب نسبة الملك إليهم فضل عن الربوبية، معاذ الله أن يقول بهذا إلا أخرق، أو عديم حواس أكمه أحمق، بل هذا أثبت في الإقرار بعظيم الربوبية، وأعظم في الاعتراف بالشئون التوحيدية، فإن الملك العظيم والسلطان الفخيم، يهب من يشاء من خواصه من التصريف، والحل والعقد والتحريف، بقوة سلطانه وعزة قدرته وشأنه، لتكثر سلاطينه، وتظهر براهينه، فتدبر في هذا بعين الانصاف، ودع التعصب والاعتساف .

وإذا علمت ذلك وتحققت لما هنالك، قطعت بأن خلافه خرقُ العادة، وإكرامٌ للسادة، وإغواء وإملاء لذوي الجحادة، وفقنا الله على الوقوف على حدوده، ولا جعلنا ممن تعداها إلى جحوده، وغمر في وحله وكفره ونكده، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون﴾ .

المقصد الثالث

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ)، هذه الآية نظير الحديث القدسي: (كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِياً فَأَحْبَبَتُ أَنْ أُعْرَفُ فَخَلَقْتُ الخَلْقَ لِأُعْرَفَ)، فانظر كيف علل الخلق في النوعين بالتعريف للتشريف لكل عين، وما ذاك إلا أن الأتقى نائبه بخلافة، وكذا: (خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)، وذلك ليعرف الخلق مقدار الثُّواب، وأنهم الوسائل والأسباب، فيأتونه من هذه الأبواب، ولا ينادونه من وراء حجاب، ولا يبادرونه بخطير الخطاب، فيردون إلى المخاف، ولا يقفون على مطلب كما هو العادة، فيمن جاء من غير باب، وتدبر في قوله تعالى: (لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْت سَمْعَه الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ)، إلى أن قال: (وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَإِن اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنهُ)، الحديث القدسي تجده يقول: هو حضرتي فأندهها، وخليفتي فارهبها، وإن لم تدركه هذا فَقَلَّ إنه مجاب ومعطَى وباب، فألجأ إليه لئلا لا تجاب، وأنده في كل خطب عجاب، وهذا من عظيم تفضلاتي، وجليل مكارمي وهباتي، أجود بنفسي وبواسطاتي، وأفيض محاسني وصلاتي، فله الحمد على ذلك، وله الشكر هنا وهنالك، ولا يشكر اللهَ من لا يشكر الناس، ولا يعبده من بنى على غير أساس، ولا يصله من سار في غير قسطاس، (وَلِلَّهِ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ

وَالأَرْضِ)، ولا تفتح إلا بمفاتيحها، فافتح بصرك يا خفاش النهار، وقل (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ)، وله أبوابٌ وسبل وأقطار، فلا ينزل المدد المدرار، إلا من قنواته في سائر الأماكن والأعصار، فكم شوهد خيبةُ من فعل خلاف ذلك، وتعسه من جهل ما هنالك، وعن هذا قلت:

صاح مهما ضقت ذرعاً فاستغث بالأولياء

ينزل القصد سريعاً راغماً للأشقياء

ولهذا يتبين لك وجوب التعلق بالوسائل والأسباب، وتأكد لزوم التزام الوسائط والأبواب، فتعلق بالوسائل والأسباب، والجأ واستغث وانده لخواص الله والأحباب، واطرق لدى الخطوب ما شئت من الأبواب، تنل بذلك من فيض الوهاب، ما لا يدخل في حساب، ولا يرقم في كتاب، لما ربطه الحكيم الوهاب، بالوسائط والأسباب، وتكن مؤمناً كاملاً، وموقناً تاماً يقيناً وصدقاً، كما حكى الله تعالى عن أهله بقوله: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)، وتبرأ من كفر من حكى عنه بقوله: (وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ) .

وهذا مذهب عامة السلف والخلف، وعليه عمل الكل في كل حين وغرف، فعليك به وبرهطه وحزبه، وإياك ما ذهب إليه جلف العلماء وقلف القلوب، أولو العمى، ولا تفتتن بتزويفاتهم وتنميقاتهم واستدلالهم بالنقل والعقل، وقولهم: إن هذا من الشرك، وما ذاك منهم إلا أنواع من

الكفر والإفك والحسد والأشر والكبر والبطر، ويكفي أنه لا يوافق على ذلك إلا كل متكبر مجتري، خائب محروم مما هنالك فيكفر، في الواقع تعرف البون هو الفرق بين الفريقين، وتقطع بشرف فاعل ذلك، وبتعس منكر ما هنالك، ويكفي المحروم الحرمان، ولو لم يكن إلا الرجوع إلى ذلك، رغماً كما وقع لكثير لدى اشتداد الخطوب حتماً لكفى في فتح أبصار كل منكر أعمى، لكن من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ومن يقوى لعظم أنواع العذاب والطرد والضرب ؟، إذ قال تعالى: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ)، إلا كل متكبر عنيد جبار، كما قال سبحانه: (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) .

فإن قلت: إن أردت بالوجوب الثبوت، فظاهرٌ لكنه خلاف السياق والظاهر، ولا قائل به، قلت: هو مقتضى قواعدهم وإن لم ينصوا عليه، نعم تدور عليه الأحكام الستة، كالدعاء ونحوه، لاختلافه باختلاف المقاصد، والله أعلم .

تنبيه: لعلك تقول: التصرف من لوازم الحياة، وبالموت يزول، فكيف يمكن أن يدول؟، فأقول: هم أحياء عند ربهم، وحضور لدى ملّهم، فيتصرفون بحول من له الحول، وله القوة والطول، وكم شوهد مما لا يحصى، ولا يعد فيستقصى، حتى لقد خرج البعض من قبره جهاراً، وقضى لقاصده ومناديه أوطاراً، فإن قلت: هذا القطب الأكبر والغوث الأعظم الأفخم الشيخ شمس الدين الحفني قدّس الله أسراره يقول: (إذا مات الولي انقطع

تصرفه في الكون، وعدم الإمداد للزائرين، فإن حصل مدد للزائر، وقضاء حاجة فمن الله على يد القطب)، ومنه أخذ أجلاف العلماء انقطاع تصرف أموات الأولياء الكرماء .

فأقول: لا شك في أنهم أحياء، وتصرفهم أظهر من الممات والمحيا، وكم وكم مما به الله أحكم، وله في ذلك كم من حكم، حتى أرشد بعضهم مريده جهاراً، وصافحه ولقنه نهاراً، كما خرجت اليد الشريفة للسيد الرفاعي، وكم انتفع بعض المريدين من شيخه بعد مماته أكثر من حياته، وكم دخل في طريقته كذلك، وما ذاك إلا مما هنالك، وكيف والشيخ نفسه يقول: (من له حاجة فليأتي قبري، ويطلب فإنها تقضى)، إلى أن قال: (من حجبه عن أصحابه ذراع فليس برجل)، وكم غيره قال ذلك وأعظم من ذلك، وإنما قال بالانقطاع، لما شوهد من خصوصية بذلك في وقتها، ولا مانع لكثير مزايا المعطي المانع، لا أن ينقطع مطلقاً، والمشاهد خلافه .

وفي الحديث عن أَبي جُرَيٍّ جابر بن سُلَيم ﵁ قَالَ: (رَأَيتُ رَجُلاً يصْدُرُ النَّاسُ عِنْدَ رَأْيِهِ، لاَ يَقُولُ شَيْئاً إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ، قلتُ: عَليكَ السَّلامُ يَا رسولَ اللهِ مَرَّتَيْنِ، قَالَ: (لاَ تَقُلْ عليكَ السَّلامُ، تَحِيَّةُ الموْتَى، قُلِ: السَّلامُ عليكَ، قَالَ: قلتُ أَنتَ رسول اللهِ؟، قَالَ: (أَنَا رَسُولُ اللهِ، الَّذِي إِذا أَصابَكَ ضُرّ فَدعَوْتَهُ كَشَفَهُ عنكَ، وإِذَا أَصَابَكَ عَامُ سنَةٍ فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عليكَ) الحديث، فهذه الأوصاف يمكن أنه أراد بها الله، وهو الظاهر، ويمكن أنه أراد نفسه، وأراد بذلك النداء له في الخطوب، فيسرع بتفريج

الكروب، ومن هنا قال السيد الحبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأمدنا بمدده، ونفعنا بجواره ومدده، آمين آمين .

إذا طارقات الهمّ ضاجعت الفتى وأعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرني في حاجة لم يجد لها سواي ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجتُ بمالي من همّه من مقامه وزايله هم طروق مسامر
وكان له فضل عليّ بظنه بي الخير إني للذي ظنّ شاكر

وهذه الأبيات أثرها ظاهر في كثير الأوقات، وكم كانت له بها كرامات، وهي من المعجزات لسيد السادات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

خاتمة

أعلم يا أخي، هداني الله وإياك، ولا أعماني ولا أصماك، أن أهل البيت النبوي قسمان: صوري حسي، ومعنوي إنسي، فالقسم الأول معروف، وبالشرف بين الأنام موصوف، والقسم الثاني هم أولياء الله الذين إذا رُءوا ذكر الله، وقد ألحقهم بالأول سيدنا رسول الله ﷺ في الفضل والشرف وبأهل البيت، بقوله: (سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ) .

وقد جرت عادة الله في أجلاف العلماء والكبراء والعظماء، بالحقد عليهم حسداً لهم، بما أوتوا من الشرف الأعلى والمظهر الأغلى، والظهور الأجلى والطهور الأحلى، وكل ذي نعمة محسود، وكل حاسد مطرود، وعن الخير مبعود، وفي الشر ممدود، ومن آذى أولياء الله فقد حاربه الله، ومن حاربه خسر دينه ودنياه، وانقلب وجهه قفاه، ورجع القهقري إلى وراء، وأنشد لسان حالهم فيه :

نحن بالله عزنا لا بمال ومنصب ... كل من رام ذلنا حسبنا الله والنبي

وقال فيه تصدير وتعجيز :

نحن بالله عزنا عز من كل مركب ... وبطه افتخارنا لا بمال ومنصب

كل من رام ذلنا حطه الله فارقب ... والنبي إن سهمنا حسبنا الله والنبي

وأرغمه بقولي منشداً عن لسان حالهم، متبجحاً بقالهم :

نحن الملوك لا تنقص عزائمنا فمن يكن في الناس أو يرم
نحن الفوارس في العلياء بلا ريب ميداننا لم يحمه كل متهم
نحن الأعزة عند الله أجمعنا فاقصد لنا إن ترمه غير منفصم
نحن الغياث لمن ضاقت مذاهبه فاهتف بنا إن تضق أو إن تكن تضم
نحن الذين لهذا الكون ذو مدد يناله من دنا أو نأى فعمي
نحن الذين من بداهم بالأذى له حرب من الله من يقوى له يقم
نحن الذين لهم جاه له سعة لكل من يخشى في الكون من إضم
من رامنا في خطوب حل معضلها وما رامنا بسوء صاح وا ندمي
يا منكراً عاذلاً من أحب لنا يكفيك حرماننا إذ كنت أنت عمي
النَّعم تعرفنا ثم الجماد لها شوق إلى مربع كنا به قدم
خير الوجود دُعي كيف تنفعنا محيا مماتاً وحشراً فاستفق وهم
يكفي لنا شرفاً ما فوقه شرف فابصر هديت لما أوليت من نعم
تحية الملك الأعلى ورحمته على محمد المحمود في القدم
والآل والصحب ما لاحت بروق رُبا وفاح نشر الحمى من ذلك العلم

أو لم يتأدب الحاسد الفاقد والجامد الخامد المطرود، الراقد والمعبود، الشاهد والمشاهد، فيمن قال في حقه الكبير المتعال: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)، وقال: (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ)، وقال: (إِنَّ الَّذِينَ

قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)، وقال بلسان نبيّه: (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)، إلى غير ذلك مما لا يذكر، وما خفي كان أكبر.

وقد كانت هذه الكلمات في بعض سُويعات، وهي بحسب ما جرى على الخاطر، وما ورد من الإله الفاطر، وإلا فلو تتبعنا النقول لحار في تبيان سردها العقول، ويكفي ذا اللّب والإحساس، آية (وَلَوْ لَا دَفْعُ اللهِ لِلنَّاسِ)، وعنها قال سيد الأناس: (لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاس)، وبيان الآية بأقصر الوجوه، أن الدفع هو النفع وهو حسيٌّ ومعنوي، والمدفوع الذي هو الفساد كذلك، فالصوريّ ما عبر به بقوله تعالى: (لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ)، والمعنوي ما أشار إليه بقوله سبحانه: (لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ) إلخ.

ومن المعلوم المشاهد المفهوم أن كلّ من حَدَث له شيء من نوائب المَلك رجع إلى خاصته المخصوصة به، وتوجه وتوسل بوسيلته وحزبه، وهكذا فافهم معاني النقول والمعقول، لا كما احتج به الأجلاف، واستدل به الأطراف، فإنهم ما حاموا حوله فما عرفوا، ولكن بعقولهم الفاسدة حرّفوا وصرّفوا، فنعوذ بالله منهم ونعوذ، ونلوذ إليه من أفعالهم ونلوذ، أما علموا أن نتائج أفعالهم تكفير أكثر العلماء بأفعالهم، فقبحهم الله تعالى وأخزاهم، أما

فهموا أن آحاد أتباع الملوك المجازية، لا يجتري أحد أن يُقِلَّ أدبه معهم في قضية، فكيف بخواصه السمية، فضلاً عن خواص الحضرة العلية، لكن شأن الحمير والبقر، أن تنفر وتنطح بلا نظر، بل هي لو تدبرها العاقل لأراها في غالب أحوالها تتبصر، وفي جل حركاتها وسكناتها تتمهر، فمن لا يساوي البقر والحمير، لا ينفعه خمير ولا فطير، ولا يفيده خطير ولا حقير .

واعلم يا أخي أن إنكار ذلك من ضعف اليقين، وسخف الإيمان والجرأة على اليمين، وسيما في هذا الحين، الذي ذهب فيه الدين، وعودي وهي من الخلق المهين، فإن غالب أدلة السوى عندهم الحلال والحرام، والمحاسن والملام، والخبيث والطيب والقبيح والحسن، بل قد افتخروا بالفواحش، وتكبروا بالدناءة والنواهش، فلا بدع أن ينكروا ذلك ويشكروا ما هنالك، وهذا الأمر مشاهد محسوس، ولا ينكره إلا كل أعمى مطموس، وممن في قبائحه وفضائحه منكوس مغموس، وقد أخبر بهذا الصادق المصدوق بأحاديث لا تُحصى، وأخبار لا تستقصى، ويكفي ما رواه البيهقي في الشعب عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَبْقَى مِنَ الإِسْلامِ إِلا اسْمُهُ، وَلا يَبْقَى مِنَ الْقُرْآنِ إِلا رَسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ عَامِرَةٌ، وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، عُلَمَاؤُهُمْ شَرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، مِنْ عِنْدِهِمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَفِيهِمْ تَعُودُ)، وهذا مصرح برفع معالي هذه الأشياء وأسرارها، والمقصود منها وإن وجدت صورته، ومن

تدبر أحوال هذا الوقت رأى الأمر كذلك بلا شك، وأن ما هنالك منفك ، وعنه قلت :

ما في الزمان من العكوس ثم النحوس مع النكوس
لم ولا دين أهيله تلك الدراهم والفلوس

وقلت في بعض المنفرجات :

تَبَّاً لِعُبَّادٍ قد عَبَدُوا صَنَمَ الأهواءِ على عِوَجٍ
فالدُّنيا الدُّنيا دِينُهُمْ والله وأحمد في الهيج
آهٍ منا ولنَا ماذا يختارُ الأعوجُ من نَهَج

واعلم أن قوة التعلق بالوسائل والأسباب، وشدة ربط القلوب بالأسباب والأبواب، من قوة الإسلام والإيمان، وصلابة الدين والإيقان، ووهن هؤلاء ووهن ذلك، وعاد كل بضد كل ذلك، وما زالت الناس بخير ما قوى الكل، وما عظم الجزء مع القُلّ، وما كثر شرّ الزمان وضره ودنسه وغثائه ومره إلا بوهن ذلك، وهذا شاهد لمن تدبر، وتفكر وتبصر، فتدبروا يا ذوي الأفكار، واعتبروا يا أولي الأبصار، وقولوا: الأمر لله الواحد القهار، اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا شر ما قضيت، اللهم آمين .

هذا : وقد جرى الإلهام بتسمية هذا الكلام (تحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء)، وصلّى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلّم، قال في الأم: وكان الفراغ من نسخها يوم السبت، في ١٩ ذي القعدة

سنة ١٢٥٥هـ، على يد أفقر الناس إلى ربه المجيد محمد صالح بن محمد عباس بن محمد سعيد سنبل بن محمد سنبل فقيه بالمروة، غفر الله له ولجميع المسلمين آمين آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام الحافظ الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي، خطيب بغداد -رحمه الله تعالى- :

رسمت في هذا الكتاب لصاحب الحديث خاصةً، ولغيره عامة، ما أقول نصيحة مني له وغيرة عليه، وهو أن يتميز عمن رضى لنفسه بالجهل، ولم يلزم فيه معنى يلحقه بأهل الفضل، وينظر فيما أذْهَبَ فيه معظم وقته وقطع به أكثر عمره، من كتب حديث رسول الله ﷺ وجمعه، ويبحث عن علم ما أمر به من معرفة حلاله وحرامه وخاصه وعامه وفرضه وندبه وإباحته وحظره وناسخه ومنسوخه وغير ذلك من أنواع علومه، قبل فوات إدراك ذلك فيه .

وروى بإسناده إلى الشافعي، أنه قال: (تفقه قبل أن ترأس، فإذا ترأست فلا سبيل إلى التفقه) . وروى بإسناده إلى أبي محمد المروزي قال: (كان يقال إنما تقبل الطينة الختم مادامت رطبة٩، أي أن العلم ينبغي أن يطلب في طرءة السن .

وقال وجاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أنه قال: (تفقهوا قبل أن تسودوا)، ثم ساقه بإسنادين له، أحدهما من طريق ابن سيرين عن الأحنف بن قيس عن عمر، والآخر عن الحسن عن الأحنف عن عمر، قال والصواب: عن ابن سيرين كما ذكرنا أولاً، والله أعلم . قال: وقال: أبو عبيد في حديث عمر: (تفقهوا قبل أن تسودوا) ، يقول: تعلموا العلم ما دمتم صغاراً، قبل أن تصيروا سادةً رؤساء، منظوراً إليكم، فإن لم تتعلموا قبل ذلك استحييتم أن تتعلموا بعد الكبر، فبقيتم جهالاً، تأخذونه من الأصاغر، فيزري ذلك بكم، وهذا شبيه بحديث عبد الله: (لَنْ يَزالَ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا العِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ مِنْ أَصَاغِرِهِمْ فَقَدْ هَلَكُوا)، قال أبو عبيد: وفي الأصاغر تفسير آخر، بلغني عن ابن المبارك أنه كان يذهب بالأصاغر إلى أهل البدع، ولا يذهب إلى السن .

ثم ساق بإسناده إلى أبي أمية الجمحي، قال: سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عن أشراط الساعة قال: (لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ، مَا أَخَذُوا العِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ، وَعَنْ أُمَنَائِهِمْ عُلَمَائِهِم، فَإِذَا أَخَذُوهُ عَنْ صِغَارِهِمْ وَشِرَارِهِمْ هَلَكُوا)، وروى بإسناده إلى عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدَّيْنُوري، قال: سألت عن قوله: (لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا العِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ)، يريدُ: لا يزالُ الناس بخيرٍ ما كان علماؤهم المشايخ ولم يكن علماؤهم الأحداث، لأن الشيخ قد زالت عنه ميعة الشباب وحِدته وعَجَلَته وسَفهُه، واستصحب التجربة والخبرة ولا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى ولا يميل به الطبع، ولا

يستزله الشيطان استزال الحَدثِ، ومن المسن الوقار والجلالة والهيبة، والحدث تدخل عليه هذه الأمور التي أمنت على الشيخ، فإذا دخلت عليه وأفتى هلك وأهلك . قال الخطيب -رحمه الله- : ولا يقتنع بأن يكون راوياً حَسْب ومحدثاً فقط .

وروى بإسناده إلى علي بن موسى الرضا، عن أبيه عن جده، عن آبائه، أن رسول الله ﷺ قال: (كُونُوا دُرَّاةٌ وَلَا تَكُونُوا رُوَّاة، حَدِيثٌ تَعْرِفُونَ فِقْهَهُ خَيْرٌ مِنْ أَلْف تَرْوُونَهُ) . وروى بإسناده إلى الربيع بن سلمان قال: سمعت الشافعي، وذكر من يحمل العلم جزافاً، فقال: هذا مثل حاطب ليل، يقطعُ حُزْمَةَ حَطَب فيحملها، ولعل فيها أفعى فتلدغه، وهو لا يدري . قال الربيع: عنى الذين لا يسئلون عن الحجة من أين ؟ .

وروى بإسناده إلى أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد قال: سئل بعضهم متى يكون الأدب ضاراً ؟، قال: إذا انقضت القريحة، وكثرت الرواية .

قال: أخبر القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي، أنا أبو الحسن محمد بن جعفر التميمي الكوفي، قال: قال: لنا أبو العباس بن عقدة يوماً، وقد سأله رجل عن حديث، فقال: أقِلوا من هذه الأحاديث، فإنها لا تصلح إلا لمن علم تأويلها .

فقد روى يحيي بن سليمان عن ابن وهب قال: سمعت مالكاً يقول: كثيرٌ من هذه الأحاديث ضلالةٌ، لقد خَرَّجت من أحاديث لَوَدِدْتُ أنّي ضُرِبت

بكل حديثٍ منها سَوْطَيْن وأنّي لم أُحَدّث بِهِ . ولعله يطول عمره فتنزل به نازلة في دينه يحتاج أن يسأل عنها فقيه وقته، وعسى أن يكون الفقيه حديثَ السن، فيستحي أو يألَفَ من مسألته ويضيع أمر الله في تركه، معرفة حكم نازلته .

وروى بإسناده إلى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أنه قال: قد علمت متى صلاح الناس، ومتى فسادهم، إذا جاء الفقه من قبل الصغير، استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من قبل الكبير، تابعه الصغير فاهتديا، وإن أدركه التوفيق من الله، وسأل الفقيه لم يأمن أن يكون بحضرته من يزري به ويلومه على عجزه في مقتبل عمره، إذا فرط في التعليم، فينقلب حينئذ واجماً، وعلى ما أسلف من تفريط نادماً .

وروى بإسناده إلى محمد بن عبيد قال: جاء رجل وافر اللحية إلى الأعمش، فسأله عن مسألة من مسائل الصبيان، يحفّظُها الصبيان، فالتفت إلينا الأعمش، وقال: انظروا إلى لحية تحتمل حفظ أربعة آلاف حديث، ومسألته مسألة الصبيان . قال: وليعلم أن الإكثار من الحديث، وروايته لا تُصيّر الرجل فقيهاً، وإنما تفقّهه باستنباط معانيه، وإمعان التفكر فيه .

وروى بإسناده، إلى مالك بن أنس، أنه قال لابني أخته أبي بكر وإسماعيل ابنَيْ أبي أوي: أراكما تحبان هذا الشأن وتطلبانه؟ ، قالا: نعم، قال: إن أحببتما أن تنتفعا به، وينفع الله بكما، فأقِلّا منه وتفقّها .

وروى بإسناده، إلى الأعمش، قال: لما سمعت الحديث قلت: لو جلست إلى سارية أُفتي الناسَ، قال: فجلست إلى سارية فكان أول ما سألوني عنه لم أدري ما هو .

وروى بإسناده، إلى ابن خلاد، قال: حدثنا أبو عمر أحمد بن سهيل قلت: حدثني رجل ذكره أهل العلم، قال خلاد: فأُنسيت أنا اسمه، قال: وقفت امرأة على مجلس، فيه يحيي بن معين، وأبو خثيمة، وخلف بن سالم، في جماعة يتذاكرون الحديث، فسمعتهم يقولون: قال: رسول الله ﷺ ورواه فلان، وما حدّث به غير فلان، فسألتهم عن الحائض تغسل الموتى، وكانت غاسلة، فلم يجبها أحد منهم، وجعل بعضهم ينظر إلى بعض، فأقبل أبو ثور، فقالوا لها: عليك بالمقبل، فالتفتت إليه، وقد دنا منها، فسألته فقال: نعم، تُغسِّل الميتَ، لحديث القاسم، عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ ، قال لها: (إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ، وَلِقَوْلِهَا: كُنْتُ أَفَرُق رَأْسَ رَسُول الله ﷺ بِالمَاءِ وَأَنَا حَائِض)، قال: أبو ثور: فإذا فَرَقَت رأس الحي فالميت أولى، فقالوا: نعم، رواه فلان وحدثناه فلان وفلان، ويعرفونه من طريق كذا، وخاضوا في الطريق، فقالت المرأة: فأين كنتم إلى الآن ؟ .

وإنما أسرعت ألسنة المخالفين إلى الطعن على المحدِّثين، لجهلهم أصول الفقه، وأدلته في ضمن السنن، مع عدم معرفتهم بمواضعها، فإذا عرف صاحب الحديث بالتفقه، خرست عنه الألسن، وعظم محله في الصدور والأعين، وخشي من كان عليه يطعن .

وروى بإسناده، إلى وكيع، قال: قال: لقيني أبو حنيفة، فقال لي: لو تركت كتابة الحديث، وتفقهت أليس كان خيراً ؟، فقلت: أفليس الحديث يجمع الفقه كله، قال: ما تقول في امرأة ادعت الحمل، وأنكر الزوج ؟، فقلت له: حدثني عبَّاد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن النبي ﷺ لَاعَنَ بِالحَمْلِ)، فتركني، فكان بعد ذلك إذا رآني في طريق، أخذ في طريق آخر .

وروى بإسناده، إلى علي بن خشرم قال: سمعت وكيعاً غير مرة يقول: يا فتيان، تفقهوا فقه الحديث، فإنكم إن تفقهتم فقه الحديث، لم يقهركم أهل الرأي .

وروى بإسناده، إلى علي بن خشرم المروزي أيضاً، قال: سمعت وكيعاً يقول لأصحاب الحديث: لو أنكم تفقهتم بالحديث، وتعلمتموه ما غلبكم أصحاب الرأي، ما قال أبو حنيفة في شيء يحتاج إليه، إلا ونحن نروي فيه باباً .

قال رحمه الله: ولابد للفقيه أستاذ يدرس عليه، ويرجع في تفسير ما أشكل إليه، ويتعرف منه طريق الاجتهاد، وما يعرف به الصحة والفساد .

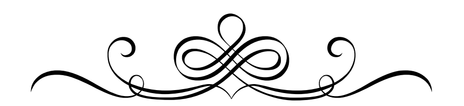
وروى بإسناده، إلى سليمان بن أبي شيخ قال: أخبرني بعض الكوفيين، قال: قيل لأبي حنيفة: في المسجد حلقة ينظرون في الفقه، قال: لهم رأسٌ ؟ ، قالوا: لا، قال: لا يفقهه هؤلاء أبداً .

وروى بإسناده، إلى إبراهيم بن إسحاق الزهري ثنا أبو نعيم قال: كنت أمُرُّ على زُفَر، وهو مُحْتَبٍ بثوبه في كتِدِه، فيقول: يا أحول تعال، حتى أُغَربِل لك أحاديثك، فأُرِيه ما قد سمعتُ، فيقول: هذا يؤخذ به، وهذا لا يؤخذ به، وهذا ناسخ، وهذا منسوخ .

وروى بإسناده، إلى عبيد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى الأعمش فسأله عن مسألة، وأبو حنيفة جالس، فقال الأعمش: من أين قلت هذا ؟ ، فقال: من حديثك الذي حدثتناه، قال: نعم نحن صيادلةٌ، وأنتم أطباء، وفي رواية قال: كنا عند الأعمش، وهو يسأل أبا حنيفة عن مسائل، ويجيبه أبو حنيفة، فيقول له الأعمش: من أين لك هذا ؟ ، فيقول: أنت حدَّثْتَنَاهُ عن إبراهيم بكذا، وحدَّثْتَنَاهُ عن الشعبي بكذا، قال: فكان الأعمش بعد ذلك يقول: يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء، ونحن الصيادلة .

وروى بإسناده، إلى عطية بن بقية، قال: قال أبي: كنت عند شعبة بن الحجاج، إذ قال لي: يا أبا محمد، إذا جاءتكم مسألة معضلة، ممن تسألون عنها ؟، قال: قلت في نفسي: هذا رجل قد أعجبته نفسه، قال: قلت: يا أبا بسطام، نوجه إليك وإلى أصحابك حتى يُفتوه، قال: فما كان إلا هُنَيْهَةٌ، إذ جاءه رجل، فقال: يا أبا بسطام رجل ضرب رجلاً على أم رأسه، فادعى عليه المضروب، أنه انقطع شُمه، قال: فجعل شعبة يتشاغل عنه يميناً وشمالاً، فأومأت إلى الرجل أن ألحَّ عليه، فالتفتَ إليّ، فقال: يا أبا محمد ما أشرَّ البغي على أهله، لا والله ما عندي فيه شيء، ولكن افْتِه أنتَ، قال:

قلت يسألك وأُفْتِيه أنا ؟، قال: فإني قد سألتك، قال قلت: سمعت الأوزاعي والزبيديّ يقولان: يُدَق الخردل دقاً بالغاً، ثم يشمُّ فإن عطس كـذب، وإن لم يعطس صدق، قال: جئت بها باقيةً، والله ما يعطس رجلٌ انقطع شُّمهُ أبداً.



٥

النفحات القدسية من الحضرة العباسية في شرح الصلاة المشيشية

تأليف

السيد عبدالله الميرغني المحجوب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

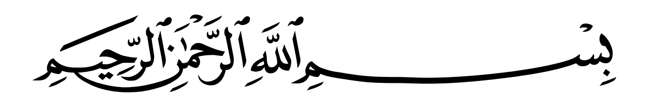
الصلاة المشيشية للسيد عبدالسلام بن مشيش

اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الأَسْرَارُ، وَانْفَلَقَتِ الأَنْوَارُ، وَفِيهِ ارْتَقَتِ الْحَقَائِقُ، وَتَنَزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ فَأَعْجَزَ الْخَلاَئِقِ، وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الْفُهُومُ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلاَ لاَحِقٌ، فَرِيَاضُ الْمَلَكُوتِ بِزَهْرِ جَمَالِهِ مُونِقَةٌ، وَحِيَاضُ الْجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَةٌ، وَلاَ شَيْءَ إِلّا وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ، إِذ لَوْلاَ الْوَاسِطَةُ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ الْمَوْسُوطُ، صَلاَةً تَلِيقُ بِكَ مِنْكَ إِلَيْهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ الْجَامِعُ الدَّالُ عَلَيْكَ، وَحِجَابُكَ الأَعْظَمُ الْقَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ وَحَقِّقْنِي بِحَسَبِهِ، وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ مَعْرِفَةً أَسْلَمُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْجَهْلِ، وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَاهِبِ الْفَضْلِ، وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ إِلَى حَضْرَتِكَ حَمْلاً مَحْفُوفاً بِنُصْرَتِكَ، وَاقْذِفْ بِي عَلَى الْبَاطِلِ فَأَدْمَغَهُ، وَزُجَّ بِي فِي بِحَارِ الأَحَدِيَّةِ، وَانْشُلْنِي مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ، وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ، حَتَّى لاَ أَرَى وَلاَ أَسْمَعَ وَلاَ أَجِدَ وَلاَ أُحِسَّ إِلّا بِهَا، وَاجْعَلِ اللَّهُمّ الْحِجَابَ الأَعْظَمَ حَيَاةَ رُوحِي، وَرُوحِهِ سِرَّ حَقِيقَتِي،

وَحَقِيقَتِهِ جَامِعَ عَوَالِمِي، بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ الأوَّلِ، يَا أوَّلُ يَا آخِرُ يَا ظَاهِرُ يَا بَاطِنُ، اسْمَعْ نِدَائِي، بِمَا سَمِعْتَ نِدَاءَ عَبْدِكَ زَكَرِيَّا، وَانْصُرْنِي بَكَ لَكَ، وَأيِّدْنِي بِكَ لَكَ، وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ، اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ، إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أمْرِنَا رَشَداً (ثلاثاً)، إِنَّ اللّٰهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

صَلَوَاتُ اللّٰهِ تَعَالَى، وسَلامُهُ وَتَحِيَاتُهُ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ، عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ، النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، عَدَدَ الشَّفْعِ وَالوَتْرِ، وَعَدَدَ كَلِماتِ رَبِّنا التَّامَّاتِ المُبَارَكَاتِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

النفحات القدسية من الحضرة العباسية
في شرح الصلاة المشيشية



وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم

الحمدُ للهِ المنفرد بالكمال، المنزّه عن التشبيه والتعطيل والاتصال، الموجود الذي كل ما سواه هالك وعدم، الباقي الذي تفرّد بالجلال والقدم، القيوم الذي استغنى بذاته عن سائر الوجود، العظيم الذي تعالى بعظمته على كافة الجنود، الأول بلا أولية، والآخر بلا أخروية، العليم بالواجب والجائز والمستحيل، المريد لجميع الكائنات بالإجمال والتفصيل، القدير على إيجادها وإعدامها، الحكيم في إنعامها وإيلامها، الحيّ الذي ليس معه حيّ، المتكلم إجمالاً وتفصيلاً لكل شيء، السميع لكل الموجودات والمسموعات، البصير بسائر الثابتات والمبصرات، ذي الذات العظيمة، والصفات القديمة، والأسماء الحسنى التوقيفية، والصفات التي اشتبهت على سائر البرية، ما عدا الذات النبوية كما في أصول الحنفية، الكبير الذي استحال في حقّه ضد هذه الصفات، وجاز من جانبه ما أمكن بإعدام وإثبات الشائي، الذي أسعد من شاء في أزله، وأشقى من أراد بفضله وعدله، الجاعل لعبده كسباً بلا تأثير، الخالق له ولكسبه بلا نكير، العزيز الذي لا يذلّ بإيجاب شيء عليه، البارئ لكل شيء والمتفضل بإثابته لديه، القاهر الذي لا رادّ

لقضائه وقدره، الملك الذي لا معقب لحكمه وأمره، المرئي في دار القرار، بلا كيف ولا انحصار، الباعث سيد الخيار بالتبشير والإنذار، المرسل سائر الأنبياء فضلاً ورحمة، والموجب عصمتهم تكرماً ومنّة، المتفضل بالنبوّة بلا اكتساب، الجاعل نبينا سيد ذوي الألباب، الوهّاب الذي وهبه النبوّة قبل خلق آدم، وختمها به في زمن تقادم، وجعل شرعه لا ينفسخ، حتى الزمان ينفسخ، المؤيد له بالآيات الباهرة، والمعجزات المتكاثرة، الجليل الذي أسرى بعبده إلى حضرة ذاته وعنده، المعزّ الذي شرّفه وفضل أصحابه، وجعل ترتيبهم في الفضل كخلافتهم في النيابة، الكريم الذي أكرم أولياءه بكرامات لا تحدّ، المثيب من شاء عباده من غير حصر ولا عدّ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عيان ويقين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الحبيب الأمين، روح الكمالات الاصطفائية، وقطب دائرة التجليات الإلهية، صاحب الدين القويم والشرع المستقيم، من أخبره الله بما كان وما يكون، وأنبأنا بأنه لكل عبد حافظون وكاتبون، المخبر بأن الموت حق، وسؤال منكر ونكير، وعذاب القبر ونعيمه ثابت بلا نكير، المبعوث قبل بعث الخلائق للحشر والنشر، المكرم في اليوم الآخر وهو له بالشفاعة والنصر، المنبيء بأخذ الصحف والميزان والصراط، المشرف باللواء والحوض والجنة باغتياط، المخرج من النار من لا يحصي عدّه إلا القهّار، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه آناء الليل وأطراف النهار، مع إخوانه الأنبياء والملائكة وسائر المؤمنين والأخبار .

(وبعد): فإنه لما كانت الصلاة المشيشية شريفة القدر، وعظيمة الخطر، لما حوته من الحقائق الإلهية والأسرار الربانيّة، وكان يتردد في الخاطر القاصر سنين، أن أشرحها شرحاً مبيناً لحقيقة مرامه، وكنت متردداً في ذلك بين إحجامه وإقدامه، وقوي ذلك الخاطر الفاتر، وساعفته الأقدار والبشائر، شرعت بعون ربي مستغفراً من ذنبي وملتجئاً لحبي، مقتبساً من اسمه الأول مقدمة، إشارة لكونه المقصود فاعلمه، ومختاراً من اسمه الآخر خاتمة، لتكون فاقتي لشهوده دائمة، إذ هو المشهود الأول في كل المطالب، والمنتهى المقصود من جميع المآرب، وسمّيته: (النفحات القدسية، من الحضرة العباسيّة، في شرح الصلاة المشيشية)، وبالله أستعين لا محبوب سواه، ولا مطلوب إلا إيّاه.

مقدمة

اعلم أن الصلاة على النبيّ من أشرف القربات، وأعظم الطاعات، حتى نقل بعضهم الاتفاق على أنها مقبولة أبداً، وحرّر خلافه في كنز العفاف والدلائل على شرفها كثيرة، ولو لم يكن من ذلك، إلا قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، وقوله ﷺ : (إن أولى الناس بي أكثرهم عليَّ صلاة)، وقول أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (الصلاة على النبي ﷺ، أمحق للذنوب من الماء البارد للظمأ)، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب، لكفى .

وهي فرض العمر مرة، عند أكثر العلماء . واختلف في وجوبها كلما ذكر ﷺ ، والمختار الوجوب، والمذهب الاستحباب، ولا تتداخل . فإن قلت: إنا نتيقن أنه له ﷺ مراتب الكمال بلا شك ،فلماذا أمرنا بالصلاة عليه؟ ، وأي فائدة فيها؟ ، قلت للناس أجوبة:

منها: أن له أنواع المراتب، وإلا لزم له انتهاء مقدورات الله ونعمه .
ومنها: أن أمرنا بالصلاة عليه للجزاء الذي يعود إلينا بسببها . ومنها: أن أمرنا بذلك تعبداً . ومنها: أنه ﷺ ينتفع بها وهو التحقيق، إذ لا نهاية لكمالات الله تعالى، ولا مانع من ربطها بالأسباب فإنه الحكيم الوهّاب .

فإذا كان كذلك، فمن أكمل ما يصلّى به عليه صلاة السيد الشريف الحسيني، شيخ الشيوخ الأكابر، منهم: أبوالحسن الشاذلي العارف بالله

تعالى، والدالّ عليه ومولانا الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش، يقال بالميم أوله وبالباء الموحدة . وقال: الشارح أبو عبد الله الخروبي -رحمه الله- تعالى: وكان بعض من لقينا من الأشياخ يصحح الأول، ويقال: مشيش بتشديد الشين وتخفيفها، المغربيّ -رحمه الله تعالى- وأمدنا بمدده، فإنها صلاة جليلة المقدار، عظيمة الأسرار والأنوار، دالة على كمال صاحبها وتمام عرفانه؛ إذ كل إناءٍ ينضح بما فيه، وكل كلام عليه كسوة القلب الذي صدر منه، وناهيك بصلاة حازت نهاية الثناء عليه ﷺ، بما هو مقدور البشر مع مساعفة العناية والقدر، وملاحظة الفيوضات الإلهية، وإلا فليس في قدرة البرية الثنا بتلك القضية، كما ستنكشف لك حقيقتها، وذلك أيضاً بحسب قصوري، والتقصير قليل من كثير وصغير من كبير .

وقال الشيخ العارف العلامة أحمد بن محمد النخلي -رحمه الله- في كتابه "بغية الطالبين" : وفي قراءتها من الأسرار والأنوار، ما لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى، وبقراءتها يحصل المدد الإلهي والفتح الرباني، ولم يزل قارئها بصدق وإخلاص مشروح الصدر، ميسر الأمر محفوظاً بحفظ الله تعالى، من جميع الآفات والبليات الظاهرة والباطنة، منصوراً على جميع الأعداء، مؤيداً بتأييد الله العظيم في جميع أموره، ملحوظاً بعين عناية الله الكريم الوهّاب، وعناية رسوله ﷺ وعلى آله والأصحاب، وتظهر فائدتها بالمداومة عليها مع الصدق والإخلاص والتقوى، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ

وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) انتهى . وهو كلام لا إشكال فيه ولا ريب، فجاهد تشاهد .

وقد أجازني بقراءتها بعد الصبح وبعد المغرب، العلّامة الفهامة شيخنا الشيخ شلبي المالكي، كان الله لي وله، وقيل: تقرأ مرة ثالثة بعد العشاء، وقد أحببت أن أذكر سند الشيخ أحمد النخلي لها تبركاً، إذ ذكر أنه أخذها عن الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي، وقال: وقد أخذ شيخنا محمد البابلي -رحمه الله تعالى- هذه الصلاة عن الشيخ سالم السنهوري، عن النجم الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا، عن العزّ عبد الرحيم بن الفرات، عن التاج عبد الوهاب بن علي السبكي، عن والده التقي عليّ بن الكافي السبكي، عن الشيخ ابن عطاء الله، عن الشيخ الإمام أحمد بن عمر المرسي، عن أبي الحسن الشاذلي، عن مؤلفها سيدي عبد السلام بن مشيش، نفعنا الله تعالى به وبهم أجمعين .

وكان صاحب الصلاة جليل القدر، عظيم الشأن، قطب الدائرة، ذا طريقة وأحوال مستحسنة، وحقائق كشفية ومعارف إلهية، وقد أخذ الطريقة عن أكابر، منهم الشيخ العارف عبد الرحمن المدني، ثم من واحد إلى سيدنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، وأخذ عنه كثير من الأكابر، منهم الأستاذ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى .

ومن أجلّ ما يستدل به على ما أذكره وأوضحه، ما حكي عن الشيخ أبي الحسن المذكور، أنه كان نائماً ذات ليلة ببيت المقدس، فلما مضى بعض

الليل، إذ رأى السقف قد انفرج، وإذا كراسي من ذهب وفضة مرصعة، نزلت منه ورتبها رجل، وإذا بتختٍ عظيم مرصّع بأنواع الجواهر، يحير الواصفون في نعته، وإذا بملأ من الناس نزلوا، وقعد كل واحد على كرسي، وإذا رجل لم يُرَ مثله في الحسن والأنوار، نزل فقعد فوق التخت منفرداً، لم يشاركه فيه أحد غيره . قال: فقلت لمن في حاجتي: من هؤلاء!، قال: الأنبياء، قلت: والذي على التخت؟، قال : نبينا محمد ﷺ ، قلت: لم جاءوا، قال: جاءوا يستشفعون الرسول في الحلّاج، حيث خالف ظاهر الشرع . قال: ثم بعد ذلك قال موسى عليه السلام للرسول ﷺ : بلغني أنك تقول: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، فأحب أن تريني واحد منهم، فأشار ﷺ إلى رجل، فإذا هو الغزّالي، فقال: يا رسول الله، ائذن لي أن أتكلم معه، فسأله عن مسألة فأجابه بعشرة أجوبة، فقال: يا سبحان الله، سألتك عن شيء واحد، فأجبتني بأجوبة، فقال له: يا سبحان الله، ربك لما قال لك وما تلك بيمينك يا موسى؟، قلت: هي عصاي أتوكأ عليها، وأهشّ بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى .

قال: ثم إني لم أزل متعجباً، في كون آدم أبي البشر، ونوح، وإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى، كلهم تحت التخت، والرسول وحده منفرد به مع كونهم آباءه، وكبار الأنبياء!، وبينما أنا في ذلك وإذا واحد يرفسني، ويقول: قم، أما علمت أن أصل الكل وسيدهم المنفرد، بسائر

الكمالات، فكيف يشاركونه فيه؟ . بهذا المعنى سمعت القصة من بعض مشايخي الأجلّة، رحمهم الله تعالى .

(اَللَّهُمَّ) أي يا من له الذات العظمى، والصفات الكبرى والأسماء الحسنى، ويا من لا يدركه كنه ذاته، ولا حقيقة صفاته، ولا يُحيطُ بتأثير أسمائه، ولا يُداني في عزّه وبقائه .

(صَلِّ) أي ارحم بذاتك الصمدية وصفاتك الأزلية، إذ الصلاة من الله رحمة، كما قال علماء الأمة . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ، في معنى قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ)، إن الله وملائكته يباركون على النبيِّ .

وقال بكر القشيري -رحمه الله تعالى- : صلاة من الله تعالى لمن دون النبيّ رحمة، وللنبي ﷺ تشريف وزيادة تكرمة . وقال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء .

(عَلَى مَنْ) أي على الذي هو روح الوجود، وعين مرامك المقصود، ومن (مِنْهُ انْشَقّتِ الأَسْرَارُ) جمع سرّ، وله معان كثيرة، أنسبها من ذلك بهذا المحل، جوف كل شيء ولبه، وما يكتم، فعلى الأول يكون المعنى من أجله: أي بواسطته انصدعت الأجواف، وكان لها من الله الإشراف، وعلى الثاني انخرقت الألباب، واشتاقت إلى لقاء الأحباب، وعلى الثالث فإن أريد بما يكتم الحِكَمَ والمعارف، التي يجب كتمها على غير أهلها، فذلك ظاهر، لأنها

إن كانت من حيث الشريعة، فلا كلام، وإن كانت من حيث الحقيقة، فكذلك بإجماع علماء الأنام.

وإن أريد بما يكتم من حيث الأكوان كلها، فكذلك أيضاً، إذ هي ومن قامت به بارزة منه ﷺ ، كما رواه عبد الرزاق بسنده، عن جابر رضي الله عنه أنه قال: (يا رسول الله، أخبرني عن أول شيء خلقه الله، قبل الأشياء، قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك، من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة، حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت، لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسّم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم، وهو المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنسهم، وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله) الحديث.

وقال ﷺ: (أنا من الله والمؤمنين مني) أي أنا من نور الله، والمؤمنون من نوري، وهذا النور هو المعبر عنه، بقوله الصلاة والسلام: (إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى، ومن أخطأه ضلّ)، وهو الرحمة العامة، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

وقد وجبت له النبوّة، قبل أن يكون آدم في الماء والطين، والمعبر عنها بقوله ﷺ: (إن الله خلق، يوم خلق السموات والأرض، مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فيها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، وأخّر تسعاً وتسعين، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة) .

ويروى: (أن الله تعالى لما خلق آدم، قال: يا ربّ لم كنيتني أبا محمد؟، قال: ارفع رأسك، فرفعه فرأى نور محمد، في سرادقات العرش، فقال: يا رب ما هذا النور؟، قال: هذا نور محمد نبيّ من ذريتك، اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمّد، ولولاه ما خلقتك ولا خلقت سماءً ولا أرضاً) . ففي قوله: لولاه ما خلقتك إلى آخره، إيماء إلى خروج جميع الموجودات منه، وإشعار بانشقاق جميع الأسرار عنه، إذ لولا الأصل لما وجد الفرع، وبغير الواسطة لا يكون الموسوط، ولأنه لما تعلقت إرادته تعالى بإيجاد الخلق؛ أبرز الحقيقة المحمدية من محض نوره، المشار إليه بقوله: (ونفخت فيه من روحي)، ثم سلخ منها العوالم كلها، علويها وسفليها على ما سبق، في سابق إرادته، ثم أعلمه تعالى بنبوّته وبشّره برسالته .

هذا، وآدم لم يكن إلا كما قال ﷺ: (بين الروح والجسد)، ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح، فظهر في الملأ الأعلى أصلاً ممداً للعوالم كلها .

وبيان ذلك كنزاً وتوضيحه: أنه لما كان تعالى كنزاً مخفياً، فأحب أن يعرف، توجهت الذات إلى الأسماء والصفات، فاستوفزت بكمالها، وانتهضت لإظهار

جمالها وجلالها، فأظهرت الذات الإلهية الذات النبوية، وأخلفت الأسماء والصفات الربانية، الكرامات والكمالات الاصطفائية، فبرزت من ذلك الحقيقة المحمدية، قبل وجود شيء من البرية، كما جاءت بذلك الأخبار الصحيحة المروية، إذ أخبر ﷺ: (إن أول ما خلق درة بيضاء) الحديث، وتلك الدرّة هي العقل، الذي أخبر به ﷺ بقوله (أول ما خلق الله العقل) الحديث، وذلك هو نور محمد ﷺ الذي أخبر عنه فيما رواه جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله تعالى، فقال: هو نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق فيه كل خير، وخلق بعده كل شيء، وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب، اثنتي عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام، فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قس،م، وأقام القسم الرابع في مقام الحب، اثنتي عشر ألف سنة؛ ثم جعله أربعة أقسام، فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنة والنار من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحق، اثنتي عشر ألف سنة؛ ثم جعله أربعة أجزاء، فخلق الملائكة من جزء، وخلق الشمس من قسم، وخلق القمر والكواكب من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء، اثنتي عشر ألف سنة؛ ثم جعله أربعة أجزاء، خلق العقل من جزء، والحلم والعلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء، اثنتي عشر ألف سنة، ثم نظر الله عزَّ وجلَّ إليه، فترشح النور عرقاً، ففطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة

من النور، فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبيّ ورسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء، فخلق الله من أنفاسهم، نور الأولياء والشهداء والسعداء، والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون من نوري، والروحانيون من الملائكة من نوري، وملائكة السموات السبع من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والشهداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق الله اثني عشر حجاباً، فأقام الله نوري، وهو الجزء الرابع، في كل حجاب ألف سنة، وهي مقامات العبودية، وهي حجاج الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين، فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة، فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض، فكان يضيء منه ما كان بين المشرق والمغرب، كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق الله من الأرض آدم، فركب فيه النور في جبينه، ثم انتقل منه إلى شيث، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب، ومن طيب إلى طاهر، أن أوصله إلى عبد الله بن عبد المطلب، ومنه إلى رحم أمي آمنة، ثم اخرجني إلى الدنيا، فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين، ورحمة للعالمين، وقائد الغر المحجلين، هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر)، هكذا نقل هذا الحديث . فقد روي في حديث ابن القطان: (كنت نوراً بين يدي ربي، قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف سنة) .

وروي في التشريفات عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: كم عمرت من السنين، قال: والله لا أدري، غير أن كوكباً في الحجاب الرابع، يظهر في كلّ سبعين ألف سنة مرة، فرأيته اثنين وسبعين ألف مرة، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا جبريل: وعزّة ربي أنا ذلك الكوكب) .

فهذا وأشباهه لا يستحيل على قدرة العزيز الجليل، وقد تبين مما تقدم، أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل العالم، وأن كل جزء من العالم مظهر له، من حيث اتحاده، وجزء منه وبعضه، وغيره من حيث امتيازه وانفراده، إذ نوره الذي هو العقل أصل العالم كما ترى .

وبهذا تبين لك أن سائر الأسرار الشرعية والحقيقية والعرفية، مشتقة منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبارزة من نوره المحمدي، فإذا صار هو عين الوجود، ومظهر تجلي الواحد المعبود، ولذا إذا منح الله تعالى عبده المحبة والعرفان، وجذبه إلى أعالي مقامات الإحسان، وتجلى له بكمال الشهود، لا يرى إلا الإله المقصود، ورسوله الذي هو عين الوجود، ويتحقق في مقام الفناء، (كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان)، وينكشف له في مقام البقاء، أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ولم يكن معه شيء من الموجودات، سوى ربّ الأرض والسموات، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الآن على ما عليه كان، مخصوص بالتجلي الحقيقي من الله، كما أنه مخصوص بالوجود في سائر الأزمان، وتنزّه بكمال استغنائه عن المكان والزمان، وصلَّى الله على المخصوص بالتجلي الأعظم في سائرالأحيان،

وسلَّم على من اشتق منه سائر الذوات والألوان، وما أحسن ما قيل في هذا المعنى:

عين الوجود وواحد الموجود ... مجلى محاسن حضرة المعبود
وحقيقة الاسم الذي لصفاته ... خضعت رقاب أولي النهى بسجود
متوحد في كل فضل باهر ... ووحيد فرد حقيقة التوحيد
كل الكمال عبارة عن خردل ... متفرّق في غيره المصمودي
شأن الإله وعين واحد ذاته ... المجتبى لصعود لِسُعُودِ
خل الملاحة نور ضوء جبينها ... قد عمَّ مسبوق الفنَا لوجود
سعدت به الأكوان طرّاً إنما ... بالأصل يسعد فرع كل سعيد
روح المعاني والأواني جملة ... معنى الوجود وصورة الموجود
ذاك النبيّ الهاشمي محمّد ... عبد الإله خليفة المحمودِ

صلّى الله عليه وسلّم، صلاةً وسلاماً يليقان بجلاله وجماله وكماله . فإن قلت: إذا كان جميع الموجودات منفصلة عنه، ومن ذلك النار والكفار والفجار ونحوها، ويبعد أن تكون هذه الأشياء الخسيسة منفصلة من عين الكمالات ونور الجلالات، لكن بعد النقل لا تعويل على العقل، فما حكمة ذلك وما وجه انفصاله؟ .

فاعلم أنه سبحانه وتعالى لما كان منفرداً بذاته، وموصوفاً بكثرة صفاته، وأراد إحداث حادث محبوب، وشأن المحب أن يحب لمحبوبه ما يحب

لنفسه، كما يشير إليه قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، أبرز الذات المحمّدية مفردة من الذات الفردانية، لتكون مَلْجأ لكل البريّة، وخلع عليها من صفاته الكثيرة الإلهية، كثرة الصفات الثبوتية، ممداً لسائر الرعية، كما أن ذاته سبحانه ملجأ لسائر العالمين، وصفاته تعالى ممدَّة لكل الخلق أجمعين، ولا يضر انفصال تلك الأشياء عنه ﷺ ، لأن ذلك من تكميل الله له، لأنها مظاهر الجلال، وغيرها مظاهر الجمال، والجمع عين الكمال، والحمد لله ذي الإفضال والصلاة والسلام على النبي والآل .

(وَانْفَلَقَتِ الأَنْوَارُ) جمع نور، وهي حسية ومعنوية، فالحسية بجميع أنواعها منفلقة من نوره، ومنفجرة من كمال بطونه وظهوره، وهي غير منحصرة لكثرة ما حوته الصورة، وقد مرَّ بيان ذلك بما منح الله ممّا هنالك . وأما المعنوية، فما كان من الشريعة فظاهر، وما كان إلى الحقيقة فكذلك، إذ لا يحصل لأحد من الأنبياء والملائكة والعارفين، من التجليات الإلهية والأنوار الربانية، إلا وهي منفلقة منه وصادرة عنه .

وبيان ذلك أنه لما كان ﷺ مخصوصاً بالتجلي الأعظم، لما أنه روح سرّ العالم، والمقصود من الوجود، كان تجلي الله له خاصة، وكان مهبط التجليات الإلهية، فكل عارف لا يحصل له من ذلك إلا ما ترشح من حماه، وانفلق من نوره وبهاه، ولا يمكنه السير إلى ما وراء ذلك، إذ هو ممنوع مما هنالك، لاختصاصه بسيد الوجود، لأنه حبيب الإله المعبود، وما سواه

بالنظر إليه معدوم ومفقود، ولله درّ الشريف البوصيري، حيث قال في همزيته:

أنت مصباح كل فضل فما   تصدر إلا عن ضوئك الأضواءُ

وقال في بردته:

وكلهم من رسول الله ملتمس   غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

وواقفون لديه عند حدّهم   من نقطة العلم أو من شكلة الحِكَمَ

هذا، وإسناد الانشقاق إلى الأسرار، والانفلاق إلى الأنوار، حسن بديع عند ذوي الأبصار .

(وَفِيهِ ارْتَقَتِ الحَقَائِقُ) أي وفي ذاته وصفاته، اعْتَلَتِ الحقائق وارتقت الدقائق، فكانت وراء طور نهى الخلائق، لما أن استعدادَه لا يقاس، وإمداده قصر عن سمة سائر الناس، فحقائقه تترقى، ودقائقه تعالت لحوقاً وسبقاً، وقد قال ﷺ : (أوتيت جوامع الكلم وخواتمه)، وقال جبريل عليه السلام: (قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أرَ رجلاً أفضل من محمد ﷺ).

ورحم الله البوصيري، حيث قال:

وانسُب إلى ذاته ما شئت من شرف   وانسُب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له   حَدٌّ فيُعرب عنه ناطق بِفَمِ

(وَتَنَزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ) أي وفيه تنزلت، من عند الله علوم أسماء آدم: يعني حقائق العلوم، التي علم آدم أسماءها، بقوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)، وهذه العلوم هي علوم القرآن، كما قال تعالى: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)، (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) . وفي الترمذي وغيره: (ستكون فتن، قيل: وما المخرج منها؟ ، قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم) . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين) . ومن ثم قال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن) . وقال أيضاً: (جميع ما حكم به النبيِّ ﷺ فهو ما فهمه من القرآن) . وقال آخر: (ما من شيء في العالم إلا وهو فيه)، فقيل له: فأين ذكر الخانات فيه؟ فقال: في قوله (لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ) فهنّ الخانات . وقال آخر: (ما من شيء، إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى حتى إن عمره ﷺ ثلاثاً وستين سنة، استُنْبطَ من آخر سورة المنافقون، لأنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبه بالتغابن، لظهوره بفقده ﷺ)، وعن هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما : (لو ضاع عقال بعير، لوجدته في كتاب الله تعالى) .

وقال بعض العارفين: (علومه خمسون علماً، وأربعمائة علم، وسبعة آلاف علم، وسبعون ألف علم، على عدد كلم القرآن، مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحدّ ومطلع، ويضم لذلك اعتبار تركيب ما بينه

من روابط، لكن هذا لا يحصيه، إلا المتكلم به تعالى) . وقال آخر: لم يحط بالقرآن إلا المتكلم به، ثم نبيه ﷺ، فيما عدا ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومن هنا قال عليّ رضي الله عنه : (ولو شئت لأوقرت سبعين بعيراً، من تفسير فاتحة الكتاب) . ولذا قال بعض العارفين -رحمه الله تعالى- :

ألا إنه البحر المحيط وغيره　　من الكتب أنهار تمد من البحر

وجاء في الحديث المشهور: (فعلمت علم الأولين والآخرين) . وروى أبو داود عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّثه، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علّمه أصحابه هؤلاء، وإنه ليكون مني الشيء فأعرفه، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه) الحديث . وقال أبو ذرّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :(لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرّك طائر جناحيه في السماء، إلا ذكرنا منه علماً) . وقد قال العلماء المحققون: إنه تعالى أعلم نبيه ﷺ، علم الغيب كله، حتى الخمس المستثناة في آخر عمره ﷺ، لكنه أمر بكتم البعض وإفشاء البعض، وشتان بين العلم بحقائق الأشياء وبين العلم بأسمائها، وبين إدراك المقصود وإدراك وسائله، ولكن كان هو المقصود منح حقائق الوجود، وكان آدم هو الوسيلة أوقف على الوسيلة، فسبحان من حكمته تبهر العقول، وأسرار عجائبه تطول، ولله درّ الشرف البوصيري في قوله:

لك ذات العلوم من عالم الغيـ　　ـب ومنها لآدم الأسماء

ومن هنا قال بعض المحققين: (إنما أسجد الملائكة لآدم، لأجل نور محمد ﷺ الذي في جبينه)، وهذا على أحد القولين في أن آدم عليه السلام إنما علم الأسماء فقط، وقيل علمها بحقائقها أيضاً، وكلام الماتن محتمل الأمرين، والأول وارد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعليه فقيل علم الأسماء الموضوعة بكل لغة وعلمت أولاده، فلما افترقوا في البلاد وكثروا اقتصر كل قوم على لغة، وهذا يقوي ما هو الأصح في الأصول أن اللغات كلها توقيفية . وقيل: إنما علم لغة واحدة، لا الحاجة لم تدع إلا إليها؛ وأما بقية اللغات فبالواضع، وصح أنه كان يتكلم بكل لسان، ولكن الغالب أنه يتكلم بالسرياني .

والعلوم جمع علم، وهو هنا صفة ينجلي بها المذكور لمن قامت به انجلاءً تاماً، أو الإدراك الجازم الذي لا يحتمل النقيض، وحدّ بحدود أخر كلها مدخولة وترادفه المعرفة، لكن لا يقال لله عارف، لأنها تستدعي سبق جهل، بخلاف العلم واليقين، لكن فرق بينهما بعض المحققين: بأن اليقين خاص بما من شأنه أن يتطرق إليه شك، فلا يقال تيقنت أن الواحد نصف الاثنين . وقال الراغب: اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال: علم يقين، ولا يقال: معرفة يقين وهو سكون النفس مع ثبات الحكم، حال كونها واصلة إليك على لسان الملك، أو بالإلقاء في الروع أو بخلق العلم الضروري أو بسماع الكلام النفسي، كذا في شرح الهمزية لابن حجر .

وآدم أبو البشر صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه، وأصله أءدم، لكنهم لينوا الثانية تخفيفاً وجعلوها في التصغير واواً، لتلينها من الأدمة بالسكون أو الفتح أو من أديم الأرض، كما صحّ عن ابن عباس، وورد عن عليّ وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم : (أديم الأرض: ظاهر وجهها، والأدمة: السمرة، وهو مراد من قال: لون يقارب السواد، ومن قال: يشبه التراب) . واستشكل كل بما ورد من براعة جماله، وأن يوسف عليه الصلاة والسلام كان على الثلث من جماله . وقد يجاب بأن الجمال لا ينافي السمرة لأنها بين البياض والحمرة، ثم قيل: اشتقاقه مما ذكر يؤيد القول بأنه عربيّ، وبه صرّح الجواليقي وغيره . وردّ بأن توافق اللغتين غير منكر، وأنه لا دليل على أن الاشتقاق من خواص كلام العرب . وأجيب بأن الأصل عدم التوافق، وبأن الوجه أن الاشتقاق خص بكلام العرب، فقد أطبقوا على التفرقة بين اللفظ العربي والعجمي بصحة الاشتقاق، كذا في شرح الهمزية أيضاً .

(فَأَعْجَزَ الخَلاَئِق) بما حواه من الحقائق والعلوم والدقائق، وبما تحلّى به من الأنوار الربانية والدقائق، التي يغرق في بحرها كلّ بحر مائج ورائق، بل لو حام حولها البحر المحيط، لقال إني غارق، فسبحان من خصصه بما شاء من العلوم، وأعجز جميع خلقه بمنطوقه والمفهوم، ورحم الله العارف البوصيري ، حيث قال:

وتلـــقى مـــن ربـــه كلمـــات كل عـــلم في شمسهـــن هبـــاء
زاخــــرات العلـــوم يغـــرق في قطراتهـــا العـــالمون والحـــكماء
وتحــــدى فـــارتاب كل مريـــب أو يـــبقى مـــع السـيول الغثـــاء؟

وكيف لا يعجز الخلائق عن كنهه ولا خلقه ووصفه، وهو المتصف بسائر الكمالات والمتحقق بأعالي المقامات، كما قال عليّ رضي الله عنه: (سألت رسول الله ﷺ عن سنته، فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة بالله كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمَتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرّة عيني في الصلاة) . وفي حديث آخر: (وثمرة فؤادي في ذكره، وغمي لأجل أمتي، وشوقي إلى ربي عزَّ وجلَّ)، صلّى الله عليه وسلّم، وشرَّف وكرَّم ومجِّد وعظِّم .

(وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الفُهُومُ) أي ولأجل كماله وعظمته تصاغرت الفهوم، فلم تدرك شيئاً من حقيقته، وتحاقرت الإدراكات فلم تفهم شيئاً، من كمال حاله وصفته، وكل من رام شيئاً من ذلك رجع خاسئ الطرف عما هنالك، وكل قصد دون أنواره عاد معترفاً بعجزه واحتقاره، وكل من نوى شمَّ تلك الرائحة الطيبة، انحلت نياته وعزماته الصلبة، فالكل في بحر عجزه ونقصه غارق .

﴿فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلَا لَاحِقٌ﴾ وكيف يدرك من كان خلقه القرآن، وذاته من نور ذات الرحمن، ومن له كل مراتب الإحسان، ومن هو الحبيب الأكرم، والمخصوص بالتجلي الأعظم . ومن هنا قال بعض العارفين -رحمهم الله أجمعين- : لو انكشفت حقيقته ﷺ للخلق لارتدوا جميعاً، إذ من كانت صفاته صفات الرحمن، وذاته من نور ذات المنّان، وهو مدرك بالحواس والعيان، لا يختلف في معبوديته اثنان، ومن هنا اختلف الناس في الأديان، لما ظهر لهم من تجليه تعالى في الجمادات والحيوان؛ ولكن سبحان الحنّان المنّان، الذي حفظ من شاء من عباده بالدليل والبرهان، وحجز من أحبَّ باليقين والعيان، وإذا كان الأمر كذلك فليس إلى إدراكه من سبيل، بل ولا إلى شمّ رائحة السيد النبيل، ولكن غاية التحقيق والإدراك أنه سيد المرسلين والأملاك، وما أحسن قول صاحب البردة -رحمه الله تعالى- :

أعْيَ الورى فهم معناهُ فليس يُرَى ... للقُربِ والبُعْدِ فيه غير منفَحِمِ
كالشمس تظهر للعينين من بُعْدٍ ... صغيرةً وتكِلُّ الطرفَ من أَمَمِ
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ... قوم نيام تسلُّوا عنه بالحُلم
فمبلغ العِلْمِ فيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ ... وأنه خير خلقِ اللهِ كلِّهمِ

ومن كان هذا شأنه وصفته، كيف يمكن وصفه ونعته؟، أم كيف يمدح حاله وذاته، لما رأى بعض الأحبار سلطان العشاق العارف بالله تعالى

سيدي عمر بن الفارض أمدنا الله بمدده الفائض، فقال له: لم ما مدحت النبي ﷺ بالتصريح، وإلا فنظمه ليس إلا في الحضرة الإلهية والمكانة النبوية، فقال:

أرى كل مدح في النبي مقصرّاً إن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذي هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الورى

وقال ابن الخطيب الأندلسي:

مدحتك آيات الكتاب فما عسَى يثني على علياك نظم مديحي
وإذا كتاب الله أثنى مفصحاً كان القصور قصار كل فصيح

فعلم بهذا أنه لو بالغ الأولون والآخرون، في إحصاء مناقبه لعجزوا عن أقصى ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه، ولكان المسلم لساحل بحرها مقصّر، عن حصر فخرها، ولقد صحَّ لمحبيه أن ينشدوا:

وعلى تفنن واصفيه بحسنِهِ يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وإنه لجدير بقول القائل:

فما بلغت يد امرئ متناول من المجد إلا والذي نال أطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحه ولو حذقوا إلا الذي فيه أفضَلُ

وقال البدر الزركشي: ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين، كأبي تمام والبحتري، وابن الرومي مدحه ﷺ ، وكان مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه، فإن المعاني وإن جلت دون مرتبته، والأوصاف وإن كملت دون وصفه، وكل غُلُوّ في حقه تقصير، فيضيق على البليغ النطاق، فلا يبلغ إلا قُلّاً من كُثر .

فإذا تقرر ذلك، فاعلم أن من أعظم الواجبات على كل مكلف أن يتيقن أن كمالات نبينا ﷺ لا تحصى، وأن أحواله وصفاته وشمائله لا تستقصى، وأن خصائصه ومعجزاته لم تجتمع ولا في مخلوق، وأن حقه على الكمل فضلاً عن غيرهم أعظم الحقوق، وأنه لا يقوم ببعض ذلك إلا من بذل وسعه في إجلاله وتوقيره، وإعظامه واستجلاء مناقبه ومآثره، وحكمه وأحكامه، وأن المادحين لجنابه العليّ والواصفين لكماله الجليّ، لا يصلون إلى قُلٍّ من كلٍّ، لا حَدَّ لنهايته وغيض من فيض الوصول إلى غايته، بل في الحقيقة لم يمدحوه بوصف، إلا بحسب فهمهم ذلك، وجلت أوصافه ﷺ أن تكون إلا لما وراء ذلك مما هنالك، فوصف العجز والتقصير عمّ الجليل والحقير، وهو حقيقة الإدراك والعرفان عند العارفين ذوي الشأن، ولذا قال أفضلهم على التحقيق، سيدنا أبو بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه : (العجز عن درك الإدراك إدراك) .

وإذا علمت انشقاق الأسرار منه ﷺ وانفلاق الأنوار عنه (فـ) ـاعلم أن (رِيَاض) بكسر الراء وفتح الياء جمع روضة، وهو المكان المعشوب

المخضرّ النفيس، (المَلَكُوتِ) كرهبوت عالم الغيب، (بِزَهْرِ جَمَالِهِ) ﷺ، (مُونِقَةٌ) بكسر النون ويجوز الفتح: أي معجبة مفرحة، أو مأنوسة نفيسة على الفتح، وهذا كناية عن ظهور أسراره ﷺ في عالم الملكوت، كما في عالم الملك، (وَحِيَاضُ) بكسر الحاء المهملة وفتح التحتية: جمع حوض، (الجَبَرُوتِ) كملكوت عالم العظمة، عند أبي طالب المكي، وعند الأكثرين العالم الوسط، (بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ) أي بكثرتها، (مُتَدَفِّقَةٌ) أي متطفحة ومتصببة، وكل هذا كناية عن كون أنواره ﷺ غامرة الوجود بأسره، وكل ذي عظم في الوجود، إنما عظمه بظهور كماله وفخره، وبيان ذلك أنه إذا كشف عين الحقيقة، بسبب اندماج كمال الطريقة رأي بعين البصيرة تحقيقاً ومشاهدة، لا علماً ومعاينة، أن أسراره ﷺ متصلة بالوجود بأسره، وأنواره غامرة لفرعه وأصله .

(وَلَا شَيْءَ) منه (إِلَّا وَهُوَ بِهِ) ﷺ (مَنُوطٌ) أي معلق، لكونه ممداً للعوالم كلها، ورَوْحُ علوها وسفلها، وواسطة بينها وبين ربها، فكل من ذواتها وممدُّ حياتها به منوط، (إِذْ لَوْلَا الوَاسِطَةُ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ المَوْسُوطُ) بل لا يوجد الموسوط بدون ما به منوط، وفي قوله لنبيه آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: (لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماءً ولا أرضاً)، أدلّ دليل بأنه الأصل في الإجمال والتفصيل، والواسطة حتى في النقير والفتيل، فسبحان من جعل مُمدنا، من ذلك النور العظيم، وقوامنا بواسطة النبيّ

الحبيب، فله الحمد على ذلك والثناء الفخيم، وعلى نبيه منه له به أفضل الصلاة والتسليم، وفي هذا المعنى قلت:

لولاك ما خلق الوجود بأسره   كلا ولا ملك بدا بشهود
لولاك ما ملكوت المشرق مبلجاً   كلا ولا جبروتهن شديد
لولاك ما لاهوت عظم شأنه   كلا ولا ظهر الصفات بجود
لولاك ما ذات الإله توحدت   كلا ولا شهدت لكل سعيد
لولاك ما غفرت لآدم زلة   كلا ولا نوح نجا بوحيد
لولاك ما رفعت ليونس رتبة   ولما نجا من حوته الموقود
لولاك ما نار الخليل تبردت   كلا ولا عرف الخليل حميد
لولاك ما موسى سمع لخطابه   كلا ولا آنس لنار شهود
ما صار ابن مريم روحه   ولما نطق في المهد بالتعبيد
لولاك ما كل النبيين ارتقوا   رتب المعالي وانثنوا بسعود
لولاك مانال الولاية ذُو وَلاء   كلا ولا فَضْلٌ بَدا لِوجودِ
سعدت بك الأكوان طراً إنما   بالأصل يسعد فرع كل سعيد
فصلاة ربي دائماً وسلامه   يغشاك يا ذا الفضل والتمجيد
ويعم فرعك والوجود بأسره   من غير ما عدّ ولا تحديد

ولله درّ العارف البكري، حيث قال:

ما أرسل الرحمن أو يرسل	من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه	من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده	نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها	يعلم هذا كل من يعقل

تنبيه:

العوالم أصناف: الأول عالم الملك، ما يشاهد بالبصر، ويسمى عالم الناسوت. الثاني عالم الملكوت: ما يشاهد بالبصيرة، ويسمى عالم الغيب، وعالم القلب. الثالث عالم الجبروت: ما يشاهد بعين العظمة عند انكشافه، وهو عالم العظمة، عند أبي طالب المكي، وعند الأكثرين العالم الوسط، ويسمى عالم الروح. الرابع عالم اللاهوت: ما يشاهد بالسر عند تجلّي الله له، ويسمى عالم السر. الخامس عام الأمر: ما وجد عند الحق بلا سبب. وهذه العوالم كلها مستمدة من نوره، ومقتبسة من كمال بطونه وظهوره.

صلَّ اللّهم عليه، (صَلَاةً تَلِيقُ) أي رحمة تناسب وتصلح، (بِكَ) أي بجناب عظمتك، وعظيم سلطانك، وكمال برّك وامتنانك، (مِنْكَ) أي حالة كونها بارزة من ذاتك العلية، وصفاتك الربانية، (إِلَيْهِ) أي إلى حضرة صاحب الرسالة، وقطب دائرة الجلالة، ومقصودك من الوجود، والمخصوص

منك بكمال الشهود، روح تجلياتك الذاتية، وعين مظاهر صفاتك الإلهية؛ والصلاة التي بهذه الكيفية، لا يعلم قدرها أحد من البرية، لعجزهم عن فهم تلك القضية، ومن هنا يظهر للحقير أن هذه الصلاة، لا يوازيها شيء من الصلوات، إلا جاءت به سنته، أو ماثلتها في المعنى والصفات، ولذلك قلت:

يا من يريد أن يصل على النبيّ   بصلاة أبلغ ما يكون بمذهبي
تلك الصلاة صلاة ابن مشيش الذي   من نسبه شريف والولادة مغربي
ويفوق عن هذه الصلاة صلاة من   نار الوجود محمد الهادي النبيّ

(كَمَا هُوَ أَهْلُهُ) أي كالذي هو أهله: يعني كما هو مستأهل له، لكمال انكساره وتمام افتقاره ﷺ، وذلك موجب لتمام الرحمة والمنة، كما يشير إليه قوله سبحانه: (أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي)، وقوله ﷺ : (ربّ أشعث أغبر ذي طمرين، تنبو عنه أعين الناس، لو أقسم على الله لأبرّه)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (وأول من يرد عليّ حوضي فقراء المهاجرين)، وقوله ﷺ: (ويدخل فقراء المهاجرين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم)، وفي رواية: (خمسمائة عام)، وهي نصف يوم القيامة، وقوله عليه الصلاة والسلام: (اللّهم أحيني مسكيناً) الحديث، إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار وكلام العارفين الدالّ على أن كمال الافتقار، موجب تمام الانجبار، بل هو نفسه من تمام الفضل، إذ هو وقوف على حقيقة العبودية، التي هي

أعلى أحوال العبد، ولذا لم يوصف ﷺ في عالي المقامات إلا بها كقوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده)، و(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) إلى غير ذلك. ولذا قال سيدي ابن عطاء الله -رحمه الله- : تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه، تحقق بِذُلِّك يمدك بعزّه، تحقق بعجزك يمدُّك بقدرته، تحقق بضعفك يمدُّك بحوله وقوته. وقال أيضاً: ورود الفاقات أعياد المريدين. وقال: الفاقات بسط المواهب، إن أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك، (وإنما الصدقات للفقراء)، ويمكن شرح هذا المكان بغير هذا، ولكن هذا البيان المذكور هو الأصل عند الجمهور، إذ عليه كل ما سواه يدور.

(اللَّهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ) الذي انفردت به من الوجود، وخصصته بكمال المحبة والشهود، (الجَامِعُ) لجميع الفضائل والأسرار، والحاوي لسائر التجليات والأنوار، (الدَّالُّ عَلَيْكَ) بظاهره وباطنه وقلبه وقالبه، وذاته وصفاته، إذ هو ﷺ أقوى الدلائل على الله، وأرجح البراهين على توحيد الله، إذ فيه ﷺ من الآيات الباهرات ما لم يوجد في غيره منها مثقال حبة، بل ولا مقدار جوهر فرد من رمل، بل في الحقيقة هو الدال بعد مولى الموالي، كما يدل عليه قوله سبحانه: (كنت كنزاً مخفياً، فأحْبَبْتُ أن أُعْرَفَ فخلقت الخلق لأُعْرف فبي عرفوني)، وقوله ﷺ : (إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم نوره، فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى، ومن أخطأه ضلّ)، إذ المراد بالنور هو ﷺ ، ولأن أول مخلوق

سيد الوجود ﷺ، ومنه انشقت العوالم كلها كما تقدم، وهل يكون لها دلالة، إلا بما فيها من أنوار قطب الجلالة، فهو الدالّ في الحقيقة على من له الشريعة والطريقة، إذ أسراره ﷺ سارية في الوجود، وهي الدالة على الإله المعبود، ولهذا المعنى، قلت:

يا حاوياً سرّ الإله بأسره أنت الدليل على الجليل ووعده
وسواك ما هو في الدلالة آية إلا بإمداداك له وتبصره

صلّى الله عليه وسلّم، (وَحِجَابُكَ الأَعْظَمُ) من كل حجاب لك ظلماني ونوراني . إذ ورد (إن الله عزّ وجلّ دون سبعين ألف حجاب من نور وظلمة)، وهو ﷺ أعظم الحجب كلها، لأن كل حجاب سواه يمكن زواله للسالك وذهابه إلا هو ﷺ، فإنه الحجاب الذي لا يمكن قطعه ولا إزالته، وعنده ينتهى سير كل نبيّ وولي، ولا يتعدون إلى ما وراء ذلك، كما يشير إليه قوله تعالى: (وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ)، وبيان ذلك وتوضيحه أن السالك الصادق إذا توجه بكمال السير، وفني عن السوى والغير، انكشف له أنه ﷺ قائم بين يدي الله، وأنه سبحانه متوجه إليه بالتجليات كلها، لأنها مقصودة من الوجود وما سواه، فإنما تحصل له رشحات من ذلك تتميماً لفيض فضله، وتكميلاً لعموم رحمته، فكل من رام حقيقة التجليات انحجب عنها بسير السادات، فهو الحجاب الأعظم ،الذي لا يمكن قطعه، وهو رحمة من الله تعالى على عباده، لأنهم غير أهل لاستعداده، وكل ما فيهم من

استعداد فإنما هو من الإمداد، الحاصل لهم منه، والنور البارز لهم عنه؛ ومن هنا يظهر له في حال كمال الشهود، أنه ﷺ بمنزلة العالم السفلي، ومولاه بمنزلة العالم العلوي، وهذا تشبيه وتقريب، والأمر وراء ذلك، وفي الإشارة ما يغني عن العبارة، فجاهد تشاهد وجدّ تجد؛ ويفهم من هنا بعض صلاة السادة وهي: اللّهم صلّ على سيدنا محمد، عرش رحمانيتك المستوي عليها ذات ربوبيتك . فإن قلت: إذا قررت أنه ﷺ أعظم الحجب، فما معنى قول العارف بالله تعالى سيدي محيي الدين بن عربي -قدّس الله سرّه- الوهبيّ: السائرون إلى الله تعالى بعزائم الأمور المشروعة على قسمين:

طائفة: ربطت همتها على أن الرسول إنما جاء منبهاً ومعلماً للطريق الموصلة إلى جناب الحقّ، فإذا أعطى المعلم ذلك زال عن الطريق، وخلّى بينهم وبين الله تعالى، فهؤلاء إذا سارعوا وسابقوا إلى الخيرات، لم يروا أمامهم قدم أحد من المخلوقين، لأنهم قد أزالوه من نفوسهم وانفردوا إلى الحق .

والطائفة الأخرى: جعلوا في نفوسهم أنهم لا سبيل لهم إليه تعالى، إلا والرسول هو الحاجب، فلا يشهدون أمراً إلا وقدم الرسول بين أيديهم، وهكذا قال، ثم قال: والحالة الأولى هي عبد القادر وأبو السعود وابن سنبل ورابعة العدوية، ومن جرى مجراهم انتهى . وظاهره أنه قد ينقطع الحجاب بالكلية كما مشى عليه أهل الطريقة الأولى، وترجيحها على الثانية لنسبته لها لكمل العارفين .

قلت: السائرون مختلفون في القوة والضعف؛ فمنهم من يسير، ومظهر لهم تلك الفيوضات والتجليات من تلك الرشحات، ولم يزل دائماً في ذلك، فيظن أنه قد قطع الحجب كلها، وإذا ما عرض له مظهر الرسول ﷺ، انحجب عن ذلك فيزيله عن نفسه وينفيه، ويظن أن ذلك حجاب مانع، ومن هنا يفهم قول بعضهم بلا نبي بلا رسول ونحوه. ومنهم من يكون مضطرب الحال، فمرة تعتريه الحالة الأولى ومرة الثانية. ومنهم من يسير بهمة فيجوز تلك الفيوضات الحاصلة، من الرشحات قاصداً أعلى المقامات، فينتهي إلى مقام يرى الرسول ﷺ حاوياً وحاجباً لغيره عنه، فمن دنا إلى هذا المقام ليس كمن كان بعيداً عنه، إذ من كان حول الحمى يوشك أن يشم رائحته، ومن صار إلى الفناء قد يُلمِّع الله له بارقَتَهُ، وليس هذا في الحقيقة حجاباً مانعاً بل وصولاً يانعاً، فهذا هو الحق الذي لا شك فيه، والكشف الذي لا ريب يقربه، ولذلك قلت نظماً:

أأقنع بالبروق وأنت روحي ... وأحْيَي بالوصال وأنت ذاكا
ومقصودي من الدنيا هيام ... ببذلي الروح وأهلك في حماكا
فإن حماك يا مولاي هذا ... حمى مولاك حقاً لا بقاكا
ولو لي قدرة لأذبت قلبي ... إذا هو قد رأى أحداً سواكا
أيشهد رؤية الأغيار من قد ... غدا محبوبه أبداً سواكا
وأعطاك المظاهر والتجلّي ... وخصك بالمحبة واجتباكا

وبهذا تبين لك أن الطريقة الثانية أعلى وأرجح، ولأنها طريقة أكابر العارفين منهم: العارف بالله تعالى السيد الشريف عبد السلام بن مشيش، شيخ الأستاذ أبي الحسن الشاذلي، الذي قال فيه القطب الحنفي: اطلعت على مقام الجيلاني والشاذلي، فإذا مقام الشاذلي أرفع، رحمهم الله تعالى . ثم هذا القول من الشيخ ابن العربي الأليق حمله عليه اضطراب الحال، وبحسب ما منح من الفيض والنوال، قبل شهودي عالي درجات الكمال، فلا يلزم منه أن يكون الشيخ عبد القادر وغيره ممن ذكر هذا طريقة إلا على فهمه، إذ لا يمكن أن الشيخ ممن اختلف حاله، بل هو يقين عند من ظهر له كماله، فتأمل هذا الأمر إن كنت ذا بصيرة، ولا تنكشف حقيقة ذلك إلا لمن لوحظ بالعنايات الكبيرة، ولم أذكر ذلك إلا لبيان منصبه العظيم، وإظهار حق مقداره الجسيم، عليه من الله أكمل الصلاة والتسليم .

(القَائِمُ لَكَ) أي الناصب لك ذاته وسرّه وروحه، قاصداً تجليات ذاتك، ومظاهر صفاتك، لأنها حياة ذاته وروح سرّ صفاته، (بَيْنَ يَدَيْكَ) أي في حضرتك لاستئْناسِهِ بك ،وقيامه بخدمتك، ولتلقيه التجليات التي لو برز منها ذرة لمن سواه من الوجود لمات .

(اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ) ﷺ، هذا دعاء من السيد -رحمه الله تعالى- بإلحاق نسبه به ﷺ، وتحقيقه وتأكيده وإن كان هو كذلك ظاهراً، إذ لا يعلم الباطن إلا الله تعالى، أو دعاء نسبة خاصة تلحقه بأخص الخاصة، وكلا المعنيين يقصدهما كل قارئ لهذه الصلاة شريف النسب، وثانيهما فقط

ينويه من ليس كذلك قاصداً أعلى الرتب، كما يشير إليه قوله ﷺ : (سلمان منا أهل البيت)، وقوله عليه الصلاة والسلام في حقه السالف أربعة وعده منهم، وقوله عليه الصلاة والسلام: (إن الله يحبّ من أصحابي أربعة)، وذكره فيهم، وقوله: (إنه أحد الذين تشتاق إليهم الجنة) . وسئل عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: (أدرك العلم الأول والآخر بحر لا ينزف)، وهذا النسب هو الأشرف والأكمل، وبه يتشرف سيد الوجود ﷺ وأهل بيته لأنهم معدنه وموطنه، وركنه تمام الافتقار وكمال الانكسار، كما أشار إليه سيد الأخيار بقوله ﷺ : (اللّهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأشرب كما يشرب العبد، وأجلس كما يجلس العبد)، وحسبك من ذلك أنه (خُيّر بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً)، ولهذا السرّ لما تفاخرت قريش عند سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لكني خلقت من نطفة قذرة، ثم أعود جيفة منتنة، ثم إلى الميزان، فإن ثقل ميزاني فأنا كريم، وإن خفّ فأنا لئيم .

وقال أبو بكر رضي الله عنه : إيّاكم والفخر، وما فخر من خلق من التراب، ثم إليه يعود، ثم يأكله الدود؟ . وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ما لابن آدم والفخر، أوله نطفة وآخره جيفة، لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه . ولما دخل أويس القرني -رحمه الله تعالى- المزبلة يتقوّت بما يجد فيها من كسرة ونحوها،

إذ نَبَحَهُ كلب، فقال أويس: كُلْ مما يَليكَ وأنا آكل مما يليني، إن دخلت الجنة فأنا خير منك، وإن دخلت النار فأنت خيرٌ مني .

(وَحَقِّقْنِي بِحَسَبِهِ) لما دعا بالإلحاق بنسب الذات، طلب التحقق في المعنى والصفات، ليفوز بأعالي المقامات، ويحوز راقي الكمالات، وهو الاتصاف بصفات سيد الأشراف، والتخلق بأخلاق ابن عبد مناف، التي هي أخلاق الرحمن، كما قالت عائشة رضي الله عنها : (كان خلقه القرآن)، والتي أمرنا بها ابن عبد الله قال: (تخلقوا بأخلاق الله)، وهذا هو الشرف الذي شرف به على سائر الوجود، واجتباه به الإله المعبود، وجعله لأمته الطريقة الحسنة، كما قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ)، وجعل محبته سبحانه مترتبة عليه، واصطفاه فقال تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)، وحقيقته التطهر من الأخلاق النفسية، والتحلّي بالنعوت الزكيّة، والتشوُّق بالأحوال الروحية، إلى شهود ربّ البريّة، ليحظى بالمرتبة العلية، المرموز بها في قوله سبحانه: (لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنّه)، والمشار إليها بقوله جلّ شأنه: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمِعَتْ، ولا خطر على قلب بشر) ، ولم يقيد ذلك بوقت آجل ولا عاجل .

فذو التحقق حظه عاجل وآجل، كما قال سيدي ابن عطاء الله -رحمه الله تعالى- : (جلّ ربنا أن يعامله العبد نقداً، فيجازيه نسيئة) . وقال أيضاً: (كفى العاملين جزاءً ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانستِهِ) . وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إن أردت عِزّ الدارين، فادخل في طريقتنا يوماً أو يومين) .
ورأى شخص إبراهيم بن أدهم -رحمه الله تعالى- وهو يرقع ثوبه، فقال له: ما عوّضك الله يا إبراهيم عن ملك بلخ ؟ ، قال: شيء لا يصل إليه عقلك ولكن أظهر لك شيئاً تفهمه، فرمى بإبرته إلى البحر، ودعا الله أن يردها عليه، فإذا كل حوتة في فمها إبرة من ذهب، فقال: يا ربّ ما أردت إلا إبرتي، والتفت إلى ذلك الشخص، وقال: هذا مما أعطاني الله مما تفهمه .

وما أحسن قول سيدي ابن عطاء الله في مناجاته: (إلهي ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك؟، لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسر من بغي عنك معدلاً، كيف يرجي سواك وأنت ما قطعت الإحسان؟، أم كيف يطلب من غيرك، وأنت ما بدلت عادة الامتنان؟) .

وإذا كان النعيم العظيم شهود ذاته، والخير الكبير في تجلي صفاته، فأي جزاء يدانيه؟، وأي نعيم غيره يحاكيه؟ ، هيهات هيهات . ولذا قال سيدي عمر بن الفارض، ما حكاه سبطه في ترجمته، لما مثلت له الجنة، فبكى وتغير لونه، وقال:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ... ما قد رأيت فقد ضيّعتُ أيّامي

قال سبطه: فقلت له: يا سيدي هذا مقام كريم، فقال: يا إبراهيم، رابعة العدويَّة، وهي امرأة تقول: وعزّتك ما عبدتك رغبة في جنتك بل لمحبتك، وليس هذا ما قطعت عمري في السلوك إليه، فسمعت قائلاً: ما تروم؟ قال:

أروم وقد طال المدى منك نظرة   وكم من دماءٍ دون مرماك طلتِ

وهذا التحقق ينويه كل تالٍ لهذه الصلاة، إذ لا مانع من فضل الله، ولما دعا بالإلحاق بالنسب، الذي هو بمنزلة الإسلام، كما صرح بذلك سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقوله : أنا ابن الإسلام، وطلب التحقق بالحسب الذي هو بمثابة الإيمان الكامل، كما قال ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)، طلب مرتبة الإيقان، لكي يصل إلى مقام الإحسان، فقال:

(وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ): أي اكشف لي عن حقيقته، (مَعْرِفَةً) أي كشفاً تاماً، يوصل إلى يقين وعيان، لا بحجة وبرهان، لكي (أَسْلَمَ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الجَهْلِ) الحاصلة من قصور العقل، والناشئة من عدم معرفة النقل، (وَأَكْرَعُ) أي أشرب، (بِهَا) أي بتلك المعرفة التامة، (مِنْ مَوَارِدِ الفَضْلِ) أي من محل واردات الفضل، وأجرع بها من بحار النفل .

(وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ) أي وسيّرني على طريقه وسننه بفيض فضلك، وكمال منته، (إِلَى) لزوم ظهور صفتك، ومراقبة شهود (حَضْرَتِكَ) التي لا كيف يصفها، ولا أين يشملها، بل هي المحيطة بجميع الكائنات، ومشهودة العارفين والعارفات، وهذا مقام الإحسان الذي هو نتيجة الإيقان، المذكور

في قول السيّد الأوّاه: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه)، وهو أعلى المقامات، ويسمى المراقبة عند الصوفيّة السادات، وبعضهم يسميه المشاهدة، ويظهر أنها ثمرته، وفي هذا المقام يحصل الفناء المرام، الذي هو انتهاء سير السالكين الكرام، ويتحلّى بمقام العرفان، الذي أشار إليه أبو يزيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقوله: العارف على لسانه وصف الربوبية، وعلى أركانه خدمة الديمومية، وعلى نفسه أثر العبوديَّة، وفي قلبه هيبة الفردانية، وفي سرّه طرب الإلهية، وفي روحه شعب الروحيّة .

(حَمْلاً) أي سيراً مرفوفاً بجذبتك، (مَحْفُوفاً) بإمداد (نُصْـرَتِكَ)، لا بعزمي وقوتي، فإنه لا حول ولا قوّة إلا بك يا قوي، وما أحسن قول ابن عطاء الله: (إلهي اطلبني برحمتك، حتى أصل إليك، واجذبني بمنتك حتى أقبل عليك) .

ولما فرغ من طلب الفناء الناتج من دخول الحضرة، تشوّق إلى طلب البقاء الذي هو مقام التربية والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: (وَاقْذِفْ) بكسر الذال المعجمة: أي ارم، (بِي عَلَى البَاطِلِ) هو ضد الحق، بقدرتك القاهرة لا بقدرتي الناخرة، وبتأثيرك الكبير، لا بتأثيري الحقير، فإنك الفعّال لا غير، وما أحسن قول ابن عطاء الله في مناجاته: (إلهي، كيف أعزم وأنت القاهر، وكيف لا أعزم وأنت الآمر؟)، وقال أيضاً: (إلهي، حلمك النافذ ومشيئتك القاهرة، لم يتركا لذي مقالٍ مقالاً، ولا لذي حال حالاً)، وكل هذا طلب للفناء في الأمور كلها، ولو في حالة البقاء

المشار إليه بقوله سبحانه وتعالى: (في يسمع وبي يبصر، إلى آخره)، والموحى إليه بقوله تعالى: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ)، ولذا قال بعضهم في وصف العارف له:

لذا الجمع فرق يستضِئ به   كالجمع في فرقه ما زال يلقيه

وهذا أعلى مراتب العرفان، ولا يحصل إلا بفيض فضل المنّان، وإليه أشار سيدي ابن عطاء الله، بقوله: (إلهي، حققني بحقائق أهل القرب، واسلك بي مسالك أهل الجذب) .

(فَأَدْمَغَهُ) بفتح الميم فعل مضارع منصوب في جواب الدعاء: أي أهشمه وأكسره وأدحضه، (وَزُجَّ) بضم الزاي وفتح الجيم المشددة، أمر من الزج: وهو الرمي، (بِي فِي بِحَارِ الأَحَدِيَّةِ) أي حضرة ذاتك الصمدية، مع قطع النظر عن الأسماء والصفات الإلهية، لأستأنس بشهود حضرة الذات، ولئلا يتفرّق جمعي بالنظر إلى الأسماء والصفات، (وَانْشُلْنِي) أي انزعني بسرعة من مهاوي التقليد، واخطفني بقوة، (مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ) أي مزالقه التي لا يسلم منها إلا من سلّمه الله، ولا يخلص منها إلا من نشله مولاه؛ ومن ذلك لما حصل لبعض العلماء الكبار النزع، وكان قد صوّر ألف دليل على التوحيد، وجاءه الشيطان، وردّ عليه تلك الدلائل كلها وقع في وحلة وحيرة، فسمع هاتفاً يقول له: أحدٌ أحدٌ .

ومنها: ما حُكي عن الفخر الرازي، أن السلطان حبسه وعزم على قتله، وما له شفيع عنده، قال: فطمعت أن أجمع همي على الله في أمري، أن يخلصني لما انقطعت الأسباب، وحصل اليأس من كل ما سواه، فما خلص لي ذلك لما يرد عليّ من الشبه النظرية، في إثبات الله الذي ربطت معتقدي العامة، ورميت من نفس نظري وأدلتي، ولم أجد في نفسي شبهة تقدح عندي فيه، وأخلصت إليه ودعوته، فما أصبحت إلا وفرّج الله عني، ولهذا الشأن، قال الشيخ الإمام العارف بالله تعالى حجة الإسلام محمد الغزالي -رحمه الله تعالى- : (معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله لا تحصل من علم الكلام، بل يكاد يكون حجاباً ومانعاً)، وقال أيضاً: (من عرف الحق بالرجال، حار في متاهات الضلال، فاعرف الحق تعرف أهله) .

وقال الشيخ محيي الدين بن العربي -قدّس الله سرّه- : (كل من آمن بدليل، فلا وثوق بإيمانه لأنه نظري، فهو معرّض للقوادح، بخلاف الإيمان الضروري الذي يوجد في القلب ولا يمكن دفعه، وكلّ علم حصل من نظر وفكر لا يسلم من دخول الشبهة عليه ولا النظر فيه) . وقال أيضاً: (من طلبه بالفكر وقوة العقل، لم يحصل من المعرفة بالحق على طائل، كيف يطلب من يقبل المثيل والنظير، من لا مثيل له ولا نظير؟) ، ولذا قال علي رضي الله عنه :

كيفيّة المرء ليس المرء يدركها ... فكيف كيفية الجبار ذي القدم

هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعاً ... فكيف يدركه مستحدَث النَّسمِ

وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (كل ما يتصوّر في الأوهام فالله بخلافه) . وعنه أيضاً: (إن العقل لإقامة رسم العبودية، لا لإدراك الربوبية) . وقال ﷺ : (إن الله احتجب عن البصائر، كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم)، فإذا كان كذلك فالاشتغال بكثرته باطل وحرام، إلا لضرورة تدعو إلى ذلك، قال في الإحياء، وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف . قال ابن عبد الأعلى: سمعت الشافعي في يوم ناظر حفصاً القرد، وكان من متكلمي المعتزلة يقول: (لأن يلقى الله عزّ وجلّ بكل ذنب ما خلا الشرك، خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام) . ولقد سمعت من حفص كلاماً لا أقدر أن أحكيه . وقال أيضاً: (قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في علم الكلام) .

وحكى الكرابيسي أن الشافعي -رحمه الله- سئل عن شيء من الكلام، فغضب وقال: (سَلْ عنه هذا، يعني حفصاً القرد أو أصحابه أخزاهم الله) . وقال أيضاً: (لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء، لفرّوا منه فرارهم من الأسد) . وقال أيضاً: (إذا سمعت الرجل يقول: الاسم هو المسمى أو غير المسمى، فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له) . وقال الزعفراني: قال الشافعي -رحمه الله- : (حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد،

ويطاف بهم في العشائر والقبائل)، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام .

وقال أحمد بن حنبل -رحمه الله- : (لا يفلح صاحب كلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً ينظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل)، وبالغ فيه حتى هجر الحارث المحاسبي -رحمه الله- مع زهده وورعه، بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة، وقال: (ويحَك، ألست تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم؟ ، ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات، فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث؟)، ولهذا قال السرّي خال الجنيد وشيخه -رحمهم الله- : (إذا قمت من عندي فمن تجالس؟، قلت: المحاسبي، قال: نعم خذ من علمه وأدبه، ودع عنك تشقيقه في الكلام، ورده على المتكلمين)، مع أنه كان لا يتكلم في الكلام، إلا وأصحابه يسمعون كأنما على رؤوسهم الطير، ومنهم من يبكي، ومنهم من يصفق لأحوال تعتريهم .

وقال في الإحياء: المحاسبي خير الأمة في علم المعاملة، وله السبق على جميع الباحثين على عيوب النفس وآفات الأعمال وأعوار العبادات . وقال أحمد أيضاً: (علماء الكلام زنادقة) . وقال مالك: (رأيت أن جاءه ما هو أجلل منه، أبدع دينه، كل يوم له دين جديد) . وقال أيضاً: (لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء) . قال بعض أصحابه في تأويله: أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا . وقال أبو يوسف: (من طلب العلم بالكلام تزندق) . وقال أيضاً: (لا تجوز الصلاة خلف المتكلم) . وقال

الحسن: (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم) . وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا، ولا ينحصر ما نقل عنهم التشديدات فيه، وقالوا: ما سكتوا عنه مع أنهم أعرف بالحقائق، وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم، إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر . ولذلك قال ﷺ : (هلك المتنطعون هلك المتنطعون)، أي المتعمقون في البحث والاستقصاء .

وبهذا تبين أن الاشتغال به داءٌ كبير، بل به ضلّ الكثير؛ إذ هو من أوحال التوحيد، ولذا كان الإمام المستقيم الرشيد أبو بكر الشاشي -رحمه الله- يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى، وفي ذكر صفاته إجلالاً لاسمه تعالى ولذاته، ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عزّ وجلّ .

وما أحسن قول سيدي ابن عطاء الله -رحمه الله تعالى- في مناجاته: (إلهي، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك؟ ، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟، يا عجباً كيف يظهر الوجود بالعدم؟، أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم؟) . هيهات هيهات، ليس ذاك إلا بالنفحات، هيهات هيهات ما ذاك إلا بالجذبات، هيهات هيهات أصل ذلك العنايات .

(وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ) المطلقة عن الإطلاق، الظاهرة في سائر الأقطار والآفاق، التي هي عين ما يكون وما كان، الثابتة بـ (كان الله ولا

شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان)، وحقيقتها وحدة ذاته بكثرة صفاته، مع عدم شيء من مخلوقاته، بالنظر إلى جلال ذاته وكمال صفاته، (كل من عليها فان)، شاهدة بعدم وجود شيء من الأكوان، ودوام ذي الجلال والإكرام، على ما عليه كان، وقوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه)، أدَلُّ دليل على أنه لم يكن معه شيء، ولقد قال ﷺ : (أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

ولله در القائل:

الله قل وذر الوجود وما حوى ... إن كنت مرتاداً بلوغ كمال

فالكل دون الله إن حققته ... عدم على التفصيل والإجمال

واعلم بأنك والعوالم كلها ... لولاه في محو وفي اضمحلال

فالعارفون فنوا ولما يشهدوا ... شيئاً سوى المتكبر المتعال

وَرَأَوْ سواهُ على الحقيقة هالكاً ... في الحال والماضي والاستقبال

ولذا قيل:

مذ عرفت الإله فلم أرَ غيراً ... وكذا الغير عندنا ممنوع

وهذه الوحدة تسمى وحدة الوجود، والوحدة المطلقة، وهي التي بسببها كفّر كثير من أكابر العلماء بعض العارفين الأولياء العظماء، كالشيخ ابن عربي وطائفته، والعارف عبد الكريم الجيلي، والعفيف التلمساني، ومن جرى مجراهم، وذلك لعدم فهمهم معناها مع اعتقادهم لحقيقة مبناها، لأن كل واحد في الوجود يعتقد أن الوجود الحقيقي لله، وما سواه فإنه وجود مجازي وخيال وباطل بالنسبة إلى وجوده تعالى، لكن ناس من ذلك اكتفوا بالاعتقاد، وآخرون انتقدوا ذلك كمال الانتقاد، فشمروا في طلبه وطلبوا لسببه، فرأوا سببه (كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان)، فلما تأملوا في السبب هاموا في الطلب، فلما رآهم المالك كشف لهم منهم حقيقة ذلك، لصدقهم في طلبه وشغفهم في طلبه، فتجلّى لهم في سائر الوجود، فظهر أن لا وجود إلا الإله المعبود، فتحققوا بمقام الفناء، وصار كل منهم يقول أنا، وليس في الحقيقة لأنه من جملة من فناه الخالق، ولكن لسان الحقيقة الربانية نطق القضية الأنانية، فتنبه يا حيران، وافهم كلام أهل العرفان . وما أحسن كلام أبي الروذباري، -رحمه الباري- :

إن الحقيقة غير ما يتوهم ... فانظر لنفسك أي حال تعزم

أتكون في القوم الذين تأخروا ... عن حقهم أو في الذين تقدموا

لا تخدعنْ فتلوم نفسك حين لا ... يجدي إليك تأسف وتقدُّمُ

ولقد صدق بعض العارفين، حيث قال:

الطرق شتى وطرق الحق مفردة   والسالكون طريق الحقّ أفراد
لا يعرفون ولا تدري مقاصدهم   فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يرادُ بهم   فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وبهذا التحقيق، تبين لك أن لا خلاف بين الفريق، ولكن ما تنكشف حقيقة ذلك، إلا لمن فني عن شهود الكونين، وأذهب ذاته من البين، فحينئذ يبرز له نور الحقيقة، بسبب اتباع الطريقة، ويشهده سبحانه ظاهراً مرتقباً، وبكمال ظهوره محتجباً، كما قال العارف السودي -رحمه الله تعالى- :

بالظهور الصرف حجب محتجب   إنه قد صحّ هذا في الخبر
أنت فيهم ظاهر وبهم   ولهم لو أبقى الأثر
لو تلاشت عنهم ظلم   وانمحوا عن عالم الصور
شاهدوا معناك منبسطاً   سارياً في سائر الفطر
ورأوا أن الحجاب همُ   عن شهود المنظر النضر
وقضى يعقوب حاجته   وانتهى زيد إلى الوطر

وما أعظم قول العارف بالله سيدي ابن عطاء الله في حكمه: (ما حجبك عنه وجود موجود معه إذ لا شيء معه، ولكن حجبك عنه توهم وجود شيء

معه، لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجوه أبصار) . وقال أيضاً: (مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه، كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي ظهر بكل شيء؟، وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء؟، وكيف يتصور أن يحبه شيء، وهو الواحد الذي ليس معه شيء؟، وكيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو أقرب إليك من كل شيء؟، يا عجباً! كيف يظهر الوجود في العدم؟، أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم؟) . وقال أيضاً: (من عرف الحق شهده في كل شيء) . وقال أيضاً: (الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه، أو عنده أو قبله أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف وسحب الآثار) .

وقال الغزالي -رحمه الله تعالى- في كتاب تلاوة القرآن من الإحياء: (أما أفعاله فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها، فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله، إذ الفعل يدل على الفاعل، فتدل عظمته على عظمته، فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل، فمن عرف الحق رآه في كل شيء، فهو منه وإليه، وبه وله، فهو الكل على التحقيق؛ ومن لم يره في كل ما يراه فكأنه ما عرفه، ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل، وأن كل شيء هالك إلا وجهه، لا أنه سيبطل في ثاني الحال، بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو، إلّا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله وبقدرته، فيكون له بطريق التبعية ثبات، وبطريق الاستقلال بطلان

محض، وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى، تضمن التفاته شيئاً من الشرك الخفي، بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عزّ وجلّ)، انتهى كلام الغزالي . ومن هنا قال سيدي إبراهيم الدسوقي -رحمه الله تعالى- :

تجلّى لي المحبوب في كل وجهتي   فشاهدته في كل معنى وصورة

وقال أبو الحسن التستري -رحمه الله تعالى- :

كشف الحب عن قلبي الغطا   وتجلّى جهرة مني إليّ
وجلا عني حجاباً كنته   وتلاشى الكون يا صاحي لديّ
أيّ سرّ ما بدا إلا لمن   قد طوى العقل مع الكونين طيّ
ورأى الأشياء شيئاً واحداً   ورأى الواحد فرداً دون شيء

وفي قوله تعالى: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)، دليل ممن هو من أهل الله، وإذا كان لا وجود إلا وجوده، ولا فعّال سواه لم تكن حقيقة الاستعاذة إلا منه، كما قال ﷺ : (وأعوذ بك منك)، ولم يحصل الإمداد للاستعداد إلا عنه، كما قال سبحانه: (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) إلى آخر الحديث . ولذا قال المصنف -رحمه الله- .

(حَتَّى لاَ أَرَى) شيئاً من الموجودات، (وَلاَ أَسْمَعَ) أمراً من الكائنات، (وَلاَ أَجِدَ) حالة من الحالات، (وَلاَ أُحِسَّ) بوارد من الواردات، (إِلّا بِهَا)

أي بوحدة ذاتك، وصفاتك السارية في سائر مخلوقاتك، والغامرة لجميع موجوداتك، والفاعلة لسائر سكناتك وحركاتك، فما في الوجود سواها ولا نعبد إلا إيّاها، بل لا نقصد إلا إيّاها، بل لا نشهد إلا إيّاها، وكل أحد من الوجود في بحر ذاتها مفقود، وبعين وجودها موجود، لكن لا يشهد حقيقة ذلك إلا العارفون، ولا يتشرّف بمرآها إلا المحبون . وما أحسن قول بعضهم:

إذا ظهر العبد من كونه ... يكون الإله هو الناطق
كمثل المصلي إذا قام من ... ركوع الصلاة هو الصادق
ينوب عن الحق في نطقه ... فليس يقوم به عائق
فكل كلام له صادق ... وكل شراب له رائق

ولله درّ العارف بالله تعالى، أبي الحسن النوري، حيث قال: (إن لله عباداً يغدون بالله، ويروحون بالله، وينطقون بالله، ويحيون بالله، ويموتون بالله، ويرجعون في كل أمر إليه، ويتوكلون عليه، ويبقون بجميل نظره إليهم) . ومن هذا البيان يفهم قول العارف بالله تعالى سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه : (لي أربعون سنة أكلم الناس، والناس يظنون أني أكلمهم)، ونحوه . إذ من كان لا يرى إلا مولاه كيف يمكنه كلام أحد سواه؟، بل لو كان في تمام فناه، قال: أنا المتكلم الله، إذ عند اضمحلال الوجود لم يكن الناطق إلا الله المعبود، وكما يشير به قوله تعالى: (في ينطق)، ويوضحه قوله : (لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار)، وكل هذه إشارات يعرفها

أربابها، وبصحبتهم ينكشف نقابها، فاقصد الله، وتمسك بأهل الله، إن أردت الوصول إليه ومعرفة مكاناتهم لديه، ومن كان لا يرى ولا يسمع ولا يجد ولا يحس إلا بالله، ماذا يريد بعده، وماذا ينكر عليه أفعاله؟، إذ أفعاله أفعاله سبحانه، وصفاته صفاته، والله تعالى يقول الحق، وهو يهدي السبيل، وما رميت إذ رميت، ولكن نحن الرامون في الحقيقة، إنك ما هديت من هديته، ولكن نحن الهادون للطريقة، (أفرايتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)، (قل كل من عند الله، فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً)، وفي قوله: (والله خلقكم وما تعلمون)، أظهر آية لمن يبصرون .

وحيث كان السير لا ينقطع أبد الآباد، والسلوك دائماً إلى يوم التناد، والترقي سرمداً في ازدياد، كما قال شيخ الشيوخ العارف السهروردي -رحمه الله تعالى- في "عوارفه": (أهل الجنة لا يزالون أبد الآباد في الترقي، لعدم انتهاء مطلوبهم) . (وكما صلّى عليه الصلاة والسلام، حتى تورّمت قدماه، فقالت له عائشة رضي الله عنها : فداك أبي وأمي أما نزلت في حقك: (ويغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً) . طلب سيراً أرقى من السير السابق، ليسعد به على كمال شهود الفرد الخالق، فقال بلسانه المحكم مطابقاً لجنانه المغرم .

(وَاجْعَلِ اللَّهُمّ الْحِجَابَ الأَعْظَمَ)، قد مرّ بيانه وتبيانه أنه الرسول الذي عظم شأنه ﷺ من تعالى جده وسلطانه، (حَيَاةَ رُوحِي) الروحانية لتترقى

من محبتها الذاتية، وتتحلّى بشوق خير البرية، (وَرُوحِهِ) ﷺ ، (سِرَّ حَقِيقَتِي) أي لبّ حقيقتي النورانية لتكمل أنوارها، وتغمر بمحبته روحه بحارها، (وَحَقِيقَتِهِ) عليه الصلاة والسلام أي أسراره، (جَامِعَ عَوَالِمِي) أي حاوي أسراري وأنواري، كي لا تهيم روحي في محبة خالقها إلا بشوقه، ولا تنير حقيقتي إلا بغرام روحه، ولا يصير جامع عوالمي إلا حقيقة ذاته، وإذا أذهب عينه من البين، لم يبق إلا استعداد حائز الشرفين، وسيد الكونين، صلّى الله عليه وسلّم، وشرّف وكرّم ومجّد وعظّم، وهذا مقام الفناء في الرسول الموصل إلى كال الوصول .

فإن قيل: كيف يطلب الشيخ الفناء في الله، بقوله: (وأغرقني في عين بحر الوحدة، إلى آخره)، ثم يؤخر طلب الفناء في الرسول ﷺ ، مع أن عادة الله في أوليائه جارية بعكس هذا؟ .

قلت: هذا لا يصح إيراده لمن له ذوق عظيم وفهم مستقيم، لأن كلام الشيخ من أول الصلاة فناء فيه ﷺ، يعرف ذلك من كان من أربابه، وقد تخلّى من حجابه، وليس هذا إلا فناءً خاصاً، يرقيه إلى مرتبة خاصة، يشير إليها قوله ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه، تبعاً لما جئت به)، وقد جاءنا بثلاثة أشياء يفترض محبتها ولزومها:

الأول: ذاته الشريفة، وقد بالغ في محبتها، وجعلها حياة روحه، التي بها ذكر . الثاني: صفاته المنيفة، وقد أشار إلى محبتها، بقوله: (وروحه سر حقيقتي) . الثالث: ما نبأنا به عن الله، وهو شامل للكل، وقد أومأ إليه

بقوله: (وحقيقته جامع عوالمي)، فإذاً لا ذات له ولا صفة فضلاً عن هوى، وهذه الرتبة هي الاستقامة، التي ما فوقها كرامة. كما قال بعض العارفين -رحمهم الله أجمعين-: (ذرة استقامة خير من ألف كرامة). وما من أحد من العارفين إلا ويطلبها أبداً، من الله حالاً ومقالاً، يعرف ذلك من منحه الله ما هنالك. قال ابن عطاء الله -رحمه الله تعالى-: (مطلب العارفين من الله تعالى، الصدق في العبودية، والقيام بحق الربوبية).

(بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ الأَوَّلِ) أي مع تحقيق عنايتك السابقة، ودوام إمداداتك المتلاحقة، لتكون الآخرة الخاتمة، على وفق العناية الدائمة.

ولما كان مطلوبه أعلى المطالب، ومآربه أسنى المآرب، زاد وألحّ في الدعاء بقوله: (يَا أَوَّلُ) ولا وليّ معه وبلا أوليّة، (يَا آخِرُ) ولا شيء معه ولا آخريّة، (يَا ظَاهِرُ) ولا لغيرك ظهور، (يَا بَاطِنُ) في الخفية والظهور، (اسْمَعْ نِدَائِي) في حالتيْ بقائي وفنائي، (بِمَا سَمِعْتَ نِدَاءَ عَبْدِكَ زَكَرِيَّا) بالسمع الخاص، مجيباً بكن من أهل الخواص، فإني كسير وحيد فريد، وبافتقاري وعجزي حاضر عتيد، وذلك دأب الداعين الصادقين، كما قال: (ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين) واختار السيد -رحمه الله تعالى- أن يكون سمع دعائه، عين سمع نداء السيد زكريا، صلّى الله على نبينا وعليه وسلّم، لما في النداءين من التشبيه في كمال الانكسار، الموجب تمام الانجبار، ولأن العارف من يشهد أن لا شيء في الوجود ينفع ويضر إلا الله المعبود، بل ولا يرى في حال الشهود، إلا من هو عين الوجود، وحينئذ يبقى وحيداً

فريداً، لا ولد ولا وليداً، فيطلب صديقاً وارثاً، وليس له دون الله حبيباً ولا وارثاً، فكأنه بسائر أدعيته يطلب أن يرثه المولى بكليته، إذ هو خير الوارثين، ذات العارفين لا سيما المحبين الصادقين، سبحان من وهب الكلّ ملكاً بالتفضل ثم ورثه .

ولما كان المقصود دوام الشهود، وكان شأن القلب التقلب، واختلاف التطلب، طلب الإمداد بالنصرة والتأييد، بذات مولاه العزيز الحميد، فقال:

(وَانْصُرْنِي) على تقلب قلبي، (بِكَ) أي بذاتك الربانيّة، وصفاتك الإمدادية، لكي أكون (لَكَ) عبداً وقاصداً، ولشهود ذاتك حاضراً مراصداً، (وَأَيِّدْنِي بِكَ) أعني بذاتك الصمدية، لا بذات غيرك العجزية، وبنعوت ذاتك القوية، أدوم (لَكَ) مشاهداً، وفي خدمتك مجاهداً؛ وكلّ هذا طلب للجذب مع التحقق بمقام القرب، الذي أفصح عنه ابن عطاء الله، بقوله: (إلهي، حققني بحقائق أهل القرب، واسلك بي مسالك أهل الجذب) .

ولما كان المراد من الجذب المطلوب، جمع القلوب بالحبيب المحبوب، ونفي ما سواه من ساحات القلوب، قال: (وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ) أي بين ذاتك الربانية، وبين ذاتي العبديّة، لتكمل إضافتي الشريفة، بالاتصال بإضافتها المنيفة، كما قلت:

كفى شرفاً أني مضاف إليكم فجودوا بوصل دائم بدوامكم
يكمل تشريفي وتعظم رتبتي وأحظى بمقصودي وأحسب عليكم

وليتم المقصود بالنظر إلى جمال المعبود، ولتكون ذاتي في المزيد، وكل آنٍ يمر فرحٌ وعيد، كما قيل:

إن يوماً جامعاً شملي بكم   ذاك عيد ليس لي عيد سواه

وما قيل:

أرى موسم الأعياد أنس الأجانب   وما العيد عندي غير قرب الحبايب

وروى الشبلي -رحمه الله تعالى- أنه كان خارج مسجد يوم عيد وهو يقول :

إذا ما كنت لي عيداً   فما أصنعُ بالعيد؟

وكيف لا يطلب الجمع المراد، وهو روح الحياة أهل الوداد . ولله در العارف بالله تعالى شهاب الدين يحيي السهروردي، حيث قال:

أبداً تَحِنُّ إليكم الأرواح   ووصالكم ريحانها والراح

وقلوب أهل ودادكم مشتاقةٌ   وإلى لذيذ وصالكم ترتاح

وا رحمة للعالمين تكلفوا   ستر المحبة والهوى فضّاح

وقال أبو علي الروذباري، رحمه الله تعالى:

روحي إليك بكلها قد أجمعت   لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي إليك بكلها عن كلها   حتى يقال من البكاء تقطعت
فانظر إليها نظرة فلطالما   أسمعتها من نغمة فتمتعت

وقال بعضهم:

يا عذولي سلم إليك قيادي   ثم دَعْنِي فما عليك رشادي
حبه راحتي وروح حياتي   وكذا ذكره بلاغي وزادي
وإذا ما مرضت فهو طبيبي   كلما عادني بلغت مرادي
ومتى ما ضللت أو ضلّ ركب   عن حماه فوجهه لي هادي
يا عذولي فكن عليه عذيري   أو فقل لي ما حيلتي واجتهادي
إن تلمني أو لا تلمني فإني   حبه مذهبي وأصل اعتقادي

ولأجل هذا الشأن قال بعضهم :

فما مقصودهم جنات عدن   ولا الحور الحسان ولا الخياما
سوى نظر الجليل فذا مناهم   وهذا مطلب القوم الكراما

واعلم أن الجمع بالله تعالى عبارة عن شهود تجلياته الذاتية، مع عدم شهود شيء من البرية، مع تنزيه الذات والصفات، عن كل ما يجري في الأوهام والإشارات، ولا يحصل ذلك إلا لمن خطفته الجذبات الإلهية، بما سبق له من العنايات الربانية، وقد جعل الله لذلك سبباً ظاهراً وهو المجاهدة، المعبر عنها باتباع الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً، في الأفعال والأقوال والأحوال، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، وقال جلَّ شأنه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وقال سيد الطائفة الجنيد محمد رضي الله عنه : (الطرق كلها مسدودة، إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ) . وقال أبو حمزة البغدادي -رحمه الله تعالى- : (من علم طريق الحق، سهّل الله له سلوكه)، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله . وما أحسن ما قيل: جاهد تشاهد وَجِدَّ تَجد .

ولما طلب الجمع، توجه إلى طلب المانع، مما يكدر صفاه، فقال: (وحل بيني وبين غيرك)، أي كن أنت حائلاً، بيني وبين من سواك، حتى لا أشهد ولا أرى إلا إيّاك، فإنك المطلوب المرام، وما سواك باطل وحرام، كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فإنها ... من الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت سطرها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وما قيل:

ولــو خطــرت لي في ســواك إرادة   عــلى خــاطري سهــواً قضـيت بردتي

وقال سيدي العاشق لله، عبد الهادي السودي، رحمه الله:

لغـــير جمـــالكم نظـــري حـــرام   وغـــير كلامـــكم عنـــدي كلام
وَعُمْـر النســر عنـدي بعـض يـوم   وســـاعة غــيركم عــام فعــام
وصـــبري عـــنكم شيء محـــال   وإن غبـــتم دنا مِـــني الحِمـــام
أَوَدُّ بأن أكـــون لـــكم نزيـــلاً   وتنصـــب لي بربعـــكم خيـــام

وقال بعضهم:

لا بلـغ الله عيــني طيـب رؤيـتكم   إن طـاب للسـمعِ يومـاً غـير ذكـركم
إن مــت في حــبكم يومـاً فيـا شرفي   ويا سروري بمـــوتي فـــيكم بـــكم
وإن نويـت اصـطباري عـن محبـتكم   عــدمت جمــع مســرّاتي بأنســكم
نسـيت كل طريـق كنـت أعرفهـا   إلا طريقـــاً تـــؤديني لـــربعكم

وقال آخر:

كانـــت بقلـــبي أهـــواء مفرقـــة   فاستجمعت مذ رأتك العـين أهوائي
تركـــت للنـــاس دنيـــاهم وديـــنهم   شـــغلاً بحبـــك يا ديـــني ودنيـــائي

ويقول الفقير هذه الأبيات، تفاؤلاً في أثرهم وثراهم، وأن يمنح ما منحهم به محبوبهم ومولاهم:

كل شيء غـيركم لهـو السـراب أنـتم المطلـوب بـدءاً والمـآب
لـو ثـنى قلـبي لميحـاً عـنكم مـا شمّ روحـاً ولا ذاق المطـاب
مـا لجنـان الخلـد إلا بـكم حـازت الراحـات والأنس العباب

ولهذا الشأن، قال سلطان العارفين أبو يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :)إن لله عباداً لو حجبهم الله في الجنة عن رؤيته، استغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار) . وقال أيضاً: (لله عباد لو حجبهم عنه طرفة عين، ثم أعطوا الجنان ما قبلوا) . وقال سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد -رحمه الله تعالى- : (الغفلة عن الله أشد من دخول النار) . وقال بعضهم: (لو حجب عني طرفة عين، لتقطعت من ألم البين، أو لما عددت نفسي من المسلمين) .

واعلم أن قصد العارفين والمحبين، شهود المحبوب في كل الأنفاس والأحوال، فمتى ما انثنى قصدهم عن ذلك إلى غيره، ولو إلى أعلى الطاعات والقربات، عدوا ذلك من عظيم السيئات، ومن هنا يفهم قول العارف بالله تعالى عمر بن الفارض، أمده الله بمدده الفائض: (ولو خطرت لي في سواك ...)، لبيت سابق، إذ من كان قصده شهود محبوبه في سائر أنفاسه، وهو الغرض الذي ما وراءه غرض . بل هو حقيقة التوحيد عند العارفين أولي التفريد، كما قال بعضهم: المُوِّحد هو الذي لا يرى إلا الواحد الحق، ولا

يتوجه ببصيرته إلا إليه، وإذا كان كذلك فشهود كل ما سواه، وخطوره بالبال شرك خفي، عند العارفين أولي الكمال، وذلك ردة في حقهم، إذ سيئاتهم بقدر حالهم، لا بالنظر إلى موجب الشريعة، وليست هذه الردة كفراً عندهم، بل من كبائر تقتضيها مقاماتهم .

وها هنا، أسرار لا تفشى والأدب السكوت . ولذلك قال الشبلي لتلميذه الخضري -رحمهما الله تعالى- : (إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة، غير الله لا تعدّ ثابتاً)، وكان يأتيه في كل أسبوع مرة . وقال بعض العارفين رضي الله عنهم : (وتداوم على قراءة القرآن، من حيث هو كلام الله، لا من حيث التفكر، وبمدلولاته من الأكوان، كالجنة والنار والثواب والعقاب والحساب وغير ذلك، حتى إن بعض السلف رضي الله عنهم قال: (إني ليعتريني الوسواس في الصلاة، قيل له: كيف ذلك؟ قال: أكون في الصلاة فأذكر مقامي بين يدي ربي) .

وقالت رابعة العدوية -رحمها الله- : (استغفارنا يحتاج إلى استغفار)؛ إذ طلب المغفرة بالنسبة إلى الشهود معصية، لأنه من باب شهود الأغيار، وذلك من معاصي العارفين الأخيار، يحتاج إلى استغفار، فصاحب شهود الغفّار، يكون القصد فيه أولاً شهود الواحد القهّار، ثم طلب نحو ما تقدم من شهود رؤية الأغيار، وهذا لكونها أضافت الاستغفار إلى نفسها، لكونها من العارفين . أما إن نزّلت نفسها منزلة العوام، للانكسار وإظهار الافتقار، فذاك أمرٌ جلي، ظاهر بديهي لذوي الأبصار .

وقال سهل بن عبد الله التستري -رحمه الله تعالى- : (التوبة فرض على العبد في كل نفس)، وهو قول حق لا يعرف معناه إلا الكُمّل من عباد الله، ومن أراد الله له السعادة، بشهوده في سائر الأنفاس . ويستأنس له بما في سنن أبي داود والترمذى ابن عمر رضى الله عنهما قال: (إن كنّا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: ربّ اغفر لي وتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم)، قال الترمذي حديث صحيح، هذا من سيد الوجود ﷺ الميسر في الأمور، والمبين لنا ما نفتقر إليه على مرّ الدهور، المطهّر من جميع الأوزار، المنتخب من سائر الأخيار، الذي هو روح التجليات، فكيف بغيره ممن لم يمنح ذرة من تلك الأنوار، وفي الحقيقة ليس هو، أفلا يتوب من جميع الذنوب، التي هي شهود الأغيار، المكدرة صفاء مشاهدة الستّار، ولو كانت من أعظم طاعات الأبرار والأخيار، إذ كل ما سواه فانٍ، وهو الذي ليس له ثانٍ، ومن كان مطلبه شهود السلطان، هل يشتغل بشهود الأخدان، ولذا قال بعضهم:

إذا كنت في وقت عن الحق غافلاً ... فأنت به في الكفر لكن بخفية

فإن دمت في ذا الحال صاحب غفلة ... فبابك في الإسلام سد بجفوة

وهذه ذنوبهم .

أما من كان مثلي، فذاك بالنسبة إليهم أدنى من الحمار، لأنه بهيمة سارحة في صحارى الأغيار، بل لو ذاق ذرة مما ذاقوه لعدَّ نفسه من المشركين الفجّار . اللّهم إنّا نسألك التوبة من كل ما سواك، فإنك أمرتنا

أن لا نعبد إلا إيّاك، وأنت التواب الرحيم؛ ومعنى الفرض الذي قاله: التقدير الذي تقتضيه الحقيقة، لا الفرض الشرعي الثابت بالدليل القطعي، لأن ذاك لا يكون إلا من قبل الشارع، وليس له في ذلك معارض، ولا منازع، كما قال: (إنما أنا بشر مثلكم لا أحل حراماً ولا أحرم حلالاً)، واتفاقهم أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، أقوى الحجج في ذلك والبراهين، فتأمل ذلك بالعين الخبيرة، وكن من معرفة كلام أهل الله، على بصيرة، وجز ما منح به رب العالمين من التحقيق والكشف المبين، ليكون أصلاً لك في حلّ ما يشكل من كلامهم، على ما هو التحقيق في قصدهم ومرامهم، ولله در القائل:

ستبدو لك الأسرار بعد اكتتامها ... كأنّ الذي قد صانها عنك يخبر
فسلم لهم فالقوم أهل عناية ... وحاملهم في الوصف لا يتحقر
وإن كنت يا هذا بهم متمسكاً ... فتبقى بطول الدهر لا تتغير

وكيف يعترضون وهم عند الله المكرمون، قال جلَّ شأنه: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، وهم المحققون بالتقوى لا غير . وفي حديث الذاكرين: (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)، وهل ذاكر الله حقيقة إلا حقيرهم ورايسهم . قال ﷺ : (إن لله عباداً من نظر في أحدهم نظرة؛ سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً)، وهل يكون هذا العبد غير من أحب ربه وأراد، أو غير من هو حبه وأجاد، هيهات هيهات ما المحبوب إلا هم، هيهات هيهات ما

المقصود إلا هم، هيهات هيهات ما الممنوح غيرهم، وقد حققت شأنهم في شرح (الزم باب ربك)، فإن أردته فتأمل فيه بلبك .

ولما كان الإلحاح في الدعاء مندوباً ومطلوباً، لا سيما عند العارفين لتحققهم بكمال الانكسار وتمام الافتقار، ولكونه حياة روحهم، لما فيه من مناجاة حبيبهم، كما قال في الحكم: (العارف من لا يزول اضطراره، ولا يكون مع غير الله قراره) . زاد ولحّ بقوله: (اللّهُ اللّهُ اللّهُ) ثلاثاً مضمراً لحرف ندائه، لكونه في حضرة فنائه، وهذا على ما أجازنيه من أخذت عنه الصلاة، على ما سمعته من بعض قادتها، فإن كان ذلك لما يتوهمه كثير من العلماء، من أن الذكر بالمفرد غير جائز، فهو غير صحيح، وقد رده بعض المحققين العارفين، وإن كان هذا الإضمار تلقوه عن صاحب الصلاة فلا كلام، وبيانه أنه دعا كما مرّ؛ والذي يظهر للحقير أن عدم الإضمار أولى، لأنه لما دعا بالجمعية وطلب للإحالة المنعية، صار كالكائن في الحضرة العلية، ومن كان حاضراً، ولمقصوده ناظراً، كيف يدعوه ويناديه وهو في حضرته وناديه، بل من كانت هذه حالته تخرس عبارته وتنمحق إشارته . ولذا قال أبو يزيد - رحمه الله تعالى- : (أكثر الناس إشارة إليه أبعدهم منه)، إذ الحاضر لا يحتاج إلى إشارة، بل في هذا المقام يخرس عن العبارة، وكيف يذكر المعاين بالعيان؟، أو يقام على الحاضر دليل و برهان؟، وأنشد عارف:

ما إن ذكرتك إلا همّ يلعنني ... قلبي وروحي وسري عند ذكراك

من كان رقيباً منك يهتف بي ... إيّاك ويحك والتذكار إيّاك

ومن هنا تفهم قول بعض العارفين: (الذكر حجاب الله الأكبر، إذ هو مانع من الشهود والمراقبة) . قال بعض المحققين: (بل لا يتصور الذكر معها لأنه يقتضي النسيان)، ولذا لما قيل: للشبلي متى تستريح؟ ، قال: إذا لم أرَ الله ذاكراً، إني لا أستريح إلا إذا دخلت حضرة الشهود، لأنها لا ذكر فيها، استغناء عنه بالشهود، لأن الذكر إنما هو للغائب، ولكن منهم من يأخذه الحال فينطق بلا اختيار قاصداً أن ما شهده هو الله، فيقول: الله الله الله . ومنهم من تظهر له الحقيقة فيقول: هو هو، والمراد الله المشهود وهو الموجود، وحيث أشعر الدعاء والذكر بالفرق، وكان حال العارفين دائراً بينهم وهم بين جمع وفرق، ومقصودهم الجمع لأنه حياة أرواحهم وغذاء أشباحهم، أعرض عنهم إلى شهود الجمع، بتلاوة قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ)، أي إن الذي قدر عليك الدعاء، يا قلب وردك إلى مقام فرقك، بقوله: (أدعوني أستجب لكم)، لرادك إلى مقام جمعك، وهذه إشارة بعد ثبوت تفسير العبارة، فافهم إشارة العارفين، بعد اعتقاد حقيقة كلام رب العالمين .

ولما شرف بمقام الجمعية، استشرف لمقام الفرقيّة، لكونه لا يزال دائراً بين المقامين، لكونهما دائماً متلازمين، فقال: (رَبَّنَا آتِنَا) أي أعطنا، هو فرق بعد جمع، (مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً) أي من عندك رحمةً خاصة، وهذا جمع بعد فرق، (وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا) أي أصلح لنا شأننا، وهذا فرق أيضاً بعد الجمع، (رَشَداً) أي اهتداء إليك، لنفوز بك وبما لديك، وهذا أيضاً جمع بعد

الفرق؛ وقد ختم دعاءه به لأنه المقصود الأعظم والمرام الأشرف الأكرم، كما قيل:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل
نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

وما قيل أيضاً:

أمرُّ على الديار ديار ليلى أُقبِّل ذا الجدارَ وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وما قيل أيضاً:

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتاداً بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته عدم على التفصيل والإجمال

وهذه الآية الأخيرة، تتلى ثلاث مرات، كالجلالة السابقة، وحكمة تكرارها ما في الأخيرة من الوسيلة إلى المقصود، وما في الجلالة من المطلوب، المراد لكل الوجود؛ وشأن المحب الراشد، تكرار الوسائل والمقاصد، والتردد في المآثر والمعاهد .

وإلى هنا، انتهى ما منح به الملك العلّام على هذه الصلاة، فالمنّة له لا لأحدٍ سواه، والصلاة والسلام منه على خير أنبياه .

قال الشارح الخروبي -رحمه الله تعالى- وهو أحد الأفاضل الذين شرحوا هذه الصلاة غير هذا الشرح، قال: (زاد بعضهم في الصلاة المذكورة

زيادة حسنة هي قوله: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً)، صلاة الله وسلامه، وتحياته ورحماته، وبركاته على سيدنا محمد عبدك ونبيك، ورسولك النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلّم عدد الشفع والوتر، وعدد كلمات ربنا التامات المباركات، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين) .

وهذه خاتمة حسنة في فوائد مستحسنة

لما كانت الصلاة جامعة لكثير من الفضائل، وجليل من الأسرار والفواضل، أحببت أن أختم شرحها بفوائد جامعة مثلها، ترشيحاً لها وتذييلاً، وإتماماً لفائدتها و تكميلاً، ولكن أصل ذلك كله الاعتقاد والتصديق وحسن النية والإخلاص كما قال ﷺ : (من بلغه عن الله فضيلة، فلم يصدق بها لم ينلها) أخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس .

وقال ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات) . ورد عنه ﷺ أنه قال: (لا إله إلا الله أفضل الذكر)، وفي رواية: (أفضل الحسنات)، وقد ورد في فضلها شيء كثير فينبغي الإكثار منها . وعن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : (من قال بعد صلاة الصبح: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً أحداً صمداً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له

كفواً أحد، عشر مرات، كتب الله له أربعين ألفَ ألفِ حسنة) رواه الديلمي في مسنده الفردوس . وقال ﷺ : (من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألفَ ألفِ حسنة) . وقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (من قال في سوق من الأسواق: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألفَ ألفِ حسنة، ومحا عنه ألفَ ألفِ سيئة، وبنى الله له بيتاً في الجنة) . وقال الحسن -رحمه الله تعالى- : (ذاكر الله في السوق، يجيء يوم القيامة وله ضوء كضوء القمر، وبرهان كبرهان الشمس، ومن استغفر الله في السوق؛ غفر الله له بعدد أهلها) .

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (عليكم بلا إله إلا الله، والاستغفار، وأكثروا منهما، فإن إبليس قال: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله، والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، وهم يحسبون أنهم مهتدون) رواه أبو يعلى عن أبي بكر عنه عليه الصلاة والسلام . وقال ﷺ : (من أكثر من الاستغفار، جعل الله له من كل همٍ فرجاً، ومن كل ضيقٍ مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب) رواه أحمد والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما . وقال ﷺ : (سيد الاستغفار أن تقول: اللّهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ،

وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة) رواه البخاري وأحمد والنسائي، عن شداد بن أوس . وقال عليه الصلاة والسلام: (استكثروا من لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإنها تدفع تسعة وتسعين باباً من الضر، أدناها الهم) رواه العقيلي .

وعن جابر قال: (إذا وقعت في ورطة، فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء)، وقال: (وإذا وقعتم في أمر عظيم، فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل) .

وقال ﷺ : (كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع، ورب العرش الكريم) أخرجه ابن أبي الدنيا، عن ابن عباس .

وقيل لأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قد احترقت الدار، وكانت النار قد وقعت في محلته، فقال: ما كان الله ليفعل ذلك، فقيل له ذلك ثلاثاً، فقال: ما كان ليفعل ذلك، ثم أتاه آتٍ فقال: يا أبا الدرداء النار حين دنت من دارك طفئت، فقال: قد علمت، فقيل له: ما ندري أي قوليك أعجب؟، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من قال هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره، وقد قلتهن، وهي: اللّهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك

توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، اللّهم إني أعوذ بك من شرّ نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم)، ذكره في الإحياء وغيره .

وقال عليه الصلاة والسلام: (عليكم بسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن يحططن الخطايا، كما تحط الشجرة ورقها) رواه ابن ماجة عن أبي الدرداء .

وقال ﷺ : (الباقيات الصالحات هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله) . وقال ﷺ : (أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت) رواه سمرة بن جندب . وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ كان يقول: (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله، والله أكبر، تملآن ما بين السماء والأرض، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)، وقال أبو هريرة رضي الله عنه : (كلمتان ثقيلتان في الميزان، خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) .

وقال ﷺ : (أيعجز أحدكم أن يكتب له كل يوم ألف حسنة؟ ، فقيل: كيف ذلك؟ ، فقال ﷺ : يسبح الله مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، ويحط عنه ألف سيئة)، وقال ﷺ : (فاتحة الكتاب شفاء من كل داء)، وقال ﷺ : (إنها تعدل ثلثي القرآن)، وقال: (فاتحة الكتاب تجزى ما لا يجزي شيء من القرآن، ولو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان، وجعل القرآن في الكفة الأخرى، لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات) .

وروي من حديث أنس، خادم رسول الله ﷺ ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ : (إذا قرأ المؤمن آية الكرسي، وجعل ثوابها لأهل القبور؛ أدخل الله تعالى في كل قبر من المشرق والمغرب، أربعين نوراً، ووسّع الله عليهم مضاجعهم، وأعطى الله للقارئ ثواب ستين نبياً، ورفع الله له بكل ميّت درجة، وكتب له بكل ميّت عشر حسنات) ذكره القرطبي في "تذكرته"، وظاهره أنه ولو كان في بيته، وفضل مولانا لا يحصر .

وخرّج السلفي وغيره، من حديث عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : (من مرّ على المقابر، وقرأ: قل هو الله أحد، فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين، فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاثاً، فكأنما قرأ القرآن كله) رواه الرافعي، وفي لفظ بدل كله (أجمعه)، وفي آخر: (ارتجالاً)، وفي آخر: (جميع ما أنزل الله) .

وقال: (من قرأ: قل هو الله أحد، مائة ألف مرة، فقد اشترى نفسه من الله)، granted وورد: (أن من قرأ: قل يا أيها الكافرون، عدلت له ربع القرآن)، وفي رواية: (ثلثه)، وورد: (من قرأ: إذا زلزلت، عدلت له نصف القرآن)، وقال ﷺ: (من قرأ يس في ليلة، أصبح مغفوراً له) . وقال: (من قرأ يس مرة، فكأنما قرأ القرآن مرتين) ، وقال: (من قرأ يس مرة، فكأنما قرأ القرآن عشر مرات)، وقال: (من قرأ حم الدخان، أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك)، وقال: (من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة، لم تصبه فاقة أبداً)، وقال: (من قرأ خواتيم الحشر، من ليل أو نهار، فقبض في ذلك اليوم أو الليلة، فقد أوجبت له الجنة)، وأخرج الشيخان وغيرهما: (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة، في كل ليلة كفتاه)، قيل: من قيام تلك الليلة، وقيل: كفتاه عن كل سوء . قال الشيخ أبو الحسن البكري: ورجّح هذا كبار أهل العلم، والأول حديث الديلمي، (من قرأ آخر البقرة أجزأته عن قيام تلك الليلة)، وعن عليّ: ما ظننت أن مؤمناً بلغه فضلها فتركها، وأولهما في: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) .

وذكر الفخر الرازي، في "أسرار التنزيل"، والقاضي في "شرح مسلم"، في فضل قراءة (شهد الله): خلق الله تعالى سبعين ألف ملك، يستغفرون له إلى يوم القيامة . وقال عمرو بن ميمون: من نشر مصحفاً، حين يصلي الصبح، فقرأ مائة آية، رفع الله له مثل أجر جميع الخلق، من أهل الدنيا، كذا في الإحياء .

ويروى: أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء: (من أتاني يوم القيامة، وفي صحيفته أربعة آلاف مرة، بسم الله الرحمن الرحيم، ركزت لواءه إلى قائمة من قوائم العرش، وشفعته في اثني عشر ألف عتيق، قد استوجبوا النار، ولولا أني قضيت على كل أحد بالموت، ما قبضت روحه، ولا يمنعه أن يدخل الجنة إلا أن ينزل به الموت) .

وجامع الأدعية المروية، قوله ﷺ : (اللّهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك ﷺ ، وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا قوّة إلا بالله) . فينبغي الدعاء به كثيراً، ليكون داعياً بجميع المرويات، كما قال الملأ علي قاري . وذكر سيدي ابن عطاء الله -رحمه الله تعالى- في كتابه "مفتاح الفلاح"، حديثاً: (أن من قال بعد ما يصلي الجمعة: سبحان الله العظيم وبحمده، مائة مرة، غفر الله له مائة ألف ذنب، ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب) . وأخرج أحمد بن حنبل والترمذي والحاكم عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ألا أعلمك كلمات، لو كان عليك مثل جبل صبير ديناً، أدّاه الله عنك؟، قل: اللّهم اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عمن سواك)، وكان الحسن بن عليّ رضي الله عنهما عطاؤه في كل سنة مائة ألف، فحبسها عنه معاوية عامة فضاق، فدعا بدواة ليكتب لمعاوية، ثم أمسك فرأى المصطفى ﷺ فشكا إليه، فقال: (أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك؟، قل: اللّهم اقذف في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عمن سواك، حتى لا أرجو أحداً

غيرك، اللّهم ما ضعفت عنه قوتي، وقصّر عنه أملي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي، ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً، من الأولين والآخرين من اليقين، فخصني به يا رب العالمين)، فما لحّ به أسبوعاً، حتى أتاه ألف ألف وخمسمائة ألف، كذا في طبقات المناوي .

وللشيخ العارف بالله سيدي محمد الغزالي -رحمه الله- قال: (دعاء عجيب الشأن، جرّبه أهل العرفان عند حلول الفاقة، ذكره في الإحياء، وهو: اللّهم يا غني يا حميد، يا مبدئ يا معيد، يا رحيم يا ودود، اغنني بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك . قال: من ذكره بعد صلاة الجمعة وداوم عليه أغناه الله عن خلقه، ورزقه من حيث لا يحتسب) . وله قصيدة جليلة الفرائد، عظيمة المقاصد، ذكر فيها أسرارا جمّة للفاتحة، فمنها:

إذا ما كنت ملتمساً لرزق	ونيل القصد من عبد وحر
وتظفر بالذي ترجو سريعاً	وتأمن من مخالفة وغدر
ففاتحة الكتاب فإن فيها	لما أملّت سراً أيَّ سِرّ
تلازم درسها عقب عشا	وفي صبح وفي ظهر وعصر
وعقبى مغرب في كل ليل	إلى التسعين تتبعها بعشر
تنل ما شئت من عزّ وجاه	وعظم مهابة وعلوّ قدر
وستر لا تغيره الليالي	بحادثة من النقصان تجري
وتوفيق وأفراح دواماً	وتأمن من مخاوف كل شر

ومن عري وجوع وانقطاع ومن بطش لذي نهي وأمر
فإنك إن فعلت أتاك آت ما يغنيك عن زيد وعمرو

وبيان ذلك، أنها تقرأ في الصبح إحدى وعشرين، وفي الظهر اثنين وعشرين، وعقب العصر ثلاثاً وعشرين، وعقب المغرب أربعة وعشرين، فذلك تسعون، وبعد العشاء عشراً، وتمّ بها مائة .

ولسيدي سهل بن عبد الله التستري -رحمه الله تعالى- ذكر عظيم جرّبه أهل العرفان، قال ابن العربي: (دخلت به الخلوة ففتح لى به في ليلة واحدة، وفيه أسرار عجيبة، وأذواق غريبة، ومن أكثر ذكره؛ حببت إليه الطاعات، وبغضت إليه المنكرات، قال بعضهم: ومن تعلق به لم يعجزه شيء من الموجودات، ومن ذكره كل ليلة سبع مرات، وهو في فراشه؛ وجد له حلاوة في سرّه، وهو هذا: الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهد عليّ) . وقال صالح بن المري: (إن أردت أن يستجاب لك، فقل: اللّهم إني أسألك باسمك المخزون المكنون، المبارك الطاهر المطهر المقدس، فما دعوت به إلا أجبت) .

ومن الأدعية الجليلة الشأن، دعاء الخضر عليه السلام وهو: (يا من لا يشغله شأن عن شأن، ولا سمع عن سمع، ولا تشتبه عليه الأصوات، يا من لا تغلطه كثرة المسائل، ولا تختلف عليه اللغات، يا من لا يبرمه إلحاح الملحين، ولا تضجره كثرة السائلين، أذقنا برد عفوك، وحلاوة برك، يا أرحم الراحمين) .

وقال بعض الفضلاء: (من توسل إلى الله سبحانه وتعالى، بهذه السادة، في قضاء حاجته أو دفع كربته، فإن الله سبحانه يقضي حاجته، وينفّس كربته، قال: وقد جرّب ذلك، وهم: سعيد بن المسيب، وصفوان بن سليم، ومحمد بن المنكدر، وفضيل بن عياض، ووهيب، وطاووس، ووهب، والربيع بن خيثم، والحكم بن سليم، وأبو سليمان الداراني، وأبو جابر، وأبو سليمان التيمي، ومالك بن دينار، ويزيد الرقاشي، وحبيب العجمي، ويحيى البكار، وكهمس، ورابعة العدوية) .

قال: (ووجدت في كتاب الزهّاد الثمانية، من ذكرهم غفرت ذنوبه، ومن ذكرهم عند نومه حشر معهم يوم القيامة، ومن ذكرهم على وجع به أو بغيره، بُرِي بإذن الله تعالى، وهم: الحسن بن أبي الحسن البصري، وهرم بن حيان، والربيع بن خيثم، والأسود بن يزيد، وعامر بن عبد الرحمن بن عبد قيس، ومسروق بن الأجذع، وأبو مسلم الخولاني، وأويس القرني، كذا ذكره التلمساني في حاشيته على الشفاء) .

وهذه فائدة جليلة: تكتب في إناء، وتمحى بالماء ويغسل بها العينين، فإنه يأمن من العمى، وإن شرب الماء، لم تقع من شاربه معصية، وهي أسماء ثمانية من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم: معاذ بن جبل، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وتميم الداري، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

ومن كتب أسماء الفقهاء السبعة المدنيين، وجعلها في حَبّ لم يسوَس، ولو علقها من به صداع؛ زال عنه بإذن الله تعالى، وهي منظومة في هذين البيتين :

ألا كل من لا يقتدي بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم: عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجه

قال البوني العارف، في "شمس المعارف" : وذكر بعضهم أن من كتب محمد رسول الله، أحمد رسول الله، خمسة وثلاثين مرة، بعد صلاة الجمعة، وحملها معه، رزقه الله قوة على الطاعة، ومعونة على البركة، وكفاه همزات الشياطين، انتهى . ثم قال بعد ذلك: وذلك بحسب القبول، وعقد النية وصفاء الباطن .

وفي حديث مرفوع: (من صلّى عليّ يوم الجمعة؛ غفرت له ذنوب ثمانين سنة، قيل: يا رسول الله وكيف الصلاة عليك؟، قال: اللّهم صلِّ على محمد عبدك، ورسولك النبيّ الأمي، وتعقد واحدة)، وقال علي رضي الله عنه : (من صلَّى على النبي ﷺ بهذه الكلمات، فقد صلَّى عليه بصلاة جميع الخلائق، قال: يقول: صلوات الله تعالى، وملائكته وأنبيائه ورسله، وجميع خلقه، على محمد وعلى آل محمد، عليه وعليهم السلام، ورحمة الله وبركاته . وقال: من صلَّى عليه كل يوم، ثلاث مرات، ويوم الجمعة مائة مرة، حشره الله تعالى يوم القيامة، في زمرة رسول الله ﷺ ، وأخذ رسول الله ﷺ بيده حتى يدخله الجنة) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (من قال ليلة الجمعة، عشر مرات: اللهم يا دائم الفضل على البرية، يا باسط اليدين بالعطية، يا صاحب المواهب السنية، صلِّ على محمد خير الورى بالسجيّة، واغفر لنا يا ذا العلى في هذه العشية، كتب الله له مائة ألف ألف حسنة، ومحا عنه مائة ألف ألف سيئة، ورفع له مائة ألف ألف درجة، وإذا كان يوم القيامة، زاحم إبراهيم الخليل عليه السلام في قبته) .

وذكر صاحب القاموس في كتاب "الصلاة والبشر"، حديثاً مسنداً عن الخضر وإلياس عليهما السلام، قالا: (سمعنا النبي ﷺ يقول: (إذا جلستم مجلساً، فقولوا: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم أجمعين، يوكل الله لكم ملكاً، يمنعكم من الغيبة، حتى لا تغتابوا أحداً، فإذا قمتم فقولوا: (بسم الله الرحمن الرحيم، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم أجمعين، فإن الناس لا يغتابونكم، وينهاهم الملك عن ذلك) كذا في فوائد الشرجي .

ومن أراد أن يأمن وسوسة الشيطان، فليقرأ عقب كل صلاة مكتوبة سبع مرات: (إن يشأ يذهبكم ويأتِ بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز)، وإن أضاف عليها: (قل أعوذ برب الناس) السورة، كان أجود .

وعن أبي بكر الكناني، قال: (رأيت المصطفى ﷺ ، فقلت: ادع الله لي لا يميت قلبي، فقال: (قل: كل يوم أربعين مرة، يا حيّ يا قيوم لا إله إلا أنت)، انتهى . ووقتها بعضهم بما بين فرض الصبح وسنته .

وذكر السيوطي: (أن من ذكر هذه الصلاة ليلة الجمعة، ولو مرة ولازم عليها، لم يلحده في قبره إلا المصطفى ﷺ ، وهي: اللّهم صلّ على سيدنا محمد النبيّ الأمي الحبيب العالي القدر، العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلّم) .

ونقل عن الأستاذ البكري -رحمه الله تعالى- أنه قال: (من ذكر هذه الصلاة في عمره، ولو مرة واحدة، ودخل النار، يقبضني بين يدي الله تعالى، وهي هذه: اللّهم صلّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، صلَّى الله عليه، وعلى آله، حق قدره ومقداره العظيم) .

وهذه فائدة جليلة لا توجد إلا في كتب قليلة

عن سيدي عبد الوهاب الشعراني، عن سيدي علي الخوّاص، عن سيدنا داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام، أنه قال: (من قال: كل يوم ثلاث مرات صباحاً ومساءً: سبحان الدائم القائم، سبحان القائم الدائم، سبحان الحي القيوم، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، سبحان الملك القدوس، سبحان رب الملائكة والروح؛ فإنه يموت على الإسلام من غير شك ولا تردد ولا توقف) .

وهذه وصية نافعة إن شاء الله تعالى

قال الفاكهي -رحمه الله تعالى- في "خلاصة التحصين"، وفي ترجمة عثمان بن عيسى الباقلاني الزاهد، عن حبيب العطار، قال: (بلغني أن رجلاً من العلماء، قال: كتبت أربعمائة ألف حديث، ما انتفعت منها إلا بأربع كلمات، من أربعة أحاديث: الكلمة الأولى: اعمل لله على قدر حاجتك إليه، الكلمة الثانية: اعمل للآخرة على قدر إقامتك فيها، الكلمة الثالثة: اعمل للدنيا بقدر القوت، الكلمة الرابعة : اعص ربك على قدر جلدك على النار)، وكأنه إلى نحو هذا، أشار بعض العلماء، بقوله:

والعلم يجمع من حديثك أربعاً   فاستنبطت أحكامها العلماء

وعن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: (كنت خلف النبي ﷺ ، فقال: (يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله؛ واعلم بأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك؛ رفعت الأقلام وجفت الصحف) رواه الترمذي وقال حسن صحيح، وفي رواية غيره: (احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء؛ يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن

الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً)، وفي رواية: (كلمات ينفعك الله بهن).

وقال ﷺ : (أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملة ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد ﷺ ، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشرّ الأمور محدثاتها، وأحسن الهدي هدي الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير العلم ما نفع، وخير الهدي ما اتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من السفلى، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى، وشرّ المعذرة حين يحضر الموت، وشرّ الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الصلاة إلا دبراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما وقر في القلوب اليقين، والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من جثي جهنم، والكنز كيّ من النار، والشعر من مزامير إبليس، والخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشرّ المكاسب كسب الزنى، وشر المأكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر بآخره، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة

دمه، ومن يتألّ على الله يكذبه، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه، ومن يتبع السمعة سمع الله به، ومن يصبر يضعف الله له، ومن يعص الله يعذبه، اللّهم اغفر لي ولأمتي، اللّهم اغفر لي ولأمتي، اللّهم اغفر لي ولأمتي، أستغفر الله لي ولكم) رواه البيهقي في الدلائل، وابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهني، وأبو نصر السجزي في "الإبانة" عن أبي الدرداء وابن أبي شيبة عن ابن مسعود موقوفاً .

وقال ﷺ : (عليك بتقوى الله عزّ وجلّ ما استطعت، واذكر الله عند كل حجر وشجر، وإذا عملت سيئة فأحدث عندها توبة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية) . وقال عليه الصلاة والسلام، لابن عمر رضي الله عنهما: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعدّ نفسك من أصحاب القبور) . وقال: (كونوا في الدنيا أضيافاً، واتخذوا المساجد بيوتاً، وعوّدوا أنفسكم الرفق، وأكثروا الفكر والبكاء، ولا تختلفن بكم الأهواء، تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون) .

وقال عليه الصلاة والسلام: (كن وَرِعاً تكن أعبد الناس، وكن قَنِعاً تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) .

وعنه عليه الصلاة والسلام: (عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع، فإنه الفقر الحاضر، وصلِّ صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه) . وقال ﷺ : (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) . وقال عليه الصلاة والسلام: (عليك بحسن الخلق، فإن أحسن الناس خلقاً أحسنهم ديناً) . وقال: (عليك بحسن الخلق وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما) .

وقال ﷺ : (عليكم بالصدق فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور، وهما في النار، واسألوا الله اليقين والمعافاة، فإنه لم يؤت أحد مثل اليقين خيراً من المعافاة، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله) .

وقال ﷺ : (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً) . والصدق رأس كل الأمور وركنها الأعظم، ولذا قال سيدي ذو النون المصري -رحمه الله تعالى- : (إن الله تعالى في عباده سيفاً ما وضع على شيء إلا قطع، ألا وهو الصدق) .

وقال عليه الصلاة والسلام: (من تعلم علماً لغير الله، أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار) . وقال ﷺ :(من تزين بعلم الآخرة، وهو لا

يريدها ولا يطلبها، لعن في السموات والأرض) . وقال ﷺ : (من تواضع لله رفعه الله) . وقال ﷺ : (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد) . وقال ﷺ : (عليكم بركعتي الضحى، فإن فيهما الرغائب) . وقيل: (من صلّى الضحى أربعاً؛ بنى الله له بيتاً في الجنة) . وقال ﷺ : (من صلّى الضحى ثنتي عشرة ركعة، بنى الله له قصراً في الجنة من ذهب) .

وقال ﷺ : (من صلّى ست ركعات بعد المغرب قبل أن يتكلم، غفر الله له ذنوب خمسين سنة) . وفي رواية: (بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهما بسوء، عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة) . وقال عليه الصلاة والسلام: (من صام يوماً تطوعاً، لم يطلع عليه أحد، لم يرضَ الله له بثواب دون الجنة) .

وقال ﷺ : (من صام ثلاثة أيام من كل شهر، فقد صام الدهر) . وفي رواية: (وهي أيام البيض)، أي صبيحة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة . وقال ﷺ : (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه) . وقال ﷺ : (تصدقوا فإن الصدقة فكاككم من النار) . وقال ﷺ : (تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع، وتطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار) . وقال ﷺ : (الصدقة تسد باباً من السوء) . وقال ﷺ : (الصدقة تمنع سبعين نوعاً من البلاء، أهونها الجذام والبرص) . وقال ﷺ : (الصدقة تمنع ميتة السوء) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (عليكم بالقرآن فاتخذوه إماماً وقائداً، فإنه كلام رب العالمين، الذي هو منه بدأ وإليه يعود، فآمنوا بمتشابهه واعتبروا بأمثاله) . وقال ﷺ : (اقرؤوا القرآن واعملوا به، ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به) . وقال ﷺ : (اقرؤوا القرآن فإن الله لا يعذب عبداً وعى القرآن) .

ويجمع سائر الشريعة والحقيقة هذان البيتان:

أعط المعية حقها والزم له حسن الأدب
واعلم بأنك عبده في كل حال وهو رب

وأصل ذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ) . وقوله تعالى: (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ) . ولا يحصل ذلك إلا بتوفيق من الله ورعايته .

وأقول كما قال ﷺ : (اللّهم إني أسألك رحمة من عندك، تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلم بها شعثي، وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وترد بها ألفتي، وتعصمني بها من كل سوء) .

اللّهم أعطني إيماناً ويقيناً، ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة . اللّهم إني أسألك الفوز في القضاء، ونزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء .

اللّهم إني أُنزِل بك حاجتي، فإن قصر رأيي وضعف عملي، افتقرت إلى رحمتك، فأسألك يا قاضي الأمور، ويا شافي الصدور، كما تجير بين البحور، أن تجيرني من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور، ومن فتنة القبور .

اللّهم ما قصّر عنه رأيي، ولم تبلغه نيتي، ولم تبلغه مسألتي، من خير وعدته أحداً من خلقك، أو خير أنت معطيه أحداً من عبادك، فإني أرغب إليك فيه، وأسألك برحمتك يا رب العالمين .

اللّهم ذا الحبل الشديد، والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود، مع المقربين الشهود، والركع السجود، والموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، وإنك تفعل ما تريد .

اللّهم اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، سلماً لأوليائك، وعدواً لأعدائك، نحب بحبك من أحبك، ونعادي بعداوتك من خالفك .

اللّهم هذا الدعاء وعليك الإجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان .

اللّهم اجعل لي نوراً في قلبي، ونوراً في قبري، ونوراً من بين يديّ، ونوراً من خلفي، ونوراً عن يميني، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من تحتي، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في بشري، ونوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي .

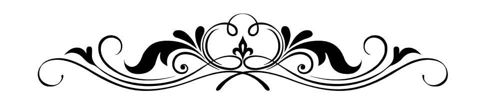
اللّهم أعظم لي نوراً، وأعطني نوراً، واجعل لي نوراً، سبحان الذي تعطف بالعزّ وقال به، سبحان الذي لبس المجد وتكرّم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي الفضل والكرم، سبحان ذي الجلال والإكرام) رواه الترمذي ومحمد بن نصر في "الصلاة"، والطبراني والبيهقي في "الدعوات"، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

هذا، وأختم ذلك، بما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلساً، أو صلّى، تكلم بكلمات، فسألته عن ذلك، فقال: (إن تكلم بكلام خير كان طابعاً عليّ: يعني خاتماً عليه إلى يوم القيامة، وإن تكلم بغير ذلك كانت كفارة له: سبحانك اللّهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك) .

وروى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: (من جلس في مجلس فكثر لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك) رواه الترمذي وقال صحيح حسن غريب . وروى نحوه أبو داود عن ابن الغرابي ثروة، والنسائي في "عمل اليوم والليلة"، وابن حبان في "صحيحه"، والطبراني في "الدعاء"، والحاكم في "المستدرك" وصححه .

يقول أفقر الورى، عبد الله بن إبراهيم بن حسن ميرغني، عامل الله الكل بفيضه الهني: وبهذا انتهى المجلس في الكلام على الصلاة المشيشية، في فناء الحضرة العباسية، عليها وعلى ابن عمها ألف كرات صلاة مع سلام وتحيّة . وذلك يوم الجمعة، عشرين من جمادى الأولى، سنة ألف ومائة وإحدى وخمسين، وإني من الملتجئين إلى الله، والطالبين لوجه الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم . والصلاة والسلام على نبيه الكريم، وعلى إخوانه الأنبياء والملائكة، وآلهم وصحبهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ من نسخها يوم الإثنين المبارك، لأربع بقين من شهر ذي القعدة الحرام، سنة ١٢٧٥، خمسة وسبعين ومائتين وألف، من هجرة النبي ﷺ ، على يد كاتبه الفقير إلى الله، عبد الحي موسى، اللّهم اغفر ذنوبه واستر عيوبه، ووالديه ومحبيه من المسلمين، آمين .





٦

قصيدة الوصية
مراقى الوصول إلـى معالي الرسول

تأليف

السيد عبدالله الميرغني المحجوب

بسم الله الرحمن الرحيم

الوصيّة

مراقى الوصول إلى معالي الرسول

الحَمْدُ للهِ الْعَظِيمَ الشَّأْنِ … وَالشُّكْرُ لِلمَوْلَى عَلَى الإِحْسَانِ

ثُمَّ الصَّلَاَةُ مَعْهَا السَّلَّامُ … عَلَى نَبِيٍّ دِينُهُ الإِسْلَامُ

(وَبَعْدَ) ذَا فَهَذِهِ وَصِيَّةْ … لَطِيفَةٌ ظَرِيفَةٌ وَفِيَّةْ

أَوْصَى بِهَا الفَقِيرَ وَالغَنِيُّ … ذُو الذَّنْبِ عَبْدُ اللَّهِ مِيرْغَنِيُّ

سِبْطُ الرَّسُولِ الهَاشِمِيالأَبْطَحِيْ … صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا مَيِّتٌ حَيِّ

اللّٰهَ فَرْدٌ وَاحِدٌ قَيُّومُ … بَاقٍ قَدِيمٌ ثَابِتٌ مَعْلُومُ

حَيٌّ سَمِيعٌ مُبْصِرٌ مُرِيدُ … مُتَكَلِّمٌ وَقَادِرٌ شَهِيدُ

خُلَّاقُ كُلِّ مَا سِوَاهُ لَا امْتِرَا … فَعَّالُ كُلِّ أَمْرِهِ بِلَا مِرَا

أَرْسَلَ خَيْرَ الخَلْقِ طَهَ المُصْطَفَى … لِكُلِّ شَيْءٍ ثُمَّ نَبَّا الشُّرَفَا

حَلَّاهُمُو بِأَكْمَلِ الكَمَالِ … وَقَدَّسَ الكُلَّ عَنِ المُحَالِ

وَأَخْتَارَ أَصْحَاباً وَآلاً شَرَفَا … ثُمَّ أُولِي عِلْمٍ وَفَضْلٍ وَوَفَا

وَأَفْتَرَضَ الإِسْلَامَ بِالإِيمَانِ … لِكُلِّ مَا جَاءَ مِنَ الرَّحْمَنِ

وَبَيَّنَ الحَلَالَ وَالحَرَامَا ... وَكُلَّ فَرْضٍ قَدْ أَتَى حَرَامَا

وَشَرَعَ الشَّرْعَ القَوِيمَ المُرْتَضَى ... وَحَقَّقَ الحَقَّ الحَقِيقَ بِالرِّضَا

وَهَا هُمَا شَيْئَانِ وَهُوَ وَاحِدُ ... مَا ثَمَّ مَثْنَى فَالمُثَنَّى فَاسِدُ

وَاسْلُكْ قَوِيمَ الشَّرْعِ وَالطَّرِيقَةْ ... تَنَلْ مَعَانِي أَشْرَفِ الحَقِيقَةْ

لَا خَيْرَ إِلَّا فِي اتِّبَاعِ الشَّرْعِ ... مَنْ لَمْ يُتَابِعْهُ فَذَاكَ البِدْعِي

فَكُنْ لَهُ تِلْواً عَلَى الدَّوَامِ ... تَفُزْ بِقُرْبِ المُصْطَفَى الإِمَامِ

وَتَشْهَدِ الحَقَّ عَلَى الحَقِيقَةْ ... وَتَرْتَقِي مَرَاقِي الطَّرِيقَةْ

لَكِنْ أَسَاسُ الأَمْرِ ثُمَّ الرَّاسُ ... الصِّدْقُ وَالإِخْلَاصُ وَالأَنْفَاسُ

وَاجْهَدْ وَجَاهِدْ صَاحِ فَالمُجَاهَدَةْ ... مُثْمِرَةٌ لِلوَصْلِ وَالمُشَاهَدَةْ

وَاحْذَرْ مِنَ الزَّمَانِ وَالإِخْوَانِ ... وَالْزَمْ أَخِلَّاء مَعْشَرَ الدَّيَّانِ

وَكُنْ تَقِيّاً سَمِحاً سَخِيّا ... وَصَافِي السِّرِّ وَكُنْ زَكِيّا

وَأَنْوِ بِكُلِّ الكَائِنَاتِ خَيْرَا ... وَكُفَّ شَرّاً وَأَذًى وَضَيْرَا

وَاجْعَلْ مَحَطَّ الرَّحْلِ وَالمَقَاصِدِ ... حَظِيرَةَ القُدْسِ وَعَيْنَ الشَّاهِدِ

وَاشْهَدْ إِلَهَاً عَمَّمَ الوُجُودَا ... وَلاَ تَرَى لِغَيْرِهِ وُجُودَا

وَاشْتَقْ لَهُ يَا صَاحِ فِي الأَنْفَاسِ ... وَاطْرَحْ لِذِي الأَخْمَاسِ وَالأَسْدَاسِ

وَلَازِمِ الذِّكْرَ مَعَ المَذْكُورِ ... وَغِبْ عَنِ الجِنَانِ وَالقُصُورِ
وَلَمْ تَصِلْ لِهَذِهِ المَعَانِي ... إِلَّا بِشَيْخٍ كَامِلٍ مُعَانِي
مُهَذَّبٍ بِظَاهِرٍ وَبَاطِنْ ... مُؤَدَّبِ التَّحْرِيكِ وَالسَّوَاكِنْ
وَذَا بِذَيَّاكَ الزَّمَانِ الأَنْوَرِ ... أَعَزُّ مِنْ كِبْرِيتِ سِرٍّ أَحْمَرِ
فَكَيْفَ فِي هَذَا الزَّمَانِ الأَغْبَرِ ... يَنَالُهُ مُخَالِطٌ وَمُفْتَرِي
لَكِنْ جَرَتْ عَادَاتُ رَبٍّ قَادِرٍ ... بِالصِّدْقِ يَحْظَى صَاغِرٌ بِكَابِرِ
بَلَى لَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ مُطْلَقاً ... مَوْلَى الشُّيُوخِ أَحْمَدُ حَاوِي التُّقَى
فَالْزَمْهُ مَهْمَا رُمْتَ لِلْوُصُولِ ... فَإِنَّ فِيهِ غَايَةَ المَأْمُولِ
وَبَعْدَ هَذَا فَاسْتَقِمْ لِلْمَوْتِ ... وَاحْذَرْ مِنَ التَّفْرِيطِ ثُمَّ الفَوْتِ
وَاسْأَلْ دَوَاماً رَبَّكَ السَّلَامَةْ ... مِنَ الوَبَا وَالخِزْيِ وَالنَّدَامَةْ
وَقُلْ إِلَهِي مِسْكُكَ الخِتَامُ ... ثُمَّ الصَّلَاةُ بَعْدُ وَالسَّلَامُ
عَلَى النَّبِيِّ المُصْطَفَى مُحَمَّدِ ... وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالمُهْتَدِي
مَا لَاحَ بَرْقٌ أَوْ سَرَى نَسِيمُ ... أَوْ غَنَّتِ الوَرْقَاءُ وَحَنَّ رِيمُ
أَوْ مَا تَوَاصَوْا صَبْرَهُمْ وَالمَرْحَمَةْ ... أَوْ مَا عَفَا الغَفَّارُ كَمْ مِنْ مَظْلَمَةْ

٧

الحضور في الصلاة للسعداء من أهل حضرة الله

تأليف

السيد محمد عثمان الميرغني الختم

بسم الله الرحمن الرحيم

به الإعانة بدءاً وختماً، وصلّى الله على سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسما

الحمدُ للهِ جاعل الحضور في الأعمال، هو الذي عليه مدار ثوابها بلا إهمال، والصلاة والسلام على رسوله كامل الحضور، وآله وصحبه أهل النور .

وبعد: فيقول بواب الغنيّ، السيد محمد عثمان الميرغني، أبا محمد وزينب المكي، كان له الحنّان: هذه رسالة سميتها: (الحضور في الصلاة، لمن أراد أن يكون من أهل حضرة الله) .

اعلموا أيها الإخوان، جعلنا الله وإياكم من أهل حضرة من اسمه الرحمن الرحيم، أنه ورد أن النبيّ ﷺ قال: (لاَ يَقْبَلِ الله مِنْ عَبْدٍ عَمَلَ عَمَلاً؛ حَتَّى يَشْهَدَ بِقَلْبِهِ مَعَ بَدَنِهِ)، وجاء: (إِنَّ الصَّلاَةَ لاَ يُقْبَّل مِنْهَا إِلاَّ مَا يُثَاب عَلَيْهِ) .

فينبغي لكل مؤمن، إذا جاء الصلاة، أن يُفرغ قلبه من شغل الدنيا، فإذا كبّر للاستفتاح، يستحضر أن عظمة الله اكبر من كل شيء، فيشتغل به سبحانه وتعالى، وإذا قرأ الاستفتاح، يستحضر تنزيه الله، ويحمده على ذلك التوفيق، وكذلك التنزيه، ويستحضر أنه لا معبود إلا الله، فإذا قال: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) يستحضر رحمة الله له، بالإيمان والإسلام، وجواب الحق له بقوله: ذكرني عبدي، وإذا قال: (الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)،

يستحضر تربية الله للعالم، وهو من جملتهم، وإمداده له بالسمع والبصر، والقوة وغير ذلك، وقول الله: (حمدني عَبْدِي)، وإذا قال: (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، يستحضر رحمة الله له، بالتوفيق للصلاة والحضور فيها، وقول الله: (أَثْنَى عليَّ عَبْدِي)، وإذا قال: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، يستحضر وقوفه يوم القيامة بين يديْ الله، ويسأله عن تلك الصلاة، هل أحسنتها وحفظتها أم ضيعتها ؟، وقوله الله: (مَجّدني عَبْدِي)، وإذا قال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، يستحضر أنه أعانه الله على الأعمال، والقيام في صلاته هذه وحضوره فيها بالله، وقول الله: (هَؤُلَاءِ بَيْنِي وَبَيْن عَبْدِي)، وإذا قال: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ)، يستحضر الدين القويم، والإقامة على الحق، وإذا قال: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ)، يستحضر طريق الرسل والأولياء، ويطلب من الله الوقوف معه، ويستحضر قول الله: (هَؤُلَاءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)، وإذا قال: (غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)، فيستحضر في السورة، مثل معانيها وخضوعه للحق وطلبه القبول والمغفرة .

وإذا ركع يقول: سبحان ربي العظيم (ثلاثاً)، ويقول بعد الثالثة: عدَدَ خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، ويستحضر تعظيم الحق عن كل ما يخطر بباله، وأن الاشتغال بما للحق أولى، ويقول مع الرفع بعد ربنا ولك الحمد: ملءَ السمواتِ وملءَ الأرض، وملءَ ما شئت من شيء بعد، ويستحضر الحمدَ، والثناء على الله، بما أنعم عليه من أنواع النعم، التي لا

تحصي- من مأكله ومشر-به وملبسه، وذكره وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيره، وغير ذلك .

ثم يسجد ويقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى (ثلاثاً)، ويقول بعد الثالثة: عددَ خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته، ويستحضر أن الحق أعلى من كل شيء، وأنه ينبغي أن يطلب رضاه وإتباع أوامره واجتناب نواهيه .

ثم إذا قعد بين السجدتين يقول: رب اغفر لي (ثلاثاً)، أو الدعاء الآخر، ويستحضر طلب المغفرة والستر والجبر من الحق .

ثم إذا قعد يتشهد، يستحضر أن الأعمال الطيبة الزكية الصالحة لله، وإنما هي التي تقبل عنده سبحانه وتعالى، وإذا قال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، يستحضر أنه حاضرٌ بين يدي النبي ﷺ، وأن شيخه هو الواسطة بينه وبين جواب النبي ﷺ، ويطرق رأسه ويتأدّب، ثم إذا قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، يستحضر أنه سلّم على كل عبد صالح في السماء والأرض، وردَّهم له، وإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، يستحضر إتباعه لأوامرهما واجتنابه لنواهيهم .

وإذا أقام الصلاة، يستحضر طلب الرحمة للنبي ﷺ، زيادة في شرفه وعلو درجته، وإذا قرأ الدعاء يذكر عذاب القبر، وما معه في الدعاء، ويطلب الإعاذة من ذلك .

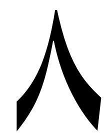
ويكون آخر تشهده غالباً: اللّهم اغفر لي، ما قدَّمت وما أخرّت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المُقدّم وأنت المُؤخّر، لا إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، لأنها غالباً كان يختم بها النبي ﷺ صلاته، ويستحضر طلب المغفرة لذنوبه، المتقدمة والمتأخرة .

ثم يسلم على يمينه ويساره، ويقصد بسلامه الإمام، ومن على جانبه وجميع المخلوقات، ويستحضر تأمينهم من شرِّه وخديعته، ثم يقول: استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو، الحيّ القيوم وأتوب إليه (ثلاثاً)، لأن النبي ﷺ كان يقولها بعد الصلاة، ويقول: (من قالها ثلاثاً غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ)، ويستحضر عند الأولى منها استغفاره من صلاته، وما نقص وفرّط وغفل فيها، وعند الثانية استغفاره أي عدم أهليته وقيامه بأركان الاستغفار .

ثم يقرأ آية الكرسي لما ورد: (أَنَّ مَنْ قَرَأَهَا بَعْدَ الصَّلاَةِ، تَوَلى اللهُ قَبْضَ رُوحِهِ بِيَدِهِ)، ويأتي بالباقيات الصالحات، ويقرأ أساسه، والجميع بحضور قلبٍ، ويتخيّل شيخه، وإذا ترقى يشهد أعلى من ذلك، بحسب فتحه .

وقد انتهت هذه الرسالة، في مقدار نحو ساعة، ضُحى يوم الثلاثاء، أحد وعشرين من شهر ذي الحجة، سنة ١٢٣٩ هـ، ببندر حرقيقو، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

٭٭٭



تنبيه المحسنين في مراقبة صلاة المريدين

تأليف

السيد محمد عثمان الميرغني الختم

بسم الله الرحمن الرحيم

به الإعانة بدءاً وختماً، وصلى الله على مصطفاه ذاتاً ووصفاً واسماً

والحمدُ لله الذي جعل الصلاة موضع مناجاته، ومظهر مكالمته ومصافاته، وأفضل صلاته على القائل: (وجعلت قرة عيني في الصلاة)، وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهداه .

وبعد: فقد قال الحق، في الحديث القدسي: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين)، وهذا الحديث يدل على أنها جامعة لجمع المظهرين؛ فينبغي للعبد، أن يكون في صلاته مناظراً لذلك ،ليحوز سرّ ما هنالك .

فإذا كبّر للصلاة يقصد برفع يديه رفض الكونين، وبالتكبير يستحضر أن كل ما سوى ما تجلى له من الحضرة حقير .

فإذا قال: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) استحضر أنه مبتدئ في ذلك العمل بالعلي الكبير، ويناظر قول الحقّ له: (ذكرني عبدي)، ويعلم أن ذكره للحق بالحضور ذكر الحق له يجدي .

فإذا قال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، استحضر حمده للحقّ، على نعمة توفيقه للوقوف بين يديه، وتوجيهه له في هذه القربة، التي هي من أنتج القربات لديه، وليناظر قول الحق له: (حمدني عبدي)، واستحق أن يكون بذلك من جندي .

و إذا قال: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) استحضر رحمته له بالإيجاد والإيمان، والتوجه له في الصلاة، التي محل الشهود والإيقان، وقول مولاه له: (أثنى عليّ عبدي)، وأنه بالثناء ينال السناء الذي هو للخواص مهدي .

واذا قال: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) استحضر بوقوفه ذلك وقوفه يوم العرض على المالك، وما ثمَّ من كال ظهور الملك الخاص، وعظمة ذلك المشهد المذيب لأهل الاختصاص، ولذا كان جوابه من الحضرة العلية بـ (مجدّني عبدي)، وما ذاك إلا لملاحظته لهذه المعاني القوية .

وإذا قال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) يلاحظ قيامه في عبوديته بقوة من له يقصد .

وإذا قال: (إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) يلاحظ إعانة الحق له، على تحمل ما يرد عليه في الصلاة من مدد متين، ويستحضر قول الحق له: (هؤلاء بيني وبين عبدي)، فالظاهر بنفسه، والباطن بربه، والكل من إمداد قربه .

وإذا قال: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) يلاحظ طلبه للهدى الخاص، مشهد الخواص، وإذا قال: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) يلاحظ أهل السر الكمالي، من حضرة الكبير المتعالي، ولا سيما الحضرة المحمدية والحضائر النبوية، والمشاهد الولائية .

فإذا قال: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) يلاحظ أهل الحجاب عن الحضور في الصلاة، وأهل البعد عن حضرة مولاه، وقول الحقّ له: (هؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل)، لأنه بحضور وتأدب، وإعطاء ذلك الحال حقه باشر العمل .

وعند خفضه للركوع، يلاحظ قربه للحق بالمجموع، ويقول: (سبحان ربي العظيم)، وتعظيمه عن كل ما يلوح له، في ذلك المشهد الفخيم .

فإذا سجد لاحظ شدة القرب، من الحضرة لما ورد: (إن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)، و هذه النصرة، ويقول: (سبحان ربي الأعلى)، ويلاحظ عظمة من حضره، في ذلك المشهد الأحلى .

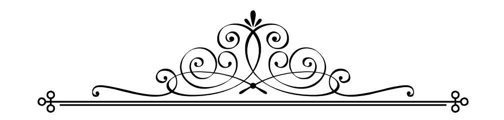
وإذا جلس يتحى ناظر مفاتحته للحق بها، وكمال المدد الواصل من حيّها، فإذا قال: (السلام عليك أيها النبي إلى آخره)، لاحظ المشهد المجدي، وتأدب لمفاخره، وإذا قال: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)؛ قصد كل من في الكون من أهل التعيين، فإذا قال: (أشهد أن لا اله إلا الله)؛ شهد إفراد الحق بالتوجيه إليه، وإذا قال: (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) لاحظ أنه أكمل الوسائط لربه .

ثمّ أتى ببقية الأدعية والصلاة، وإذا سلّم سلّم على كل عبد في الكون لله، ثمّ يستغفر ثلاثاً: الأولى: يقصد بها الاستغفار من صلاته، والثانية: يقصد بها جبر ما حصل له فيها من تفريطاته، والثالثة: يقصد بها الاستغفار من كل ما سوى الرحمن، فكل ما سواه قاطع عنه يا أخوان .

وهنا انتهى ما نمقه أفقر عباد الغني، عثمان بن محمد ميرغني، للإخوان ليستحضروه في الصلاة، رجاء أن تكون صلاتهم معمورة بالله، وصلّى الله على الهادي لنا إلى ذلك، وعلى صحبه بدور الحوالك، آمين .

تم نسخ هـذه النسـخة الشرـيفة، مـن خـط مؤلفهـا سـيدي الأسـتاذ المذكور، على يد أفقر العباد عبد الله بن صالح ميرداد، غفر الله له ولوالديه، وأحسـن إليهما وإليـه، ولمشـايخه وإخوانـه ومحبيـه، وأصحابـه بجـاه النـبيّ الأمين، صلّى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلّم .

وكان تأليفها، ونقلي هـذه النسخة مـن المسـودة، جميعهـما يـوم الأثـنين الخامس من رجب الأصم، سنة ١٢٥٣هــ، وصلّى الله علـى سـيدنا محــمد، وآله وصحبه وسلّم، وهي أول نسخة نقلت من المسودة .





٩

الهبات المقتبسة
لإظهار المسائل الخمسة
والعطايا الدقيقة في أسرار الطريقة

تأليف

السيد محمد عثمان الميرغني الختم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه الإعانة بدءاً وختماً، وصلى الله على سيدنا محمدٍ ذاتاً ووصفاً واسما

الحمدُ لله الذي جعل الطريقة محفوظة برجال متمكنين، ودفع أهل التلبيس بأحباب أهل الشأن تعبير متعينين، أحمده على أن جعل لنا الخلافة العظمى، من حضرة رسوله الأمين، وأشكره شكر من نال للرشد، وطلب التكميل له ولإخوانه المنتسبين، وأشهد أن لا إله إلا الله المانَّ على أوليائه، بدفع إبليس عنهم اللعين، المخاطب له بقوله : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَن اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) . وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله، خير من أرشد إلى الله بالطريق المبين، صلّى الله عليه وآله وصحبه المتقين .

أما بعد: فأقول وأنا الفقير للفيض والإحسان، الميرغني المكي ختم أهل العرفان، السيد محمد عثمان، أيّدني في سائر اللحظات المنّان، آمين:

إني لما دخلت أرض كردفان، وأصلح الله على يدي من أُحِب من الرجال، وفاض بحر المداد حتى عين خواص، وأشرق عليهم شموس فتوحات وإخلاص، وجرى سرُّ الإمداد في كثير من إقليم السودان، حتى امتلأ في عامٍ واحدٍ إلى أرض فور، وبلغ المنتسبون إلينا فيه مئاتٍ من الإخوان، وتعين خلفاء من حضرة المصطفى، وبانَ لهم حالٌ وأنوار، وصلاح في كردفان، إلا وزاد إلى دنقلا ووراءها بديار، وأصبح مقدم جيشه إلى بربر

وشندي وسنار، وبُشِّرنا أنه يعمم سائر الإقليم السودانيّ، وفي عامٍ واحد بلغ الآخذون طريقتنا فيه آلافاً، والحال بفضل الله في الإكثار، والحاصل أن التطويل ليس تحته طائل، ولا هنا موضع له فأخشى الغوائل .

وأن المقصود من هذا التأليف، ذكر خمس مسائل، تحتوي على ما هو متعلق بالطريقة من سرٍّ لطيف . وذلك بعد طلب جُمَلٍ من الإخوان، بل من خواص خلفائنا، ممن أشرق عليهم نور الديّان، وتعينوا للخلافة في كردفان، وهباً من المنّان، منهم العالم الفقيه الورع النبيه، عين خلفائنا بالدار المشار إليها من إبتدأه من الحضرة، بعض ما هو مركوز عليها، الخطيب مُحِبُّنا عربيّ، أيده الله بكمال القربِ . ومنهم الشاب النبيه السالك الصادق، خليفتنا بها صالح، أنزله الله في مقام الحب، ومنهم إبراهيم خليفتنا بدار فور، من أشرق عليه نور الغفور . ومنهم خليفتا بها الفقيه بلولة، ومنهم سرّنا الحاج حمّاد، صاحب الفيوضات المرسولة، ومنهم الفقيه سلالة الأخيار ابن أبي صفية المشهور، فأجبتهم رجاء أن يسعفني الحق وأوفق للوارد . وذلك دليل أنهم على قدم الصدق، ووقع الإلهام بتسمية هذا النظام:

(بالهبات المقتبسة لإظهار مسائل خمسة، والعطايا الدقيقة في الوجوه المحتوية على كثير من أسرار الطريقة)، نفع الله بها سائر المسلمين، وجعلها خالصة لوجهه فإنه قويٌّ متين .

ورتبتها على خمسة فصول: ليكون قريب المراجعة لمن أراد الوصول، فالفصل الأول: فيما هو مطلوب لشأن الحضرة العليّة، والفصل الثاني: فيما

تعلق بالحضرة المحمدية، وحقوق الشيخ البهية، والفصل الثالث: في متعلقات الطريقة، ومن تحقق بها على حسب مراتبها إجمالاً، وبعض أحوال المتشبهين، وبعض أحوال المتشبهين بالمتشبهين، وبعض أحوال المدّعين، نعوذ بالله المتين، والفصل الرابع: فيما يعامل به إخوان السلوك أهل الدرجة الرفيعة، والفصل الخامس: فيما كان أجنبياً وما يعامل به، من حيث هذه الطريقة، ونسأل الله أن يكمل لنا أسرار الحقيقة، آمين.

الفصل الأول
فيما هو مطلوب لشأن الحضرة العلية

اعلموا معاشر الإخوان، أن الله خلق العباد للعبادة، وجعل لهم في ذلك كال السيادة، (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ)، وفي قوله: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) سرٌّ مكنون، وأحاديث (يَا عِبَادِي)، كما يعلمه المخلصون . واعلموا أن حقوق المولى لا تحصُرُها الطُّرُوس، والعبد واجب عليه في كل وقت الشغل بمولاه، ليذهب عنه النموس .

فمن حقوقه: حفظ شريعته، ومراعاة أهل طريقته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحضور في الصلاة، ومراقبته في الإسْرار والعلانيات، والإقبال عليه في جميع الساعات، وحمده الموجب للحوق بالخيرات، وشكره لمزيد الهبات، والقيام في خدمته بالنصح، فإنه يورث النُّجْح، ومن أعظم

ما يسند عليه ذكر الله في كل الحالات، وقد أشار لذلك بقوله في كتابه الحاوي المُحكم الآيات: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ)، وفي الحديث: (أَذْكُرِ اللهَ حَتَّى يَقُولُوا: مَجْنُون)، فتنبهوا لشأنكم، قال السيد أحمد البدوي الطنطاوي، كان لي وله الحقُّ بالفيض الراوي، في هذا المقام: إنه تحقق به بيت شعر، وقد سطرت البيت فابصر:

مجانين إلاّ أن سِرَّ جُنونِنا غياب بذكر اللهِ يَشهدهُ النَّقْلُ
تَأَمَّلْ لأذكَارٍ تعلَمَنْ سرّ شَأْننا منه فنون على أبوابنا يسجد العقل

والحاصل أن الذكر مفتاح القلوب، والموجب لمطالعة الغيوب، والموصل لحضرة الفتاّح، والمهدي للنجاح، ومن اشتغل به والاه، سيما من الخلفاء المكمَّلين، فلابد أن يظهر عليه بركة سرّه المتين، إذ به رَقى من رَقى إلى حضرة القدس، وبه وصل من وصل إلى كال الأُنْس، وقد أطال فيه الصوفية الكلام، إن شئت بعض ذلك فعرِّج على رسالتنا الحاوية للنظام، المسماة: (بالفتح المبروك في كثير من آداب السلوك) ، وفي قصيدتنا (السرّ الظاهر)، فثَمَّ ترى أسرارَ الأكابرِ، ومن حقوقه: التخلق بأخلاقه وإيتاء زكاته، وصوم رمضان وحجُّ بيته، والحج مع الاستطاعة، فكن منتبهاً، ومن حقوقه: الإيمان به، وحفظ صفاته، والإيمان بكتبه ورسله، والعمل بما ورد فيها من أوامره، ومن حقوقه: أن تعبده كأنك تراه، وهذا مقام الإحسان، حققنا به

الله، وحقوق مولاك كثيرة، والله بيده التوفيق للمعاني اليسيرة، اللَّهُمّ ارزقنا القيام بالعبودية، والترقي إلى المشاهدة العلية، آمين .

الفصل الثاني
فيما تعلق بالحضرة المحمدية وحقوق الشيخ البهية

اعلموا معاشر الإخوان، الطالبين لدخول الحان، والطامعين لنيل مقام الإحسان، والراجين للوصول للمشاهدة والإيقان، أنه لا بد من الوسائط، وأعظمها سيد ولد عدنان، صلّى الله عليه، وآله وصحبه، ما سرت الركبان، وكذلك لا بد من شيخٍ، فمن لا شيخ له فشيخه الشيطان، فما وصل إلى اللهِ الرجالُ، إلا بواسطة المصطفى، وما وصل الأولياء إلى الرسول ﷺ، إلا بواسطة المشايخ الخلفاء، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ)، (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)، فهذه أسرارٌ جليلة، من قوله: (أَنَا فَرَطُكُمْ) ترى أموراً عظيمة، ورحم الله ابن مشيش، حيث يقول في صلاته: (فَلاَ شَيْءَ إِلاّ وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ، إِذْ لَوْلاَ الوَاسِطَةُ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ المَوْسُوط) .

فاعلموا أن حقوقه، لا يقدر على ضبطها القلم، ولا يستطيع أن يُحيط بها الفهم، فلنذكر نَزْراً منها في هذا المكان، تنبيهاً لكم يا أيها الإخوان .

فمن حقوقه: تصديقُهُ في كل ما جاء به، واتباع ما حث عليه، واجتناب ما نَهى عن ارتكابه، ومن حقوقه: اتباع سنَّته والمحافظة على

شريعته، ومن حقوقِه: مراعاتُه في أهل بيته، ومن حقوقه: الصلاةُ والسلام عليه كلما ذُكر، ومن حقوقه: سؤالُ الوسيلة له عند الآذانِ، فَأَبْصِرْ، وكذلك عند إقامِ الصلاةِ فكن متدبراً، ومن حقوقه: كثرة الصلاة عليه الموجبة، لنيل المقامات المُرقية، إلى عالي الحضرات، ولا سيما إن جَدَّيْتَ بصلاتنا "الجواهر المستظهرة"، وفي الذكر بمثل راتبنا الأنوار المتراكمة، وأساسنا الذي فيه الأنوار المعظمة، ومن حقوقه: أن لا تُخْلِيه من باطنِك، واتباعُ أخلاقِه لتكمُّلِك، ومن حقوقه: ذوق أطوارِ سُنَّتِهِ، وتوجه قلبك لاستنزال مِنَّتِهِ، وطلب القوة من عظيم تمكّنه، والحقوق التي لقدره الرفيع، لا يقدر على حصرها الأنام جميعاً .

وأما الشيخ، فهو واسطتك إلى الحضرة الأحمدية، وبه تصل إلى المجالي المحمدية، وترقى إلى المخطبات السنية، وتسجد في بُسُطِ القُربِ العلية، (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) إلى (أُنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ)، (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ)، وفي الحديث: (اطْلُبُوا العِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ)، وكذلك في حديث: (فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُنَ دِينَكُمْ) أمرٌ مبين، وقال بعض العارفين:

ولا بدّ من شيخ يُريك رسومهَا   وإلاَّ فنِصْفُ العلم عنك بمعزلِ

وهنا كلام القوم كثيرٌ، ومقصودنا في هذا المحل التقصير، فاعلموا أن حقوق الشيخ كثيرة، ومن أراد كثيراً من ذلك فعليه بقصيدتنا المذكورة سابقاً، وكذلك رسالتنا المشهورة .

فمن ذلك: التأدّبُ بين يديه، وحفظ ما لَديه، ومن حقوقه: حفظُ حُرْمته حياً وميتاً، ومشاهدتُك له في كل حال ورَد عليك، أنه بواسطته إليك يا فتى، ومنها: أن تُوَالي من يُوَالِيه، وأن تُعَادِي من يُعَادِيه، ومنها: أن تجلسَ جلوسَ الصلاةِ عنده، وأن تَفْنَى فيهِ ومريدِه .

ومن حقوقه: أن ترعى أهلَه وأقاربَه، وألا تُقدّم نفسَك على من كان مُقدّمَهُ عليك من إخوانك ومصاحبِهِ، ومن حقوقه: ألا تجلسَ في سجَّادَتهِ، وألاّ تتوضأ بإبْرِيقِهِ، ولا تتكئَ على عُكازهِ، ولا ترتكبَ لخلافِهِ .

واسمعْ ما قال بعض الأصفياء، وأهلُ النُّجْحِ: (من قال لشيخه لِمَ؟ لاَ يفلح)، وأن تكن مُحْضِرَهُ في قلبك وخيالك، فإن غفلْتَ عنه وقتاً، فهذا من مقتِكَ، وليكن تصوُّرُك بحَسَبِ مَا تَرَاهُ يحبُّ، من قبضٍ وانبساط، فالكل مقرّب، وأقلل الكلام بين يديه، إلا إذا رأيت منه، أنه يحبُّ أنك تُبديه، واجتهد أن تنال مقام الفناء فيه، فمن ثَمَّ ترقى إلى مقام البقاءِ به أمليه .

تنبيه: اعلم أن الفناءات ثلاثة، والبقاءات ثلاثة، فالأول: الفناءُ بالشيخ، وذلك أن تخلِص، حتى يكون مرادُك مرادَه، فهذا إذهاب التوسيخ، ثم البقاء به، وبذلك ترقى إلى الفناء في الرسول، وهو الفناء الثاني، ومن ثم شطح بعضُ أهل الوصول، ثم البقاء بالنبي العظيم، عليه

أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبه تقوى لسطوع الأنوار العلية، والتجليات الجلالية، والمباسطة الجمالية، وكم غاب في هذا المشهد، كُمَّلُ الرجالِ، ومعلوم أن الأولياء يَصِلونَ إلى مقامات، تذهبُ فيها قُواهم فتظهرُ لهم روحانيةُ هذا المجال، وبهذا المَشهد ترقى إلى الفناء في الرحمن، وتصل إلى الوقوف في حضرة المنّان، فتارة تكون في شطح وبهت، وتارة تكون في سُكْر ونعتٍ، ومن ثَمّ ترقون إلى البقاء بالأحَدِ المَتينِ، وهنا منزل خواص الأنبياء والمرسلين، ومحل كُمَّلِ الأولياء المقرّبين .

فعليكم يا إخواني، بحفظِ حقوقِ الشيخ المُرَبِّي، فقد قال بعض العارفين: (لولا المُرَبّي لما عرفْتُ رَبّي) .

وهو في هذا الزمان أقلُّ من الإكسير، بل ومن قديم الزَّمن لا يجدُه، إلا مَنْ سَبَق له حظ كبير، ورحم الله الجَدَّ الغنيّ باللهِ الميرغنيّ، سيِّدي عبد اللهِ، حيث يشيرُ لهذا المعنى، كَمَّلَه الله، بقوله:

والشيخُ في ذاك الزمانِ الأنورِ أعزُّ من كبريتِ سرّ أحْمَر
فكيف في هذا الزمان الأغْبَرِ يَنَالَهُ كل مُجْتَرٍ ومفترِ

وفي معنى خبر الاجتماع به، قَولُ ابن عطاء اللهِ في حِكمهِ: (سبحان مَنْ لم يجعلِ الدليلَ على أوليائهِ، إلاّ من حيثُ الدليلُ عليه، ولم يُوصّلْ إليهم، إلاّ مَن أراد أن يُوصّلَه إليه) .

وأما حقوقُ الشيخ، فكثيرة جداً، ومن أجَلِّها: ألاّ تُقَدّمَ عليه في ظاهرك وباطنِك، اللّهُمّ ارزقنا الأدب مع مشائخنا، وقوّنا بحالٍ، نحفَظُ به سائرَ مَا لِمُرَبِّيْنا .

الفصل الثالث
في متعلقات الطريقة

ومن تحقق بها على حسب مرتبها إجمالاً، وبعض أحوال المتشبهين بالمتشبهين، وبعض صفات المدَّعين، نعوذ بالله من ذلك، إنه قويٌّ متين، آمين .

اعلموا معاشرَ الإخوان، أن الطريقةَ هي أشرفُ الأمورِ، إذ هي المحتويةُ على أسرارٍ، وعليها الأنوار تدورُ، ولكن حقيقتها صعبة، لمن يتكاسلُ ويتغافلُ، وثمارُها قريبة لمن سهر وشدّ المِئْزر، والطُرقُ إلى الله تعالى، بحسب أنفاسِ الخلائق . ومن قام على القَدَم المحمديّ فقد سلَكَ إكسيرَ الطرائق .

فمن حقوقها: أن تحثُّوا عليها الإخوانَ، وأن تجعلوا اشتغالكم بها، مقدَّماً على ما سواها باطمئنان، وأن تُعمِّروا أوقاتكم بالذكر، والمراقبة للعليِّ البرّ، ومن حقوقها: أن تأتوا بوظائفها بالنشاط، فإني أرى فيكم عن هذه الرتبة كثيرَ انحطاط، ومن أعظم ما يميزُ لكم من ذاق ومن لم يذقْ، ومن اشتدّ حاله، ومن هو في ضعف يسبقُ، فلأول يشتدُّ في الرواتب والأذكار، حتى كأنه جَمَلٌ

هادِر، فتَمّ كمالُ المراتب، ومن هذه الفتورات، تأخرَ كثيرٌ من المتقدّمين عن المتأخّرين بالزمان، كما أنه فُعلَ مثل ذلك بقوم، بقلّة كمال الاشتغال بالشيخ وتخيُّله، فسُبحانَ المنّان . ومن حقوقها: أنكم تعتقدون أن طريقتكم موصلةٌ إلى اللهٰ، وإن حُوجِجتم في ذلك، تُحاجِجون أصْلحكم اللهُ .

وأُنبِّهكم يا معشرَ السالكينَ، أن طريقتَنا هي أعظمُ الطرقِ، وأقربُها إلى اللهِٰ، وهي من أسهل الطرقِ، وفيها كمال الانتباه، إذ صاحبها ما يشْعُر إلا ويرَى نفسَه دنَا من الكمالِ، بفضل اللهٰ، فاحمدُوا مَنْ مَنَّ عليكم، بهذه المنة العظيمة، فاشكروا من اجتباكم بهذه الأسوار المتينة، وقد بُشِّرتُ أنها تملأ الأرضَ، وذلك فضلُ ممَنْ له البَسْطُ والقَبْضُ .

وأما إقليمُ السودان والحبشة، من كان منهم من الدِّيار الإسلامية فللّٰهِ كمالُ المنة، فإنهم قد خَلَصَ سلوكُهم لطريقتِنا، والمرشِدون الذين ينزلون فيها من تلامذتنا، وليس لأحد فيهم قَدَمٌ من غير هذا المنوال، إلا أن يكون قليلٌ من الرجال، ولم أعلم في وقت تأليفي لهذه الرسالة، أن فيها من المشهورين أحدٌ متمكناً، في التربية سوى اثنين، فواحدٌ في الحبشة، دنَا من هذا المنزِل، اسمه عبد القادر، وقد أخذ عنّا ليكمُلَ، وواحدٌ في إقليم السودان، من آل المرحي، يسمى الطَّيِّبَ، وما عداهما إن يكن أحدٌ مستوراً فحسبُ، منهم قطب هذا الإقليم في وقتِه، هو من الأبدالِ من قرية نفاث بين بر نودبا قرية سيدي عبد الرحيم، وأما الآخذون عنّا في هذين الإقليمين، فجمعٌ غفيرٌ، وفي غيرهما من الأقاليمِ كذلك كثير، ممن دنَا إلى

مَقام الإرشاد، ومنهم من تحقق بأن يُصلِح العباد، وله تلاميذٌ نائلون منه أمداداً، فكمال الحمدِ للملِك الجَواد .

وأنبئكُم عن بعض أوصاف المرشد، وأترُك كثيراً لئلا يدّعيها مَن لم يستعد، فمن أوصافه: حفْظ الشريعة وتعظيم أهل الطريقة، له معراجٌ روحيٌّ وسرٌّ سُبُّوحي، صاحب منزل في الحضرات العلية، ومَنهلٍ في المشاهد الفردية، ثم نزَل في الحضراتِ الصَّمَدَانية، وسجدْت رُوحه على بساطِ القُرْب، مع أهل المعاني السنية، ذو مخاطباتٍ أُنْسِية، وتجليّاتٍ جَلالية، يفرق بين تجلِّي الجلال، وجَلال الجَلالِ، ويعرف تجلّي الجمال وجمالَ الجمال، يفهم ما يظهر عن التجلّي الكبرياء، ويسمع ما يَرِد عليه من مقام النداء، قد أمره الحقُّ بالإرشاد للعباد، وخلَع عليه خِلع الأنوار والاستعداد، إن نطق فبالله، وإن مُدَّ فمن الله، وإن أخذ فعن الله، وإن دعا فإلى الله، أولئك أولياء الله، أولئك خلفاء الله، باطنه مستغرقٌ في الحضرات، وظاهره بارزٌ للمكوّنات، يَدْعُو الخلقَ بإمداده أكثرَ من دعائِه بلسانه، يسترُ ما كُشِفَ له منهم، ولا يُخبر بما كُشِفَ له من حالهم، إذا تكلم مَع المريدين، كان لسانُه كالقلم، يكتب في صدورهم ما علم، أكثر كراماتِه في حاله، لا يلتفت لطيّ الأرض ولمُشاكله، قد سقَط من نظرِه الالتفات إلى مقام الكرامات، وينْهَى إخوانه عن الاشتغال بتلك الدرجات، يأبى تتبُّع عورات المسلمين بصراً وبصيرةً، حَسَنُ الخلُق قائمٌ على أحسن سيرة، لا يَبْدَأ الناسَ بالفُحش والأذى، بل يصبر على سوءِ أدَبهم رجاء الهُدى، يسلِّم لأهل الطريق في

أحوالهم، ويدعو إلى الله على منوالهم، قد أُذن له في التربية من حضرة الرسول، صلّى الله عليه الغفور، له رقائق ممتدةٌ إلى قلوب السالكين، كما شَهِد ذلك كثيرٌ من إخواننا بالتنفيذ، قليل الشطْح، دائم الفتح، وأوصاف المُرَبِّي تحتاج إلى كتاب، فأسألك اللّهم أن تحققنا بهذه الأوصافِ، فإنك وهّابٌ .

وأسألكم يا معشر الإخوان، بمن له المُلْك والملكوت، والعزة والجبروت، الحيِّ القيوم الذي لا يموت، أن لا يدَّعِي أحدٌ منكم هذا المقام، ما لم يتحقق به، ويُؤذَنْ له من حضرةِ العلاّم، والله مَنِ ادَّعَاهُ يخشى عليه سوء الخاتمة . قال بعض العارفين أهل الإتقان: (الدعوة بحقٍّ تطفئ نورَ المعرفة، والدعوة بغير حق تطفئ نور الإيمان)، نسأل الله السلامة، من الوبال والخسران .

واخْشَوا يا إخواني، من أنكم إذا وجدتم بعد حال تفترُ همَّتكم، فتفوتُكم مقامات الرجال، واخشوا يا إخواني، من الدعوة ولو بشيء قليل، فثم أكثر التعطيل، والله لقد حُجبت قومٌ بعد الفتح، عن أن ينالوا للسطح، ولا يغرّنكم معاشرَ الإخوان، من ترونهم من المتشبهين، بل من المدّعين الظاهرينَ، فو اللهِ أنهم من حقيقة الطريقة أجانب، بل هم في غابات ومصائب، طالما وقع النظر على كثير، من أهل هذا المنوال، ولكن نسأل الله أن يُخَلِّصنا وإياكم، مما للنفس فيه مقال، ولا سيما في هذا الإقليم، الذي بقي هدفاً للمُدّعين، ولكن بعد دخولنا إليه، بحَول القوي المتين، قد انطمست دعواهم، وذهبت أهواؤهم، فلا يجدون محلاً يتكلمون فيه، لأن كثيراً من عرف الحقائق، على ما

هي عليه، فعلى من يُلَبِّسون؟ ، إلاّ من حجبه اللهُ عن الانطواء، في هذا الديوان فذلك تائهٌ في خلاء وبُعْدٍ .

إنّ من أعجب ما رأيت في الكيان، من أحوال المُتَلَبِّسين يا إخواني، رجلاً معه بعض نور صلاح، ولم يصل إلى مقام تلاميذ تلاميذ المرشدين، أهل النجاح، يأمر الناس ويسلّك الطريق، ولا يعرف حقيقة السلوك، فضلاً عن أن يعرِف الدعاية لحضرة الملِك، ويدخِل الناس للخلوات، وهو تعبانٌ في معالجةِ الشيطان، فأينما هو أكثر معالجات النفس، فنسأل الله السّتران، وأعظم من ذلك أن بعض الناس أجلُّ منه حالاً، ولكن معه حجابٌ يتبعه، وكذلك بعض تلاميذ هذا الرجل، يدَّعون السلوكَ، ويدخلون الخلوات، فكن منتبهاً بل حتى من تلاميذ تلاميذه، فانظر إلى الحجاب وبُنيانه، والله إن الظنَّ لا يغني من الحقِّ شيئاً، وإن التلبيسَ لا ينتج عند الله فيئاً، فلما كُشف لي عن حال الرجل الأول، من هؤلاء وكونه في دعوى وشيخوخة، بل وفي تلامذة تلاميذه، هذا الذي نظرت إلى رقيقة نوره، فوجدتها أضعف من بعض تلامذتنا، بل من بعض تلامذة تلامذتنا، فعجبت من ستران الغفور، وسألتُه السلامة، ولإخواني فجَلَّ مِنْ مَلِكٍ صبور .

فيا إخواني، من تحقق منكم بالتربية، فليدع مطلقاً، ومن لم يكن بهذه تحقق فليُنبه، على أنه ليس من هذا الشأن، وليقل عند إعطائه لأحد: (يا أخي توجَّه في طلب إمدادك من شيخي فلان)، أي لشيخه المرشد في أي

مكان كان، ولا تضيعوا أنفسكم كما ضيَّع نفسَه من سقط من البنيان، فكم رأينا من هذه المناويل أُناساً، ضيعوا أوقاتهم سبهللا، ولم ينالوا شرفاً يوصلهم إلى المجلا، نعوذ بالله من المكر والبلاء آمين .

ثم اعلموا يا إخواني، أن القائمين في هذا المنوال أربعة أصناف، وبين كل صنف وصنف منهم اختلاف، فالصنف الأول: صفة المتحققين الواصلين الأولياء المتكاملين، وقد تقدم الكلام على صفتهم بالإفراد، فاطلبوا منهم كمال الإمداد، الثاني من الأصناف: المُسَمُّون بالمتشبهين فالأنصاف، وقد صنف الشعراني تأليفاً في شأنهم، وأظهر كثيراً من نعتهم، فأقول هنا فيهم عبارة بالاختصار، خوفاً من الملل بالإكثار: هم قومٌ قد غلب عليهم الاشتغال بالطريق، وأنفسهم فيها بحسب دعواهم بعض تعويق، لاحت لهم مبادئ الفتح، وقصرت همتهم عن طلب السطح، فادّعوا قبل أن يصلوا مع ذلك من لوامع الأنوار، ولا يخلوا وكيف يكون خبيراً، من لم يصل إلى الدار المطلوبة، أم كيف يقود من لم يكن ناظراً الطرق المسلوكة، فإنه لا يعرف مواضع المياه والكلأ، ولا يدري محل الخوف من محل الأمان المعلا، وحقيقة هذا الرجل أنه قد نال من أول الأسرار نائل، ووقع على شيء من الأنوار، ولكن ليس هو واصل، له كشف صحيح، وحال سميح، سطع معه أنوار الهادي النافعة، وظهرت عليه إمدادات جامعة، ذو مقامات في الولاية، لكن لم يصل إلى الغاية، ظن أن هناك مقام الوصول، والظن في هذا المقام لا يجوز، وتوهم أن الإرشاد ما وجده من حاله، وكيف يكون

ذلك إن لم ينل كماله، أول ما يجد لائحة من السنا، يقول ولا تمكن له: أنا أنا، وسببه كونه طار عنه الوكر، قبل أن يتم له وقت الطيران، ظانّاً أن ما وجده هو حال ذلك المكان، مرة يجد وجداً يقيمه من غير مراده، وأخرى يخلوا من إمداده .

واعلموا أن المتشبهين في وقتنا هذا، قلوبهم الآن حالهم، بالمناسبة إلى الذين بعدهم مجلو، فإن كان في هذا الإقليم أحد، فرجل واحد في دنقلا، اسمه محمد، وغيره لم أرى في الناس الظاهرين، والعلم للملك المبين .

تنبيه: اعلم أن المظاهر الحقيّة أربع: اثنان منها للكمال تجمع، وأحدها رتبة السالك المجذوب، والولي المحبوب، وهو من توجه بالأعمال والأذكار، وأخلص في معاملة الملك الغفار، حتى أتاه في الفتح مع الاستعداد، وعمّه النور أفواجاً أفواجاً، بفضل الجواد، فهو متمكن في أحواله مُمِدٌّ، إذا كمل بأسراره، فهذه طريقةُ الترقي من كونٍ إلى كونٍ، وعن الكون إلى المكوّن، حتى يقطع الكِيان، ويشرف على حضرة الملك الديان، ثم يرجع مُتدلِياً إلى الكائنات، ويرشد إذا أُذِنَ له كمالات، وقريب منه مجذوب سالك، ومحبوب مالك، ما هو في غفلاته، ولا منكب على شهواته، فجاءه الفتح وطاب، وترقى إلى مراتب الأحباب، فأخذه السُكر زماناً طويلاً، ثم تتابع عليه المحو والتجليل، حتى اندهك بنور الأسماء، ونال للريّ من ذلك الحمى، فخُلع عليه خِلَع القوة الإلهية، ونزلت به مبادئ الصَّحو المباتية، فهو في مُتَدَليه

مترقى، وفي ترقيه مسقى، أفاق من سُكره فاسترشد، وثبَت على يد واصل فأرشد، وهولاء الصنفان المذكوران، هما اللذان وصلا إلى إرشاد السالكين .

وأما الصنفان الآتيان فلا يصلحان مدداً للمتعلقين، وإن كانوا خيراً وتحسين، فأحدهما هو ثالث المراتب الأربعة، وهو المجذوبُ المحض، والوليّ المحض، بينما هو في الإعراض عن مولاه، أو مشتغل به شغلاً ليس بكامل هداهُ، أخذه الحق بوارده الأقدس، وأنزل عليه من نوره المقدس، فسكره سكرةً، لا يُفيق منها مدة حياته، وغَرِق في لجة، لا يبرز منها إلا بعد مماته، محبوب في الحضرات الإلهية، ومصحوب بالعنايات السرمدية، قد ذهب عنه التحجير، فهو ليس بنفسه بصير، ولا يؤاخذ بشيء من الحركات، وهو كالمجنون في الشريعة بإثبات، لا يقدر إن مرَّ على حفظ الذات، بل يعجز عن حفظ إمداده للغَيْبات، يشترط أهل الطريق، شروطاً من جهته لمن طلب التحقيق، وذلك أن لا يتزوج السالك مجذوبة، ولا يتزوج المجذوب سالكة، وأن لا يأكل معه، وأن لا يكثر الجلوس بين يديه، لأن له أحوالاً بغير اختيار، فلعله يضرّك وحاله عظيم مع أنفاسه .

والقسم الرابع من هذه الأقسام الأخيرة، هو السالك المحض، وأموره مخيرة، وهو محل الزهّاد والعبّاد، ومن وصل إلى ذلك الناد، وهو كذلك ليس له قدم إرشاد، وليس من الرجال المعدّين للمداد، ومع ذلك أنهم كثيرو الأذكار، دائمو الاستغفار، في مجاهدات ومكابدات، محافظين على كثير من الخيرات، عامرين أوقاتهم بالرواتب العظيمات، لهم مراعاة كثيرة

للآداب والسُّنة، قائمين ليلهم، كثيرو الخدمة، محبُّون للمولى، صائمو النهار، مجتنبون في مأكلهم ومشرَبهم الإكثار، (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا)، نازلون تحت الأوامر طاعةً وسمعاً، لهم شأن عند مولاهم، طالبون للعلاَّم هم للأنوار، كما أن الأولين لهم الأنوار، لهم بعض لوامعَ قليلة، يفرحون بقليل من الأسرار الجليلة، فو الله إنهم لممدوحون محبوبون، ولكن أين هم من أولئك الواصلين المحبوبين، وغالباً يغلب عليهم تحكُّم نفوسهم، وأما الرياسة وحبها فتتمنع عليهم . اللّهم إنا نسألك الكمال، ولحوق مراتب الرجال .

وأما الثالثة من الأقسام السابقة، فهم أشبه الناس بأهل هذه الدرجة الرابعة، وسموا بالمتشبهين بالمتشبهين، لأنهم يتابعون المتشبهين، وسبب ذلك ميلهم إلى المكاشفات والكرامات، وكثير منهم عند أهل تلك المقامات، ولا تظنوا أن المتشبهين هم المدّعون والملبسون الظاهرون، فأولئك القسم الرابع ليسوا في طور المتشبهين، بل ولا في طور المتشبهين بالمتشبهين، بل هم في تنكيس وتدنيس، والله ما هم إلا خلفاء إبليس، قد غلبت عليهم الغَوايات النفسانية، وظهرت عليم الأوصاف الشيطانية، وقامت فيهم الأهواء، وارتموا بما رمى به السِّوى، فيا ليت شعري يا ليتهم شُغِلوا بأنفسِهم . ويا ويلهم ثم ويلهم من بارئهم، يا أيها المدّعون لهذا المكان، والله إن هذا هو الخسران، أفضاق عليكم الكون وما فيه، أم سبقت السابقة فكلٌّ ظهر بما فيه، أم جعلتم الطرائق موضعاً لهواكم، وحاربتم في الحقيقة مولاكم، قد خسر هنالك

المبطلون، وتعس بهذه الدعاوى المزَبْرِقون، وهذا الصنف في وقتنا هم الكثير، فاخشوهم يا إخواني، وليكن كل منكم منهم حذير، ولتحسن الظن في الناس، مع البعد عنهم، فنعم هذه الأساس .

وهذا بعض الكلام على سنن الطريقة، ومن تحقق ومن تشبه بزيغه، ومن تشبه بالمتشبهين، والتحذير من الفئة المدّعين، وللقوم هنا مجالات، تركنا كثيرها خوف الملل، وذكرنا نزراً منها في هذا القالب المعتدل: اللّهُمّ حققنا، بما حققت به الواصلين، واكفنا شر ما تلبس به المتدلسون، آمين .

الفصل الرابع
فيما يعامل به إخوان السلوك أهل الدرجة الرفيعة

اعلموا معاشر الإخوان المحبين، والأصفياء السالكين، المشار إلى شأن أمثالكم في الحديث القدسي عن ربي المعين، وذلك في قوله: (المُتحَابونَ في جَلاَلِهِ عَلَى كَراسِيّ مِنْ نُورٍ، يغبطهم الأنبياءُ والشهداءُ)، فاعملوا للسعي المشكور، حققنا الله وإياكم به مع الانتباه، وفي حديث: (الحب في الله والبغض في الله)، كمال هداه، (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)، في كتاب الله، (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً)، ورد عن رسول الله، وآخى رسول الله ﷺ بين الصحابة، وأخوة الطريقة كأخوة القرابة، أو ما ترون ما قال في مثل ذلك بعض الصالحين، في الفرق بين الشيخ والأب، متواضعين:

أرى فضل أستاذي على فضل والدي   وإن زادني براً وإن كان بي لطف
فهذا مُرَبّي الرُّوحُ والرُّوحُ جَوْهَرٌ   وذاك مُرَبّي الجسمِ والجسمُ كالصَّدَف

فجعل الأبوة التي من جهة إمداد الأرواح، أعظم من الأبوة التي للأشباح، وكذلك الأخوة فاعلموا أسرار النجاح، ونبهوا بعضكم بعضاً بحب الفلاح .

واعلموا أن حقوق الأخوة كثيرة، وسنذكر من شأنها جُملاً يسيرة، فمن حقوقها: النُّصح فيما بينكم، وتحريك الهمم لذكر ربكم، ومن حقوقها: التنبيه على شأن شيخكم، وذكر أحواله الموجبة لترقيكم، ومن حقوقها: تذكيرُ تفقدِ رُوحانية الشيخ في ذكركم، بل في أغلب وقتكم، ومن حقوقها: إذا وقعت الغفلة من أحدكم، أزعجه بعبارة ممزوجة لطفاً بعنف، وليكن أعظم الإخوان عندكم، من يحرككم للاشتغال بشأنكم، وينبهكم على ما يُعليكم، وعلى محبة شيخكم يجمعكم، فو الله ثم نبأ الخيرات، وهنالك تجنون ثمار البركات، ومن رأيتموه انقطع عن طريقتكم، فاحسبوه من المبعَدين عن المتمكنين، نعوذ بالله من السلب بعد العطاء، فإنه حافظ الصادقين، فاحفظنا اللّهُمّ بحفظك، وإخواننا المخلصين آمين .

ومما ينبغي لكم تعطف خواطركم بعضكم بعضاً، والتوادد فيما بينكم، فإنه يوجب الحفظ والمراسلات بينكم مع البعد، لأجل النشاط، وزجر من رأيتموه وهو معه انحطاط، ومنها: المزاورة كثيراً، وتقديم من كان شيخكم

مقدّمه فثَم تدبيرُ، وهو نظر الأعلى إلى من هو دونه، بعين الكريم، ونظر من هو أدنى إلى من هو أعلى منه، بعين التعظيم، ومنها: الاجتماع كثيراً على قراءة كتاب، ولا سيما إن كان من الكتب المحتوية على الآداب، وحقوق الأخوة تقصد فيها الأفكار، ونسأل الله لنا ولكم، كمال الإبصار، آمين .

الفصل الخامس
فيمن كان أجنبياً وما يعامل به من حيث هذه الطريقة

حققنا الله بها ولا سيما طريقتنا الرفيعة، آمين .

اعلموا معاشر الإخوان الأجانب، في عوائد الطريق ليس لهم الثقات، ولا تزويق لكونهم عظيمي الحجاب، مُبعدين عن الباب، وهم على صنفين، وكل صنفٍ محتوٍ على أنواع مخربطين .

فأحدهم: من كان من أهل انتساب في طريقة أخرى، ولم يعرف آداب الطرق، بل في تبعداتٍ كُبرى، يُحب أن يدفعَ غير طريقته من الطرق، وهو بالمناسبة إلى الجميع أجنبيٌ محقق، إذ الطُرق كلُّها داعية إلى سُنن المصطفى، وجميعُها تستمد من حضرتِه الحاوية للصفات، فيا ليتَ شعري هل أنكر عارف محقِّق عارفاً محققاً، أم نَفَى صحابيّ سُنَن صحابيَ مُدقّق، ومن هذا المحل طالت ألسنة كثير من الفقهاء في الإنكار، لاستماع بعض جهلة المدّعين السلوك والفخار .

وأما الصنف الثاني: فهم بعض فقهاء جاهلين الطريق، أن ليس له تحقيق، وما سمعوا: (إن من العلم كهيئة المخزون المكنون، لا يناله إلا أهل العزّة بالله) فاسمعُوا، وبعضُهم قد يُنكِر شيئاً من ذلك المنوال، وإذا تأملت ذلك وجدته قصير نظر، عن علوم الكمال، وأما من ينكر بعض الأحوال، من بعض الآكلين الحرام، والمالِئين بطونهم من أموالِ السلطنة العظام، وأمثالهِم من جُهال وعوام، وممن لامَس العلمَ مع غيرِ معرفة، كما سمعنا مثلَ ذلك في بعض الأعوام، وسببُ ذلك إما كبر سِنٍّ خذله، أو حسدٌ أو حِرْمان، من حضرة الحقِّ وبُعْدٌ، فأولئك ليس لهم إلا الخسران، وما جزاؤهم إلا ما يُفعل بكثيرِ الكلاب، في كثير الأحيان، من أمثالِ ما قالَ بعضُ أهل الإحسان:

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخرُ مثقالاً بدينار

ثم هذه فوائدُ جمة، في مسائل مهمةٍ، منها: ما بلغنا عن بعض مَن لم يتمكن في العلوم، وليس عنده قدرة على توجيه المسائل، على بعض مذاهب أهل الدقائق والفُهوم، ولا سيما إن كان البحث ليس في أمرٍ شديد، بل في منوالِه يُجيز العلماء التقليد، وهو قولهم: الفاتحة للنبي ﷺ، فيها كراهة، فانظر إلى ضعف هذه النباهة، فهنا أذكر على طريق الاختصار، هذا البحث، والمؤمنُ من طوْر إيمانِه يقبل بقليل حَثٍّ، فقد قال بعض العلماء بالكراهة، واحتجوا بأن الكامل لا يحتاج إلى زيادة، وَرَدَّ عليهم كثير

بأن المقصودَ؛ زيادة شرفه يا مسعود، وقال: إن الصلاة عليه قريبة، من هذا المنوال، إذ الكل رحمة من الوال، وقد مشى على هذا النسج كثير من العلماء والصالحين، كمثل ابن العربي في حزبه المسمى بـ"الدور الأعلى"، فإنه وضع في أوله فاتحة لروح للنبي ﷺ كامل الجلاد من ذلك ما وضعه الجدّ في راتبه المسمى بـ"الكوكب الثاقب" لنيل أعلى المراتب، حيث أتى بفاتحة للنبي ﷺ في أول تراتيبها، وكذلك فعل ذلك في آخر منوالها، فقال: (ولنختم بالفاتحة لروح سيد الكونين، وعين حياة الدارين، سيدنا محمد سيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة والسلام من رب العالمين)، ولو بحث في هذا البحث فقيه، لوجد من كلام أئمة المذاهب ما فيه تنبيه .

انظر في نفس الفاتحة في الصلاة، تفهم خلاف العلماء، وتسكن بحول الله، فالأحناف قائلون في قراءة المؤتمّ للفاتحة: كراهة تحريم، والشافعية يقولون: إن نقص حرفاً منها بطلت الصلاة، فهذا أقرب ما يهون عليك، إن كنت ذا فهم .

ومن المسائل، ما قال بعض الغافلين: ما معنى تلقيب هذا الشيخ، يا محبون، بختم أهل العرفان؟، فقلنا: يا بني كن يقظاناً، ليس فيه إدعاء، ما فيه تحجير، إذ هو إشارة لذوق، في الولاية يستوفيه، وهو في الدليل ما قيل: ما يقال المزية لا تقتضي الأفضلية، وليس دعْوى، أن ليس بعدي وليّ، فَأَهِمْ لهذا الإكسير الجلي .

ومنها ما بلغنا من بعض المتفقهين، أن الخلوة إذا لم يظهر فيها إبليس اللعين، فليس فيها تمكين، قلنا: الطرق إلى الله، بعدد أنفاس العباد، والشيطان قلَّ أن يتعرض لكاملٍ، أو لتلميذه بإبعاد .

واعلموا أن أعظم الخلوات الثلاثة، إذ ذكرت في القرآن في موضعين سنية . أما الاشتغال بالأذكار جماعة، فذلك أكبر النفاعة، إذ مثّله الرسول برياض الجنة، وكم ثَمَّ أسرار ومنة، والحاصل أن المتكلم إما قصير باع في العلوم، أو شقيّ محروم، اللّهُمّ إنا نعُوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، ونعُوذ بك من السوء، ونسأل سرّ النجوى آمين، سُبحان الله وبحمده، سُبحان الله العظيم .

وهذا ورد عن الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم، وآله وصحبه ما انتفع بهذا الرقيم، وقد أمليتها من الصدر، ولم أعتمد على حضور كتاب بفضل البر، صلى الله على النبي وآله وصحبه، وأسأله ببركته أن يجعلها خالصةً لوجهه، وينفع بها عباده آمين .

انتهت هذه الرسالة، في يوم ٢٩ شوال، سنة ١٣٣٢ من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والتحية، تحريك لهمم السالكين، وتبيين لأشياء عاضدةٍ، لبعض ما في هذه الرسالة من تفنين .

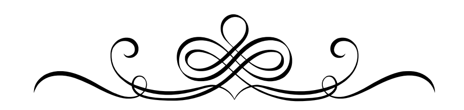
ومن ذلك لما تمت هذه الرسالة، رأيت ثاني يوم إتمامها أو ثالثه، شيخنا أحمد بن إدريس، ورأيت معهم رجالاً من الأفراد المناظرين للقطب من حيث المعرفة بالله، ورأيت معهم كذلك رجلاً من الأوتاد، كأنهم يشيرون

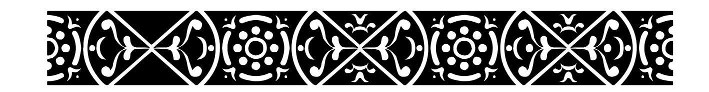
إلى أن الرسالة هذه، كملت لوجه الله، وأنها أُلقِي عليها خِلَع القبول من المولى، وأن الله سينفع بها الخلق نفعاً عاماً، وأنها ستملأ الأرض، وإشاراتٌ مثل هذه، وفي هذين اليومين، رأى تلميذُنا الشيخ محمدٌ النبيّ ﷺ ، وأثبت له خلافةَ مَن أشرتُ إليهم، وخصوصيةً سائرَ أهل مجلسنا، وإمداد النور في سائر من تعلق بنا، وأيد كثيراً مما في هذه الرسالة، من مثل هذه المذكورات، ومن مثل أن إقليم السودان خلص لطريقتنا، نبّه بذلك عليه السلام، ومن مثل أن جميعَ ما تكلمنا به حق، ثم كذلك في تلك الليلة، رأى كذلك الشريف الهادي مثل ذلك، وتكرر عليه في ليلة واحدة منه ﷺ ، خمس مرات، حتى قال في عموم إمدادنا في إقليم السودان، رأى أنه عمّ حتى في قوم يئسوا بحسب العقول أهل قباحة، بل حتى من بعض من لم يكن من أهل كمال الاعتقاد فينا، والحاصل أنها أمور كثيرة، والله بيده الهبات الفخيرة، وصلّى الله على النبيّ المصطفى، وآله وصحبه الحنفاء آمين .

قوله تعالى: (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) .

ذكر شيخُنا العارف بحرُ المعارفِ، ختم أهل العرفانِ، وحامِل لواء الإيقانِ، وسلطان أهل الشهود والعيان، سيدنا السيد الشريف المكي الميرغني السيد محمد عثمان، أيده المنّان، إشارة بديعةً لمن يُسبق بها فيما علمنا وسمعنا، لما قرأ هذه الآية في صلاة التراويح، ونحن جماعةٌ كثيرةٌ خلفه، في

بلاد التاكا، فالتفتَ إلينا بعد سلامه وقال لنا: لما قرأت هذه الآية، خاطبني الحقُّ جلَّ جلاله وقال: أنت تذكرةٌ لعبادي يا محمد عثمان، فمن أراد طريقاً يوصله إليّ فليتخذك سبيلاً، وما يفعلون ذلك إلاّ أن أريد، إن كل من أحبك وأخذ عنك، وتعلق بك هو الذي خلد في رحمتي، وكلُّ من أبغضك وتباعد عنك فهو الظالم المعدود له العذاب الأليم .





١٠

الفتح المبروك
في كثير من آداب السلوك

تأليف

السيد محمد عثمان الميرغني الختم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة بدءاً وختماً ، وصلى الله على سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسما

الحمدُ لله الملك الكبير، الذي ليس له نظير، الجاعل من عباده، الهدى إلى حضرة وداده، المرشد من أراد منهم الوصول، إلى حضراته، وحضرات الرسول، وجعل لهم آداباً يسلكون بها، ومشائخ يقتدون بنسلها، والأصل اتباع سيد السادات، الجامع للكمالات، صلّى الله وسلّم عليه، ما لاحت بوارق الشهود لديه، الناطق بجوامع الكلم، والحائز للفيض المعمم، والرمز الذي لا ينحل، والطلسم الذي لا يعلمه سوى الأجلّ، صلّى الله وسلّم عليه، وآله وصحبه ومن آل إليه .

وبعد، فقد سألني بعض السالكين، أن أُبين له بعض آداب المتوجهين، فأجبته إلى ذلك، راجياً لثواب ما هنالك، قائلاً ما قاله الكليم الفخير: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، ووقع الإلهام بتسميته قبل التمام: بـ(الفتح المبروك في آداب السلوك) .

فأقول، وأنا الحقير السنيّ، محمد عثمان بن محمد أبو بكر ابن السيد عبد الله ميرغني: إن مبنى طريق أهل الله، على كتاب الله، وسنة رسول الله، وإن الحقيقة والشريعة متلازمان، وليس بينهما فوات، عند أهل العرفان، كما قال بعضهم مشيراً لشأنهم:

وما في طريق القوم بدءاً ولا انتها مخالفة الشرع فاسمع وأنصتي
وخلّ مقالات الذين تخبطوا ولا تخلي عن حكم كتابي وسنتي

واعلم أن أول ما يجب على المريد، معرفة المبدئ المعيد، وأن يصحح عقيدته، لكي يرث حال أهل طريقته، ثم ما يقيم به الفروض، يوم لا ينفع الجواهر ولا العروض، ثم يعرف آدابنا، وما ينبغي له معنا، فأولاً لا بد من معرفته بشيخ، به يعرف الطريق، كامل التحقيق، مأذون له بالتربية من الحضرة الإلهية، له معرفة بالشريعة، متوغل في علوم الحقيقة، وأعني بمعرفة الشريعة، ما يقوم به فروضه، له معرفة بالمنازل، وتحقق المناهل، وله به المقابلة، والأحوال مفهومة، ويعرف القواطع في الطريق، وأحوال التعويق، وهذا أقل من القليل، إلا إن ساعف به الجليل، بل إذا وجد الإخلاص، قد شذ، فقال:

وذا بذياك الزمان الأنور أعز من كبريت سر أحمر
فكيف في هذا الزمان الأغبر يناله كل مجترٍ ومُفْترٍ

ويقول الجيلي، كان لي وله العلي:

فإن ساعف المقدور وأنجزك القضا إلى حيّ شيخ في الحقيقة بارع
فقم لرضاه واتبع لمراده ودع كل ما من قبل كنت تصانع
وكن عنده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهو طائع
ولا تعترض في ما جهلت من أمره عليه فإن الاعتراض تنازع

وسلِّم له في ما تراه ولو يكن على غير مشروع فثَمّ قواطع

فعبر بحرف (إِنْ) الذي يقتضي الوجود وعدمه، فأمعن، فإذا وجدته فتب توبةً نصوحاً، واصدق تنل فلاحاً، وصلِّ ركعتين، وأنو فيهما التوبة، عما لا يقتضيه نظره المتين، وخذ عنه شيئاً من الذكر، واشغلْ به الفكر، وإذا جلست بين يديه، فاجلس جلوسَ الصلاة لديه، وإذا تعِبت فاجلس قريباً منه، غاية النظر بالأدب فيها، ولا تلتفت لغيره، وما أمرك به فافعله، تنل خيره، وكن بين يديه، ومعه كالميت بين يدي مغسله، يقلبه كيف يشاء، ولا يخالفه فيما يشاء، قائماً معه بالخدمة، وغاية الحشمة، مُفدًّا له بروحك ومالك، وجسمك وجميع أحوالك، تسعى فيما يرضيه، ولا تلتفت لمؤذيه، معاملة بالصدق، وهذا الذي عليه الحال ينطبق . إذ قال بعض الرجال: (الصدق سيف قاطع، وما له من دافع)، لا تتكلم معه إلا بحسب الحاجة، إلا إن أفيضت عليك بعض المادة.

وأما أحواله مع ربه، فأولها إذا جاء للطهارة، يفعل ما يقوله صاحب الشفاعة، فإذا جاء إلى الصلاة استحضر عظمة اللهُ، إذا قال الله أكبر، شاهد عظمة البر، وإذا رفع يديه عند استفتاح الصلاة، التي عليه يشير لرفض الأكوان، وتخلُّصِه من رقّ الألوان، فإذا قرأ الاستفتاح، شاهد الإخلاص للفتّاح، فإذا بسمل شاهد الفعل، بمَن له القدرة والحول، ثم يشاهد كذلك ذِكْرَه للهِ، وذكرَ مولاه له، فإذا قرأ الفاتحة يشاهد: (حَمَدَنِي

عبْدي، مجّدنِي عبْدِي، وهؤلاء بيْنِي وبينَ عبْدي)، هذا في أول الإقدام، ثم بما يفتح به المتعال، إلى أن يخلص الصلاةَ، وهو مستغرق في عظمة الله، وإلا لم يفزْ بصلاته، واستحق أن تُرمى في وجهه، ولو خُوطِب بعضُ السالكين، وهو في الصلاةِ، خَطَر له الخاطر حشيش، فقيل له كما ذكره يا عبد الحشيش، وكذلك كلَّ من غلب عليه التحشيش، وكل من غلب عليه شيء فهو عبده، إن الله يُنزل العبدَ من نفسه حيث أنزله العبدُ من نفسِه، ويحذر أن تُلقى وتُرمى في وجهه، فإذا فرغ من الصلاة استغفر مولاه، مما جناه في الصلاة من الخواطر، والنظر القاصر، يسبح بالتسبيح، ويقرأ ما لَه من راتب سميح، ويشغل أغلب أوقاته بالذكر، والحمد لله والشكر لله، كما قال الله تعالى: (أُذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوهُ يُكرِمْكُمْ) .

وليكن في أغلب أوقاته مُلازماً للوضوء، فإن سلاح المؤمن الوضوءُ، وليقل عنده: بسم الله، والصلاةُ والسلام على رسول الله ﷺ، وليشغل عينه بالنظر فيما أُمِرَ به، مثل التفكر في موضع سجوده، وكذلك سمعه لتلاوة كتاب الله، وأمثاله من المواعظ، وحديث رسول مولاه، ورجله يمشي بها إلى المساجد، ويقف بها بين يدي الواحد، مستمطرَ الفيوض والمعارف، ويقول: يا إلهي هَأَنا العبدُ الضعيف واقف بين يديك، ومثل زيارة المريض، والمشي وراء الجنائز له شأن عريض، ويديه يقضي بها حوائج المسلمين، ولا يصرفهما إلا فيما أمره المبين، وفكره في ما أوجد الحق، ويأخذ من كل شيءٍ خُلُقاً، فمن الكلام التوكّل، ومن البحار وُسْع الخلُق بالتأمل، ولسانه يذكر

ربه به، وتلاوة كلامه، وكلام نبيه مع التدبر، لتظهر له الأبحر، والوقوف على رأس كل آية، والخشوع عند التلاوة، وإذا مرّ بآية عذاب يستعيذ، أو بآية رحمة يسأل المجيد، يعتزل عن الخلق بقصد كفاية شره لهم، ويحسن الظن بهم، يشكر الله لإسداء نِعَمه، ويتخلص من ريائه وعُجْبِه، فإذا فتح له الباب، فليحذر من الدعوى، وليخف من الجلْوَى، فإن فيها البلوى، فإذا لاحت له بوارق الأكوان، فليحذر من الوقوف مع سوى الديّان، وليقل: لا أريد سواه، وليكن متأدباً مع شيخه، ناظراً إمداده منه، مُشاهداً حاله عنه، لا يشكر الله من لا يشكر الناس، وإياك والوقوف مدى الأنفاس، واسمع ما يقول بعض أهل الله -كان لي وله مولاه - قال: كل حَسَنٍ تجلى بي تملي، فقلت قصدي وراك، ويعبر على شيخه حاله وما فتح له، وعند ذلك يحذر من عبادة الأحوال، حتى يجوز مناهل الرجال، وعليه باللقمة الحلال، فإنها رأس المال، ويستمد ممن رآه من الصالحين، ويواظب على قيام الليل، فإن فيه كثيراً من التمكين، والمشي إلى المساجد في الظلمة، فإنه يورث النور التام يوم القيامة، وبالتسليم لأهل الله، فإن لهم في كل أمر دليلاً، يعرفه أهله، كما قال بعضهم مبيناً لأمرهم:

وسلم لأهل الله في كل مُشكِلِ   لديك لديهم واضِحٌ بالأدلة

وزيارة المقابر، فإنها تفكر اليوم الآخر، وليحذر فيها من الضحك، فإنه يورث الظلمة في القبر، وفيه الضنك، ومن الجلوس على القبر، فلأن يجلس على جمرة فتحرِقَ جسمَه وتحرقه، خيرٌ له من الجلوس على المقابر.

وليجاهد النفس، فمنها يظهر الأُنس، فإنها رأس الدعوى، وفيها الجلوى والبلوى، رجعنا من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر، قال سيد البشر، والمقصود به جهاد النفس، لتخرج إلى فضاء القدس .

والخواطر ثلاثة أنواع، وأقرب ضابط به وأنفع، ما وافق الشريعة خذه، وما خالفها فدعه، فالشيطانيّ يدعوا إلى الرجسِ، والملكي يدعوا إلى القدس، والرحمانيّ إلى أن يكون بالكبير الأنس، والنفس ما دامت أمارة، فاتبعها بالمجاهدة، حتى ترجع لوامة، كما قلت :

فإن جاهدت نفسَك صرت فَرْداً ... وترقى من أمارتها إلى اللوم
وزد خلي تزد ذاك إطمانأً ... فراضيةٌ فمرضيةٌ لقوم

فإذا خرجت من اللوم، جاء الاطمئنان بالذكر دوم، فإذا صارت راضية، جاءت الفيوض طامية، فإذا صارت مرضية، فقد جاءت المحبوبية، وذهبت الأنانية، وصحت العبودية، وهي المقصود عند خيار البرية .

وليكن نظرك إلى الأرض بين يديك، متفكراً فيما منك وعليك، عن الشَبهِ والشبهة .

وازهد في الدنيا الدنية، وخذ الله وكيلاً، وطريق الكسب فيه الخير الجليل، فإن كنت من أهل الكسب، فاتق الله يأتيك الوهب، وانصح في معاملتك مع الخلق، وسِرْ معهم على قدم الصدق، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، وعلى ما أظهرت من الغش حزينة .

وأما التجريد، فيحتاج إلى صنديد، لا يشوف للخلق، ولا ينظر إلا إلى الحق، ولا تتشوف نفسه إلى شيء، ما أتاه هكذا قبله، وما أتاه من الشوف تركه . وواظب على الصلاة مع الجماعة، فإنها رأس البضاعة .

وإذا أرت الحج فمن مال حلال حج، وإلا فهو مردود عليك، يقال لك: لا لبيك ولا سعديك، فعند تجردك للإحرام، تجرّد عن الانتقال بسوى الملك العلاّم، فإذا لبيت فكن ناظراً مجاوبة الحق، وكن إلى الخير ممن سبق، فإذا شاهدت البيت ينزل بك حال، فإن لم تراه، فما بلغت مناهل الرجال، واقدم مُقبِّلاً يمين الرحمن، وبايعه ألاّ تعودَ إلى شيء من العصيان، وطُفْ سبعاً مُهَرْوِلاً في الثلاث الأول، إشارةً لمُسارعتك لحضرة الأجلّ الأكمل، وفي الأربع أمش رويداً، مجاهداً مشاهداً لوصول مرادك والمقاصد، وصلّ ركعتين خلف المقام، مسابقة للخُلة والإنعام، فإن شأنها عظيم، ومقامها سليم، وتخيلها فخيم، كما قيل :

قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلاً

ثم اشرب ماء زمزم، واغسل باطنك الحاضر المذم، ثم اسع بين المروة والصفا، فإذا نلت سرّ ذلك، ظهر لك حال الاصطفاء، وهَرْوِل بين الجبلَيْن الأخضريْن، إشارة إلى أنك تخلصت من الرَّيْن، ومن المروءة تمسك بالمروة، ولقد ذهب كُمّل أهلِها دواماً لقوةً، كما قال:

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت لها: وما تبكي الفتاةُ
فقالت: كيف لا أبكي وأهلي جميعاً دون أهل الناس ماتوا

ثم تسرولت في منى، ظاهراً عليك أثر السنا، ثم توجه صباحاً إلى عرفة، وقف لتنال كمال المعرفة، ثم ارجع إلى مزدلفة، بأدب صحيح لإرشاد خلقه، ثم بِتْ وسِرْ عنها صباحاً، فهنالك شعائر وإفلاحاً، وخفف السير في مُحَسّرِ، إشارة لذهاب عن الاقتداء بكل ناجزة، ثم أنزل بِمِنى لتحظى هنالك بكمال المنى، وارمِ جمرات نفسك، وأخلع عنك رجسَك، واذبح مراد نفسك، بسكين مخالفته، واحذر من الإغواء، وكن لها منتبهاً، فإذا تمت بهذه الصورة المذكورة، فقد حَجَجْت حج أهل المعرفة المشكور، وإن لم تكن على هذه الكيفية، فحجك حاله الضعف، وإن قدرت فحُجّ بعده، فكل حج نشأةٌ أخرى يجدها اللطيف. ثم توجه إلى المدينة، لتخمَّر لك العجينة، وهذا بعض آداب الحج، لمن استطاع أن يحج.

وأما آدابك مع رسول الله ﷺ فإنك تعظمه، وتُصلّي عليه كلما أحد ذكره، وتحبه هو وأهل بيته، غاية المحبة وكذلك أصحابه، وتتبع سنته،

وتسأل له عند قيام الصلاة والآذان، الشفاعة والوسيلة، وتحسن إلى من أحبه، وتفنى فيه وفي محبته، والآداب التي لشأنه كثيرة، وأن لا تخليه من خاطرك هو وشيخك، في أوقات كثيرة، وصلِّ عليه في كثير الأحيان، وأبدأ بها دعاءك واختمه بها، فإنه يقبل كما جاء عن أهل العرفان .

ولتغسل قبل الأكل وبعده يديك، وتأتي بالمضمضة، وتُبسمل قبله، وتحمدَ بعده .

ولا تأتي الصلاة وأنت تجري، فيذهب الحضور المتين، وإذا دخلت إلى المسجد، فصلّ ركعتين، وواظب على الصف الأول، وتعمم، ولا تصلِّ وحدك خلف الصف، فتندم .

وطالع في كتب القوم كثيراً، تحز مقاماً كبيراً، فإذا أفيض عليك شيء فاكتم، فمن أفشى لا شك يندم، ولقد أفشيت بعض شيئاً في الابتداء، فأوذيت بعض الإيذاء، وأما إن تكلمت بعد التوسط، لذهب بعض مالك فتبسط، ولا تزال تطلب الكمال فلا انتهاء عند الرجال .

هذا بعض ما حضر من آداب السلوك، بحسن ما أفاضه مالك الملوك، لأني ما جمعت شيئاً بالمطالعة، بل بحسن ما أفاضه الله، ومن أراد التوسع، فعليه بكتب أهل الترفع، وأما هذه ففيها ما يكفي للمبتدئ، ويستضئ به المتوسط المقتدي، وأريد أن آتى بخاتمة، في بعض ما يحتاج إليه السالك من الأدعية، في بعض اللمحات، والله بيده الهدايات .

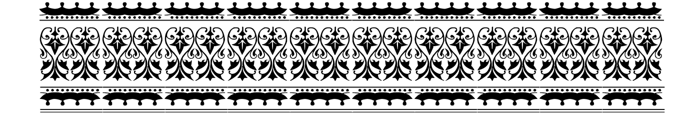
خاتمة

تحتاج إلى إجابة المؤذن، وبعده الدعاء للسيد المحسن، وعند الخروج من الخلاء، تقول: (الحمد لله الذي أذهب عني الخبث والخبائث)، وعن الوضوء تقول: (بسم الله والصلاة على رسول الله)، وعند الخلاص منه تقول: (اللّهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين)، وتقرأ سورة القدر، فإن فيها غاية الخير، وتشرب بعده، وتصلي ركعتين، وتدعو بما تيسر، فإن فيه أُنساً بالمتين، وعند الدخول إلى المسجد تقول: (أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللّهم افتح لي أبواب رحمتك)، وعند الخروج كذلك، لكن تقول بدل (أبواب رحمتك) (أبواب فضلك)، وعند الدخول تقدم اليمنى، وعند الخروج تقدم اليسرى . واترك الغيبة والنميمة، والبهتان والأفعال الذميمة . وعند هذا الموضع سيقف البنان، ونستغفر الله، مما يكون وما قد كان .

ولنختم كل مجلس، بما نختم به هذه الرسالة، وهو الحديث الوارد عن صاحب الشفاعة، سُبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، عملت سوءاً وظلمت نفسي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، بقدر عظمة ذاتك يا أحد، آمين .

تمت هذه الرسالة على يد كاتبها ومالكها، الراجي الدخول، من فيض مولاه اللطيف، إلى حضراته وحضرات رسوله المنيف، وبجاه نبيه المصطفى، وبجاه كل سيد عفيف، الحقير الراجي عفو ربه الملك القدير، وشفاعة نبيه البشير النذير، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأحبابه وذريته وأهل بيته وسلّم .





١١

الزهور الفائقة
في حقوق الطريقة الصادقة

تأليف

السيد محمد عثمان الميرغني الختم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل خيار العباد، الذين لا يفعلون أمراً إلا ويحسبون السؤال عنه في يوم المعاد، أحمده على جزيل النعم ، وأشكره على مزيد الكرم، وأُصلي وأسلم على نبيه المحترم، وآله وصحبه والخائفين، من هول يومِ المزدحم .

أما بعد: فيقول رق الجناب المحمدي، والمقام الأوحد، الختم محمد عثمان بن السيد محمد أبي بكر، رحمهما المنّان، تلميذ العارف ذي التقديس، القدوة إلى الحضرتين مولانا البركة، وليّ نعمتنا الشريف أحمد بن إدريس: إني لما دخلت أرض التاكة، ورأيت بها أقواماً على سبيل القوم أفاكة، لم يميزوا بين شيوخ البركة والإرشاد، ولم يعلموا مراتب الإخوة، وحكم الإجازة في اصطلاح الأسياد، ولم يخافوا أهوال يوم القيامة الشداد، ولم يقيموا الوزن بالقسط، على أنفسهم وغيرهم من العباد، وهم معذورون وليسوا معذورين، فعذرهم أنهم لم يجتمعوا قبلنا بعارف، وغير معذورين لعدم نظرهم في سؤال وليّ اللطائف، وأما بعد دخولنا إليهم، فلا عذر لهم مطلقاً، ومن تعدّى الحد بعد مشاهدة العارفين، استوجب المقت وعدم الارتقاء، فجعلت هذه الرسالة لتبين ما التبس عليهم، وسميتها: (الزهور الفائقة في حقوق الطريقة الصادقة) .

وجعلت فيها ثلاثة قواعد: القاعدة الأولى: في الشيوخ وما يعامِلون به، وما يُعَامَلون به، وكيفية إذنهم وإجازتهم، القاعدة الثانية: في حقوق الإخوان، وما يَتَعَامَلونَ به بينهم، من خواصّ وعوام وخواص الخواص، القاعدة الثالثة: في الطرائق وآدابها .

القاعدة الأولى: اعلوا معاشر الإخوان الكائنين، في جميع البلدان، أن الدعوى فشت في الديار، وملأت جلّ الأقطار، وكل ذلك وقع منهم، لعدم مراقبة سؤال القهّار، وعدم النظر في كل ما يقدمون عليه، من مناقشة الجبّار .

فاعلموا إخواني، حفظني الله وإياكم من المقت والطرد، ومنحني معكم الأدب معه، ومع أوليائه ذوي النور الفرد، إن مراتب الشيوخ ثلاثٌ، وفي كل مرتبة قسمان، فكن أيها الفطن بآدابها متأدباً .

المرتبة الأولى: مرتبة الشيوخ المتحققين بالمشيخة، الذين عليهم الاعتماد في الدنيا والآخرة، السادة أهل الإرشاد والإمداد، والرجال الذين بهم يحصل عند الله بهم الإسعاد، القائل فيهم العظيم الجواد: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي من سواه، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفراق أحد عداه، ﴿لَهُم الْبُشْرَى﴾ منه ومن رسوله، ﴿فِي الْحياةِ الدُّنْيا﴾ مناماً ويقظةً، كما يعلمها أهل الإيقان، وفيهم يقول الرسول الباذل في مرضاة الله همته: (الشَّيْخُ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ)، ﴿وَ﴾ لهم البشرى كذلك، ﴿فِي الآخِرَةِ﴾ بشفعاتهم ومُداناتهم لحبيبهم في الدار الزاهرة .

وهم على قسمين: شيخٌ جمالي، وشيخٌ جلالي، فالجمالي عبدٌ، اقتطفته يد العناية، وخلّصته من الجناية، فُتح له فَتحٌ جليل، فكَشف الكون بلا تطويل، بُدئَ بالرؤيا، ثم الكشف الخيالي، وارتقى بعد ذلك للكشف الحقيقي المتوالي، سطعت عليه أنوار شيخ إرشاده، فحَظَى بإسعاده، عرف المقامات وخباياها، وميّزَ المنازل وخفاياها، واطلع على الحضرات ومخادعها، فرَقَ بين الحضرة المحمدية وآدابها، وعرف الرؤيا الحقيقية وخيالها، علم أدب مناجاتها، بحسب أنواع كمالها، يعرف طرق حضراته عُلُوّاً وسُفْلاً، ويعرف سرّ كمالها مَظهراً ومَجلى، لا يقدم على أمر إلا بإذنٍ منها، ويعرف من دخل حضراتها، بحسب تنوع الحضرات، ويتأمل، فيعقل من وقف عندها من الثقاة، وغير ما ذكرناه يعقلها مما لها من خفيّ الإشارات، التي لا تصل إليه العبارات، وكذا يرقى إلى الحضرات الإلهية، ويفرق بين التجليات الجمالية، والجلالية، والكبريائية، يعرف من حضرات الحق الكثير، ويعلم أن الله به في جميع أحواله بصير، ويعلم آداب الحضرات، وخصائصها، ويميز بين مشاهداتها ومعاينتها، أخذ منها علمه بلا واسطة، ورقم عنها حكمة عارف مقدار الواسطة، شهد التجليات، فانبسط من الجمالي بالأدب، ووقف مع الجلالي، وهو بالخوف مرتقب، شطح ناظراً إلى: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)، وانكسر متأملاً في: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)، فتورث، أي في غيبته في حبه، دائم الحضور في الحضرات، صاحي الظاهر، في جُلّ الأوقات، إن أمر فبالله، وإن أمَدَّ فمن الله، وإن أخبر فعن الله، وإن دعا

فإلى الله، لا يشتغل بظاهر حركاته، عما هو مشاهده في باطنه من هباته، يُفْتَحُ له على فراشِهِ، كما يُفْتَحُ له في صلاته، وَيَمُدُّ في فَتراته، كما يمد في شطحاته، يعلم أحوال المريدين، فيربيهم بأنواع من قبضٍ وبسطٍ، وحلوٍ وعذبٍ .

وفي هذه الأحوال، يستوي الجلالي والجمالي، ويختلفان في حال واحد، فالجمالي يغلب عليه من الحضرات البسط، وشهود الرحمة، فيظهر بتلك النعمة، والجلالي يغلب عليه من الحضرات القبض، والتجليات الجلاليات، فيظهر منقبضاً لما يشاهده من الهيبات .

وأما مريدوهم، فآدابهم معهم عن العارفين، قد ذكرناها في بعض رسائلنا، والحاصل أن مُريدَهما، يتفِقان في مثل التسليم للشيخ، وعدم الجلوس على سجادته، والتوضؤ بإبريقه، والاتكاء على عكازه، والتحدث في النفس بمخالفته، وحرمة أهله، إلى آخر ما ذكرناه، في تأليفنا الآخر .

ولكن أتباع الجمالي، يُطلب لهم التجلي بالبسط، والفرح بالله، وأتباع الجلالي يطلب لهم التجلي بالقبض، وكثرة التخوف من الله، الذي يتخلصُ به المريد عند الله، بعد أن يتحقق مقام كُلّ منهما، وتظهر له ولايته بالأدلة المعلومة، من كرامة تقوّي له إيمانه، وعلم حقائق وشهود أسرار، ورؤية كثير من الشروط الموجودة في كتب القوم، ومن أجلِّها استقامته، ونشاطه في القيام لله، ورؤية إشراق الحال والتقوى على أتباعه .

فثَمّ ينبغي للمريد، أن يعتقد أن الشيخ عارفٌ كاملٌ، متحققٌ داعٍ إلى الله بإذنه، في أعلى المشاهد الإلهية، ولا يعين له مقاماً لم يشهده له، أو يخبره وليّ تحققت ولايته عنده، بأدلة معلومة .

أما الشيخ، فالذي ينبغي له مع المريدين، النصيحة الدائمة، وهو أعرف بما يناسبه، فلا تخاطبه لأنه متأدب بين يدي نبيِّه، واقف لسؤال ربه، وهذه الشيخوخة ليس محلها إذن الأولياء، وإنما هي إذن من الله ورسوله، يحظى بها بعد الوصول، إلى مظانها الأبرياء، الذين قال فيهم وليُهم المُرّبي: (أوليائي تحت قِبائي، لا يعلمهم أحدٌ غيري) .

وأما المرتبة الثانية: وهي شيخوخة التبرك، فهي أيضاً على قسمين، وأصلها إذن العارفين، وذلك أن يأذن العارف لبعض مريديه، بالنيابة عنه في نصيحة الإخوان مُحبِّيه، وذلك أن ينال المريد، بعض فيضٍ مع تقوى، وإما أن يكون تقيّاً، بلغ في الخشية الغاية القصوى، فإذا كان المريد كذلك، فحينئذ يأذن له العارف .

وأدبهُ أن يتقي الله، ويأمر أتباعه بملازمة الذكر، والخشية والوعظ، ويتحلّى بحلى الشيخ، من حيث الزجر والردع، وينبِّه إخوانه على أنه ليس صاحب مدد، ويعلمهم بأن مددهم من شيخه، ويعرفهم أنه أخٌ لهم، محجوبٌ مثلهم، ولا يتركهم يمدحونه ويصفونه بأوصاف الأولياء، فيستوجب هو وهم المقت من الله، ولا يسمع من مادح له، أو ينظر في كتاب رسم إليه فيه، ما لم يستحقه، إلا وشنَّ الغارة على من رسمه، ويُعْلِمَ إخوانه أنهم

مسئولون، بما يتكلمون به فيه، كما أنهم مسئولون، عن جميع أعمالهم، وينبغي له أن يؤازر بعض إخوانه، الذين يراهم ناصحين له، غير مستحيين منه، مشفقين عليه، من سؤال الله .

وأما آداب أتباعهما، فذلك أن يتأدبوا مع كل واحد منهما، ويحترموه ويراعوه، ولا يمدحونه بما ليس فيه، ولا يمنعوه ما هو له، ولا يجعلوه كالعارفين .

وأما الإجازات، فحكمها أنها تصح لكل سالك، لكن ليس حكمها أن كل من أُجيز مُشَيَّخٌ، بل شيخوخة تبَرُّكٍ، إذ قد يجيزون شيوخ التبرك، ولكن القصد بها، معرفة السلسلة فقط، وصاحبها لا يصح أن يتصدر على مؤمن واحد .

وهذه الإجازة على قسمين: قسم يأذن له العارفون، ويجيزونه، ويأمرونه بتلقين الذكر، ويحث الإخوان، ويعمر الخلوات، ولا يدّعي، ويُعرِّف نفسه للناس دائماً، حتى لا يظنه أحد من أتباعه بغير ما عنده، لإخباره لهم بذلك أنهم إن فعلوا غير ذلك، فالله سائلهم لا محالة، وهؤلاء هم شيوخ التبرّك، الذين ذكرتهم آنفاً، وليسوا بشيوخ، وإنما هم إخوان ناصحون لإخوانهم، ولا ينبغي الترجمة لهم بالشيخوخة، وإنما يقال لهم خليفة فلان، أو نائبه أو نقيبه أو الخليفة أو النائب أو النقيب، فإن رأى الإخوان نسبوه إلى الولاية والإرشاد، وهم راكنون إلى ذلك، ولم يكثر الزجر عليهم في وسط

الملأ، والتشنيع والتبرّئ من أفعالهم، فأولى له أن ينقطع ويتركهم، ولا يتصدَّر عليهم، فإن فعل مع الرضا بما سبق، مُقِتَ وطُرِدَ .

والقسم الثاني من هذين، وذلك كعامة المؤمنين، أو أهل الفضل الذين لم يتمكنوا من أنفسهم، ولم يأذن لهم العارفون، الذين تحققوا بالإرشاد، فلا يصح لهم التصدُّر، على فرد من أفراد المؤمنين، وهذا هو المُجاز منهم في نفسه، غير المأذون له في إعطاء غيره، وهذا حال أغلب أهل الإجازات، فعميت بصائرهم، فجعلوا محض الإجازة إذناً وتصدّروا، والعجب كل العجب من قومٍ، جعلوها إرشاداً، والله ما ذلك إلا مقت وطرد وإبعاد، أسأل الله الحفظ لي ولإخواني من الإبعاد .

وأما الشيخوخة الأولى، التي هي الإرشاد والإمداد، فتلك ليست إذن وليّ ولا إجازته، بل هي إذنٌ من الله ورسوله، بعد تحصيل الشروط التي تقدم بعضها، ومِنَح الله ومنَّتُهُ .

فيا معشر إخواني، أسألكم بالعزيز المتين، والقوي المبين، أن تتقوا الله ولا تدَّعوا مقامات العارفين، فو الله إن إدّعاءها يوجب سوء الخاتمة، والطرد، يا مُحبُّون، اسمعوا، وأقيموا الميزان بالقسط، فقد تبينت حجة، إمَّا لكم أو عليكم بضبط .

وأما المرتبة الثالثة من الشيخوخة: فهي مشيخة القراءة، وهي على قسمين شيوخ قرآن، وشيوخ علم، وهؤلاء ينبغي أن ينصحوا أتباعهم، ويأمروهم بالتقوى، وتحقيق المقروء، وإتقانه، والعمل به من قرآن وكتب

الظاهر، وأما كتب القوم فأمرها إلى أهلها، ويحثهم على التعليم، ومجاهدة أنفسهم، حتى لا تألف التكبر، ويوصيهم بحسن الخُلق، ليقتدوا بإخوانهم .

وأما آداب أتباعهما لهما، فالمراعاة لهما، وتمييزهما على غيرهما من الإخوان، ويحفظوا لهما محل شيخوختهما، ويناصحوهما، ولا يمدحوهما بما ليس لهم .

وأما القاعدة الثانية: في حقوق الإخوان فيما بينهم، فذلك أن يعظموا كبيرهم، ويرحموا صغيرهم، ويتناصحوا، ويتحاببوا، ويتواصلوا، ومهما رأى أحد منهم أحداً، رد عليهم السلام، وتبسّم له، ويتساءلون عن أحوالهم، في أمر دينهم وصحتهم، ولا تفوت أيام قليلة، إلا وقد وصل كل أحد منهم، إلى أخيه، إما في بيته أو مسجد، ويتفقدون كل غائب منهم، فإن كان مريضاً، وبلغ زمن مرضه ثلاثة أيام؛ عادُوه، ولو كان عبداً أو ابن سبع سنين، ولا يجتمعوا في موضع ويتفرقوا، عن غير ذكر، قربة إلى الله ورسوله، هذا إذا كانوا في بلدة واحدةٍ، فإن تفرقوا كاتب بعضهم بعضاً، في كل أيام قليلة، وكل مكاتبة تكثر على حسب عظمته في عين إخوانه، ونصحه لهم، وتتضمن مكاتبتهم من حقوق الله ورسوله، وإلتزام حرمتها، والمحافظة على القرب، والتنشيط في الدين، هذا حق عامة الإخوان في الطريق فيما بينهم، وإعطاء كُلٍّ منزلته، من ذي حال ومن ذي تقوى، ومن مقدّم من عند شيخهم، وأمين، وملازم لحفظ الشيخ، كأبناء البيت مثلاً، ومعرفة حق المتقدم، في صحبة شيخهم، والمؤانس له، ومراعاة كل بإعطاء ماله . وأما الخاصة، كأهل

المجلس، عند الشيخ الملازمين، أو أهل مسجد واحد، عند خليفة من خلفاء الشيخ، فلا تمضي عليهم ثلاثة أيام، إلا وقد تفقد كل منهم صاحبه، إن بعد، وجالسه وناصحه وواكله، وجدّد معه محبة أخصّ من الأولى، وذاكره في الوقوف بين يدي المولى، وإتعاب السؤال ومشقته، وأعلمَ كُلٌّ صاحبه بالاعتماد على جزيل فضل ربه، وشفاعة نبيِّه، والثبات على ما كان الشيخ عليه، من أنواع القربات .

وأما الإخوان الخواص خواص الخواص، وهم المتآخون مثلاً، فحقوقهم أن لا يمضي عليهم يوم، إلا ويجتمعون فيه مع بعضهم، ويتذاكرون ويتناصحون، ويتساءلون عن أحوال بعضهم، من تيقظاتهم وغفلاتهم، ودنياهم وآخرتهم، فإن بعدوا أكثروا المكاتبات بينهم، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، ولو قيل لأحدهم: هل يموت فلان أو تموت أنت، لأختار موت نفسه عن أخيه .

فإذا وقعت بينكم معشر الإخوان المحبة، بمثل هذا، في هذه المراتب الثلاث، فأنتم في زمرة قومٍ، قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللّٰهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾، وإن لم تكونوا كذلك فأنتم في زمرة قومٍ، قال الله فيهم : ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ .

وأما القاعدة الثالثة: التي هي في الكلام على الطريق، وآدابها، فقد ذكرنا جلّ أحكامها في رسالتنا المسماة بـ"الهبات المقتبسة"، فمن ذلك أن الطرائق وإن تعددت عند المريدين، من شاذلية مثلاً ونقشبندية وقادرية،

وغير ذلك، فالمتقدم في الأساس منها ما أنت آخذه عن شيخ تربيتك، على طريق السلوك الآخر تبرّك، ولا تترك شيئاً من ذلك، وينبغي لِكُلٍّ الإكثار من الأذكار، والأوراد من الطريقة، التي أنت سالك بها، وإن كانت لشيخك هذا، كيفية توسلات وصلوات واستغاثات مرقومة، فعليك بها، لأنها من أشد ما يقوي لك المدد منه، واشتغل بمطالعة تآليفه وتصانيفه، في أيّ مُهِمٍ كان، فإن السرّ موضوعٌ فيها، وإن كنت من أهل التصدّر، فحثّ إخوانك على ما أنت عليه من ذكر، والله سبحانه وليّ النعم، واسع الفضل والجود والكرم .

هذا، واخبر الإخوان، أني قد نصحت لكم، وأنا مثلكم مُسيء مذنب، متعدّ مفتر مجترٍ، غير سالك لمسلك مقربه، فاتقوا الله، واتبعوني فيما تروني فيه مُتبعاً للأثر، وإيّاكم ومراعاتي فيما لا يصح به الخبر، فاتقوا الله أن تنسبوا إليّ، ما لست متحققاً به، وراقبوه في جميع أحوالكم، لتفوزوا ببرّه، وانظروا قوله ﷺ: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا) .

واعلموا أن الله سائلكم عن كل ما تفعلونه، حتى عنّي، فإما مثيبكم، أو معاقبكم، فاتقوا الله وأقيموا الوزن بالقسط عليَّ، وعلى أنفسكم، واحفظوا الحُرَم، ولا تتركوا ميراث إخوانكم هذا .

وأسأل الله أن يصلحني وإياكم، ويوفقني معكم لما يرضى، وأُوصيكم بالخوف من الله، والخوف هو خير، وأَختم هذه الرسالة بقول مدار الجلالة، صلّى الله عليه وآله وصحبه أُولي نعمته: (كُلُكُمْ رَاعٍ، وَكُل رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)، وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلّم .

١٢

منوال الطريقة الطاهرة النورانية

تأليف

السيد محمد عثمان الميرغني الختم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : خليفة الخلفاء أن يعطوه حظه، في التقدم عليهم، في جميع أمورهم، ويمتثلوا أمره ونهيه، ومن حق الخلفاء عليه، أن يجمعهم ويشاورهم، ولا يعمل أمراً إلا بمشورتهم، وإن حصل اختلاف في المجلس، في فهم المنوال يحكم بقول الأكثرين، ويستقروا عليه من غير نزاع، وإن استووا فخليفة الخلفاء يحكم بمقتضى نظره على خصمهم، وإن لم يتيسر حضور الخلفاء، يحكم خليفة الخلفاء بما يجده، ولا يكن للغائبين نزاع .

وأما خليفة البلد أو الناحية، فلا يخالفه أحد في أمره ونهيه، فإن خالفه منهم أحد، يُعلِم خليفة الخلفاء والخلفاء، ويحضرونه الجميع ويزجرونه، وإن كان له منصبٌ وأبى مطاوعتهم، يأخذوا منصبه، ويرموه ولا يحضروه معهم في شيء .

وأما الأمناء، فيفتقدون أهل المناصب كلهم: خليفة الخلفاء، والخلفاء كلهم في الأحكام، ومقيد الجميع إن حصل منهم تفاتر في دينهم وأمرهم، يخبرهم الأمناء، وإن تفاتروا يحكمهم الأمناء في أمر الدين فقط، وأما الحكم العامي فهو للحكّام .

وأما المقدم فمنواله أن يقدموه عليهم، في جميع أمورهم وترتيب الأمور، وتنزيل الضيوف، وأما ما يليق بالضيوف فيساعدونه، وإن كان من الضيوف قليل له، وإن كان كثيراً على الخلفاء .

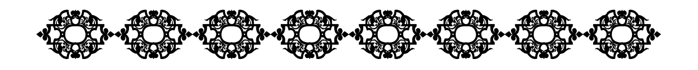
وأما النقيب فمنواله أن يكون ملازماً لخليفة الخلفاء، إن طلب جميع الخلفاء يرسله، وكان له التقدم مع الأمناء في أمر دينهم، ورواتبهم كافة الخلفاء، وترتيب مجلسهم، وتعديل صفوفهم .

وأما الحكّام فمنوالهم الحكم العامي، في كافة البلدان، حكم زواج أو قتال، أو تعدّ على شيء ما هو منوالهم .

وأما منوال الطريقة؛ فالتحابب فيما بينهم، والمزاورة في كل جمعة، والتفقد فيما بينهم من التغافل عن حضور الجماعة، وفي كل شهر آخر جمعة منه، يكون الراتب في الجامع من غير أن يتخلف أحد منهم، من كافة المحبين .

ومن المنوال؛ أن يتناصحوا، ولا يتحاسدوا، ويتفقد بعضهم بعضاً، في دينهم ودنياهم، وأن يمضوا أمر الحاكم عليهم، وأما خدم الجامع فعليهم كنسه وفرشه، القليل من عوجة الجامع يعد لها، والكثير من العوجة على الخلفاء الكثيرين، وأما خدام الهدايا فمنوالهم، أن يقدموا في أمورهم بكليتهم، ويساعدهم الخلفاء فيما يحتاجون إليه، وإن تفاتر منهم أحد من خدمته؛ يعزله الخلفاء ويولوا غيره .

وصلّى الله على سيدنا محمد ،وعلى آله وصحبه بقدر عظمة ذاتك، يا أحد . تمّ، والحمد لله، أولاً وآخراً .



بسم الله الرحمن الرحيم

به الإعانة بدءاً وختماً، وصلى الله على سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسماً

وبعد، فيقول رق مولاه الغني، محمد عثمان الميرغني، الراجي من وهب مولاه فيضه الأعذب الهني، هذا ترتيب الأستاذ الأكبر الجد، في طريقته الختمية، الطاهرة النورانية، أردت أن أوضحه لإخواننا الصادقين، وأخلائنا الأخلصين، ليتمثلوا به ويقوموا بوفائه، ويعملوا به ظاهراً وباطناً، ويواظبوا عليه، حتى يحوزوا سواطع أنواره، ولوامع أسراره، و يتحققوا بما وضع إليه .

وذلك، أن خليفة الخلفاء هو كبير الإخوان كلهم، من خلفاء وأمناء ونقباء ومقدمين، في مناصبهم تدور به وتنهل عليه، وأمرهم كله راجع إليه، وهو صاحب التقدمة المطلقة فيهم، في الصلاة والراتب، والمولد والأذكار، وغير ذلك، من الأمور الدينية والدنيوية، المنطوية بالطريقة .

ومن بعده النائب عن خليفة الخلفاء، فهو الذي يقوم مقامه إذا غاب، أو مرض، أو حصل له عذر، في كل ما ذكر .

ومن بعده النائب العام، على جميع الإخوان، ووظيفته النظر في حالة الإخوان، من خليفة الخلفاء إلى أدناهم، وإذا حصل من أحدهم مغايرة، ينهاهم ويلزمهم الطريقة المثلى، ولو خليفة الخلفاء نفسه، وإذا حصل

خلاف بين الإخوان، يصلح ذات بينهم، ويزيل ما بينهم من الشقاق والخلاف، وإن صعب الأمر عليه، يكاتبنا ويعرفنا بذلك .

وفي كل محل، يكون مع الخليفة واحد نقيب ومقدم، فالنقيب وظيفته الحث على الأذكار، وتنبيه الإخوان على ذلك، وتعديل الصفوف في الصلاة، وما أشبه ذلك، فكل محل من محلات الإخوان يكون فيه واحد نقيب ومقدم، وكل واحد منهم يقوم بوظيفته على الوفاء والكمال، ويلزم الإخوان أن يمتثلوا لهما، فيما هو منوط بوظيفتهم .

وملاك الأمر الذي عليه المدار، هو تقوى الله تعالى في السر والعلانية، وكثرة ذكره بالقلب واللسان، فبذلك تتنزل البركات، وتفتح من سماء العلو سحائب الرحمات .

فالوصية لكل خليفة، وصاحب وظيفة، وكل فرد من الإخوان، بتقوى الله، والله المستعان، تولّاني الله وإياكم الجميع بكمال التوفيق، وأخذ بناصيتنا إلى طريقه المستقيم، وصلّى الله على سيدنا محمد، صاحب المجد الأعظم، والمنهج الأقوم، وآله الطيبين الطاهرين، وسلّم تسليماً إلى يوم الدين، آمين.

١٣

الوصية الحاوية للدرر المهداة للسالكين في بعض تهاذيب الواصلين

تأليف

للسيد محمد عثمان الميرغني الختم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم

الحمد لله الموصي لعباده، بما يوصلهم لوداده، والجاعل منهم الوصاية نافعة للقلوب، لكونهم خلفائه وللمحبوب، عليه الصلاة السلام، ما وصّى عظيم، وآله وصحبه بلزوم الطريق القويم .

(أما بعد)، فيظهر وصية المحب في الديّان، ختم أهل العرفان، الميرغني محمد عثمان، ابن السيد محمد أبي بكر، كان الله للجميع غافر، للمحب في الله الكبير، الشيخ عمر بن أحمد باوزير، بعد أن سألني فاعتذرت إليه، فلم يعذرني، فوصيته رجاء أن يفيض الله عليه، وسميتها: (الوصية الحاوية للدرر ،المهداة للسالكين، في بعض تهاذيب الواصلين) .

فأقول: إن الوصيّة أول أمرها من الله، وذلك في قوله تعالى: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللهَ)، وكذلك سنن الأنبياء والمرسلين، كقول الله تعالى حاكياً عن سيدنا إبراهيم، الحرز الرصين: (وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)، فتكرر عن جملة منهم كاملون .

وأما الوصايات في السنة، فأكبر من أن يحاط بها ولله المنة، فمن أعظم ما هنالك، ما وصّى به النبي صلى الله عليه وآله وصحبه، حبر الأمة، سيدي عبد الله بن عباس، وكلامه للجميع، عما قوله ﷺ: (يا غلام، احفظ الله

يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك)، إلى أن قال: (جفت الأقلام، وطويت الصحف، بما هو كائن إلى يوم القيامة)، أو كما قال .

وقد صدر مثل طلب هذا، المريد لبعض العارفين وصية، فأجابه بذلك، فاقتديت بهؤلاء الكاملين، فأقول:

أولاً، عليك يا ولدي بالتقوى، التي فيها الحلوى، وعليها مبنى الطريق، ولها الله عظّم، وأحبابه أهل التصديق، فقال: (واتقوا الله ويعلمكم الله)، وقال: (فاتقوا الله ما استطعتم)، وقال في عظمة المعية الجلية، حظ الواصلين: (إن الله مع المتقين) .

واعلم أن التقوى يا ولدي، هي حفظ كل منزلة، وإعطاؤها حقها، من عالم الظهور والبطون، فاعلمه وهذه حقيقة التقوى، واعظم، نسأل رافع البلوى .

وعليك يا ولدي بتصحيح عقيدتك، وأن لا يكون فيها شيء، لتعلى سيرتك، وذلك بأن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر شره وخيره، حلوه ومره، والاسلام مع تقاييده، كالشهادة والصلاة، والزكاة والصوم، والحج بالاستطاعة، فالإيمان بالله والاسلام رتبتان، وهما مرتبطان، والإحسان مظهر الشهود، والاستحضار للمقصود .

وعليك يا ولدي بطلب العناية، فإنها رأس الرعاية، والمتحصلة له خير، وقد أنشدت فيها بيت شعر:

المــرتقي بعنايــة لا يُرتَــقى مرقــاه   بالجهــــــد العظــــيم فســــلّم

وقال الجد، سيدي عبد الله الميرغنيّ، في هذا المعنى السنيّ، شعر:

غيابات العنايات حوت كل الرعيات   وخصـت ثم عمـت فيهـات وهيهـات

وعليك يا ولدي بلزوم الذكر، فإنه جلاء البصيرة، وبه العبد يبصر، ولم يعذر فيه الحق، لما أودع فيه من النور والحكمة، قال الله تعالى: (فَاذْكُرُوا اللّٰهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ)، وقال صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم، ما مريد سلك: (الذين ألسنتهم رطبة من ذكر الله، يدخل أحدهم الجنة، وهو يضحك)، وقلت في قصيدتنا السرّ الظاهر، في هذا المعنى، وهي بائية، نحو ثلاثمائة وبضع، في السلوك والإدناء، شعر:

ولازم لــذكرٍ عــلّ تنقــل مــن إلى   أنا أعـني غيبـة مـع حضـور ففـاز بي

وعليك يا ولدي بالحمد للحقّ، لكونه أهلاً، وعلى النعم لتسبق، فمن أمر الله: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ)، ومن السنة قول رسول الله الأمين: (الحمد لله رب العالمين)، ومن ذلك ما أوصينا به عند ورود مبشرة لمحبنا، ونبينا أحمد صاحب النيابة، الملقب منا على سبيل التورية، شعر:

أحمــد صــاحب النيابــة ابــني   ومقــدم أمــري فلله أحمــد

ذا بإرشـاد حـب خـير مقـرب   يا خلـيلي فقـل له أنـت أحمـد

وعليك يا ولدي بالشكر للعظيم، واحفظ رتبة شكر الوسائط لا تهيم، ففي هذا الموضع، غاب كثير من الصالحين، حتى عائشة بقولها: (والله لا أشكر إلا الله)، لورودها ذلك المورد الموجب للتحزين . فأشار الله تنل المزيد، بمعرفة بحمل جمعكم، وأشار العظيم لذلك بقوله: (لئن شكرتم لأزيدنكم)، فمن شكر على غذاء الروح، زاده منه، ومن فعل لأجل مواد أخربها أكرمنه . وأما شكر الوسائط، فقد جاء عن من له الكمال حائط، وهو قوله: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)، وإلى ذلك أشرنا في قصيدتنا المتقدم ذكرها، مع الإيناس بقولنا، شعر:

ولا يشكر الرحمن من لا يكون ذا   بشاكر هذا الناس فافهم لذا الخبي

وأما شكر الزود، فقد أشرنا إليه في كتابنا الرسالة القدسية، التي لم ينلها أحد من الأولياء الأحمدية، وهو كتاب لم يؤلف مثله، إلا الفتوحات المكية لابن العربي، بشاهدة من له معرفة قوية، بقولنا فيه في موقف الشكر، بعض أبيات منها:

شـكرنا لله جـلَّ يزدنا منـه فضـلاً   فاشكر الله تعالى يهبنكم منه أجلا

وعليك يا ولدي بالصبر والزهد، والورع والتوكل والمحبة، فالصبر فيه الترقيات، التي نالها الكاملون، وبذا أمر الحق، وهو قوله: (يا أيها الذين

آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)، وعظمته أومأ إليها الرسول الأعلى، بقوله: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى)، وأشرنا إلى ذلك في قصيدتنا المذكورة، بقولنا: واصبر، ففي الصبر الجميل لقد حبي .

والزهد جمعه رسول الله بقوله: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما أيدي الناس يحبك الناس)، والزهد فيما سوى القديم، هو شأن أهل التعظيم، والورع اتقاء ما فيه تورية، والتوكل يكفيك ما تعلمه قول النبيّ صلّى الله وسلّم وصحبه الأمناء: (لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً) .

والورع إليه الإشارة، بقول المرسول صلّى الله عليه وآله: (من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه)، وهو مقام عظيم، وله شأن فخيم .

وأما المحبة، فهي أصل طريقتنا، وأساس بيتنا، وعليها يدور الحال، وإليها تركز سائر الأحوال، فأصلها من الكتاب، قول الله آمراً لرسوله: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)، والحُب في الله من السنة فيه كفاية كما نعلمه، وهي مع المؤمنين، وحظها الكامل للعارفين، الموجب لكمال التعيين، وإليه أومأ الحق في الحديث القدسي، وهو الشأن العظيم فَارْسِي: (المتحابون في جلالي، على كراسي من نور، يغبطهم الأنبياء والشهداء)، واعلم أن المحبة لأهل الله، هي المشار إلى عظمتها، وفيه أودع الله بركتها، وتحقيقها أن لا تقف عند كون، ولا ترتمي لدالّون، بل تظهر الجد والتشمير،

وقد أشرنا لذلك في ديواننا "المباسطات البهية" يا فخير، وهو خالص في الحضرة الإلهية، بقولنا ابتداء قصيدة منها ضوية، شعر:

الأقوم ذا إن رمت تحظى بنوره وشمّر لأكام تطيح بكونه

فإيّاك يا ولدي، من الميل للسوى، فإن المحبة لا تكون إلا لمن له الروى.

وأوصيك بالعزلة، والخلوة عن الخلق، والصمت والسهر للحق، بمن أنزلوا في الحضاير، ونالوا من الله الحظ الوافر، فالعزلة والخلوة شأنهما متقاربان، فافهمه، وإلى الجميع الآي في القرآن الكريم، بأنهما بهما يحصل خير عظيم، منها جواباً لزكرياء ولنا كنزاً: (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً)، ومن السنة المأثورة؛ اختلاؤه صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم، في غار حراء، فذلك أعظم دليلاً بلا امتراء، وأما الصالحون فقد أعظموا فيه الكلام، وأطالوا في الاجتماع بالناس، وما فيه من ملام، فمن ذلك قول بعضهم في أن الولاية مبنى بيتها على ما تفهم، وهو قوله شعر:

بيت الولاية قل لمن عنه يسأل سهرٌ وجوعٌ عزلةٌ صمتٌ كمل

ومن ذلك قول الجدّ، في حكمه، كان لي وله الفرد، شعر:

رأيت اعتزال الناس جميع الورى يحيني حتماً على العاقل

ففيه السلامة إن رمتها وفيه ارتياح من العاجل

والصمت والسهر، يكفي فيهما البيت المتقدم، الذي قال بني بيت الولاية، على ذلك البيت المعظم .

وعليك يا ولدي بمجاهدة نفسك، وادفعها عن حب الرياسة، والجاه المهلك، فإنها رأس البلايا والشر، وعنها يبرز للدين الضر، وقد قال الله في هذا المعنى، ليفقه عباده: (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه)، وأومى سيد المرسلين عليه وآله الصلاة وصحبه، بقوله: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، وقلنا إيماءاً لذلك في رسالتنا المسماة بـ"الفتح المبروك، في كثير من آداب السلوك)، شعر:

فإن جاهدت نفسك صرت فرداً   وترقى من أمارتها للوم
وزد يا خلي نزدد لك طمآنا   فراضية ومرضية أقوم

فهذه جمعت النفس بمراتبها، وهي بيتين نفيسين، كما يعلمها حاكمها، وأما حب الرياسة والجاه، فهما من أعظم الموذيات، والله قد اشتغل بها كثير ممن ينسب إلى الطريق، لعدم نيله التحقيق، وقد نهينا عن ذلك، في كتابنا الذي هو مسمى بـ"الفيض الممتد من سيد الأتقياء، فيمن اجتمعنا به من الأولياء"، شعر:

ألا أيها المتوجهون دعوكم من الكذب   والبهتان مع ذي الرياسة
لقد بعتم هذا الطريق بحبكم   رياسة دنياكم فهذا التباسة

فاخشى يا ولدي، من هذه البلوى، وتوقّ من شر الدعوى، وقد قلت في رسالتنا المسماة تعليقاً على صلاتنا مظهر الرسول الأمين، بفيض الله الغني، الملقى على محمد عثمان الميرغني، شعر:

أيا ميرغني كم ذا الدعاوي والزور يا هذا الهواوي
قد شاع أنك صالح والحال ضد بالمساوي

وعليك يا ولدي بصلة الأرحام، فإنها في طريقنا رأس النظام، وهي شجنة من الرحمن، تعلقت بالعرش، فالإحسان إليهم أعظم من غيرهم، فإن الصدقة عليهم صدقة وصلة، وعلى غيرهم صدقة، كما جاء بذلك الأحاديث الحسنة .

وببر الوالدين، لأنه رأس الباب، والعاق لا يدخل الجنة عن عالي، وأي بالمعنى، ونسأل الله أن يعيننا .

وعليك يا ولدي بعتاب النفس والرجوع، والتوبة، وعامل الذنوب عنها بالقلوع، فإن الله قال :(يحب التوابين)، الجناب عليه وصحبه والسلام من الوهاب، وقال النبيّ صلّى الله عليه وصحبه، وآله الفائزين: (الندم توبة)، وله إقامة مكتوبة .

واشغل نفسك بالعتاب، يا ولدي، والتضرع للفرد، كقولنا في ديواننا "الياقوت السمح"، في القصائد التي قبل الفتح، بيتين، كان الله لنا بكشف الرّين:

عمر تقضى يا سيدي بالخبث لألي مزيل
نعم لي المرجعى إليك أنعم بها ياذا الجليل

فإذا عودت نفسك التنزل، والإتكاء عليها، إلا نطلب النحيل لأن الكبر رأس الجنون، لإنه إدعاء ما ليس للإنسان يامحزون .

واتق كثرة الضحك، فإنه يميت القلب، فابْكِ فإن البكاء صفة المتقين، فقطرة من دموع، مع شدة خشوع، تعدل قطره دم في الجهاد، (وإن ربك لبالمرصاد)، لا تخفي عليه خافية، فعلى قدرها يكون الجزاء، فاعلمه فإن مثقال الذرة مضبوط، وفعّال الخير في الدارين مغبوط، فإن كانت مع خشوع عظيم، حصلت الرتبة، وإلا فالأجر عليه حسب ما تهيم .

وعليك يا ولدي بالتسلم لأهل الله، فإن الأدلة لديهم، والعلم المكنون خصّ كلاّ منهم به مولاه، وقد خبّر خير أحباب الله عليه، وآله صحبه الصلاة والسلام بقدر عظمة ما الله تولاه، بقوله: (إن من العلم كهيئة المخزون، لا يناله إلا أهل العزة بالله)، وقال الحبيب الحدّاد، سيدي عبد الله، عليه توالى الإمداد، شعر:

وسلّم لأهل الله في كل مشكل لديك لديهم واضح بالأدلة

وقلنا في المعنى، في قصيدتنا المتقدم ذكرها، نفع الله بها، شعر:

وما جاء عن أهل الولاية سلمن لهم فلديهم الأدلة تصحبي

وعليك ياولدي بالمحبة الكاملة، للرسول الجليل، لتنال كمال التفضيل، عليه وآله صحبه السلام، ما ظهر التكميل، رسول الحضرة الأحمدية البسطية، فمنها في ترقيك تعطى القوة البهية، وفي هذه الحضرة أنشدنا في ديواننا المسمى بـ"الكوثر المحمود"، وهو خاص بحضرة الرسول المقصود، بقولنا شعر مطلع قصيدة:

في الحضرة التي مبدأها تباسطنا إقامتي وهي حضرة بسط لحمدنا

وقال لعمر لما قال له: (أحب إليَّ حتى من نفسي)، (الآن تم إيمانك)، فاعرف هذه الرتبة، وامسك .

وعليك بحب أهل البيت، فإنهم سفينة النجاة، رويت هذا الحديث متضمن، ونسأل الله كمال المنن، وقد قال بعض الصالحين، في شأنهم كان لي وله المبين، شعر:

يا بني الزهراء والنور الذي ظن موسى أنه نار قبس
لا يوالي الدهر من عاداكم إنه آخر سطر في عبس

وعليك يا ولدي بحفظ رتبة الأصحاب، فإنهم أعظم باب، وفيهم يقول سيد المرسلين، وإنهم بهم ظهر التمكين، عليه وآله أفضل الصلاة والتسليم، بقوله: (أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

واعلم يا ولدي أن الغنى بالله لا بالأموال، وأن المال الحقيقي الغنى بالكبير المتعال، وفيه قلنا في مجموعنا المسمى بـ"الطلسم الجامع" ، جلّ من حقائق مظاهر أسماء الله، في الغيب والشهادة، كما يعرف أحباب الله، في بعض تصادير كلام سيدي محي الدين بن العربي، كان لي وله المعين، فالصدر له، والعجز لنا من البيت، وهو شعر:

بالمال ينقاد كل صعب   وهو الغنى بالعلي منا

وعليك يا ولدي بالاستغفار، على مد الآصال والأبكار، فقد كان من لا يغفل عن المبين، يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين .

واشتغل بالصلاة عليه يا ولدي، ولا سيما بصلواتي، فإنها من سرّ خلواتي، وهي رسالتنا المسماة بـ"الجواهر المستظهرة من الكنوز العلية" والمتراكمة، وبالحمد الذي أظهره الحق علي لساني، وبأدعيتنا كدعاء الكنه ذو المعاني .

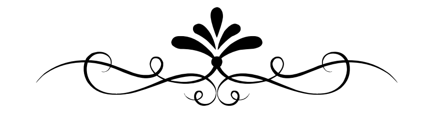
وعليك يا ولدي بالمراقبة، وحفظ الأوقات، حتى تنل الخير في الحياة وبعد الممات .

وأوصيك يا ولدي، بكثرة تلاوة القرءان، مع التأمل والإتقان، والوقوف على رأس كل آية، والتدبر مع الإستعاذة عند آيات العذاب، وسؤال الرحمة عند آياتها، ونسأل الله العناية به وبها .

وعليك يا ولدي، بالحساب على الكلام، حتى لا تنطق بكلمة يخل عليك النظام، فقد جاء عن من له الكمال صفا، عليه وآله وصحبه السلام ما برق رفرفا: (إن الرجل يتكلم بالكلمة لا يبالي بها تهوي به سبعين خريفاً) .

وأوصيك، بأن تختم مجلسك دائماً، بما أختم به الوصية، وهو مروي عن خير البرية، وبه ختمنا رسالتنا المسماة بـ"المشارب اللدنية على الصلاة الميرغنية"، وهو: سُبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

وصلِّ اللّهم على النبيّ وآله وصحبه من لهم كملّت، وألحقني بهم، يا من لأحبابك عظمّت آمين، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.



١٤

النفحات المكية واللمحات الحقيقية في شرح أساس الطريقة الختمية

تأليف
السيد محمد عثمان الميرغني الختم

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

به الإعانة بدءاً وختماً، وصلّى الله على سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسماً

لك الحمد يا مفيض الفيضان، على عبادك الطالبين لكمال الإيقان، ولك الشكر، يا ممداً في الأوراد بالواردات، لمن تعرّض بحضوره لها، ولكمال الهبات، والصلاة والسلام على من بشّر القائمين فيها، بأعلى الدرجات، ونيل ذلك في الحياة وبعد الممات.

(وبعد)، يقول أبو عبد الله وجعفر، محمد عثمان المكي الختم الميرغني، كان له البرّ: قد كان في الغابر، طلب مني بعض الإخوان الأصاغر والأكابر، وضع عجالة على أساسنا المعلوم، فأجبتهم ونظرت الإذن المحتوم، حتى كان يوم الجمعة، يوم ثلاثة وعشرين من رجب، الذي فيه الأنوار تنصب، كنت في قراءة المولد لحضر صاحبه ﷺ، ومعه جمع من أهل منصبه، فبشرّني أن عشرة من الذرية، يكونون ورثة الكبار من الذروة النبوية، منهم الثمانية الظاهرون له في السموات في المعراج، ونوح والمرقى لكلّ في علوّ الأدراج، وألف من الصحب يكونون في الجوار، في أعلى الجنان مع الأنبياء، من جواره، وذلك أكبر امتنان، وأشار بأمورٍ، وكان هذا العام رجبنا معمور، ووقع في الجمعة التي قبلها من المدد، مع حضور البرنامج، للكمالات ما أسكر

أهل الكون من السلك والمناهج، وفي العام الذي قبله، كانت مِنّة عظيمة علينا، أدامها الله مع الشيخ، وذلك أن ابنيّ عبد الله المحجوب وجعفراً الصادق، صليا بنا التراويح في رمضان بالختمة، وكان عُمْر المحجوب إذ ذاك اثنتي عشر سنة، وجعفر الصادق إحدى عشرة سنة، جعلهما الله قرّة عين لنا وأبقاهما، وهداهما طريقه الخاصّ وهدى بهما، وهما رأس البشارة السابقة، كتب الله لنا ولهم، ولجميع المحبين والمسلمين، حسن السابقة واللاحقة .

ولما وقع الإذن، أخذت في رسم هذه الرسالة، مُسمياً لها: (النفحات المكية واللمحات الحقية، في شرح أساس الطريقة الختمية)، نفع الله به وبأصله، وجعلنا من أهل وصله .

اعلموا معاشر الإخوان السالكين، سبيل الرحمن، أنه لما هبّت نفحات العناية، لهذا العبد كثير الجناية، من الصغر قبل البلوغ والتكليف، علق الله الهمة بطريق أهل الولاية والتصريف، وذلك مع تحصيل بعض علوم الرسوم، حتى لا يكون في الفؤاد حسرة، على ما هو لأهله مقسوم، وكان أول دالّ لي على هذه الطريقة الشريف (الشيخ أحمد بناه المكي) رحمه اللطيف، وكان مستوراً، فأخذت عنه الطريقة النقشبندية، وظهرت لي بعض أسرارها العلية، فحصلت لي رؤية النبي ﷺ، في بعض عشر ليال مناماً .

ثم اجتمعت بالعارف بالله العابد، سيدي (الشيخ سعيد العامودي)، العاكف على الصلاة على النبي المختار، لاسيما بدلائل الخيرات، وكان يقرؤها كل يوم مراراً، وكانت عليه الأنوار تلوح، والأسرار منه تفوح، فأخذت عنه الطريقة النقشبندية أيضاً، واستكملت على يده أنوار وظائفها البهية، وتنوّرت بصيرتي، وكانت تعتريني بعض الأحوال، غير أنها ليست بذات اتصال .

ورأيت مرّة، وأنا أراقب كأنه خرج مني نور، ملأ الأفق، فذكرت ذلك له، فقال لي: إن شاء الله مددك يعمّ ويرقى، وكثر اجتماعي بالمصطفى ﷺ في أكثر الأوقات، وذلك مناماً ليلاً ونهاراً مع مبشرات، ثم أخذت عنه الطريقة الشاذلية والقادرية، والدلائل والدور الأعلى لابن عربي، ذي المعارف العلية، وحزب الشاذلي الكبير: حزب البر، وغير ذلك مما منَّ به البرّ .

ثم إني رأيت ليلة كأني خارج من بيتٍ، كان لنا بباب إبراهيم، وكأني طالب الكعبة المعظمة، ورأيت النبي ﷺ راجعاً منها، مقابلاً لباب إبراهيم ذي الأسرار المفخمة، فتلقيته في نصف ممشى الباب المذكور، وفي صبح تلك الليلة، واجهت في نصف المشى المذكور، رجلاً على الصورة التي رأيت فيها المصطفى، فقلت: إن ذلك الرجل من أهل الإصطفا، فسلّمت عليه، وتعرّفت به، فإذا هو من خاصة أولياء ربه، وعرف أمري، فطلبت منه أوراداً وأذكاراً، فأذن لي في طريقته، وهي النقشبندية ذات الأسرار،

فصرت أجتمع به في بعض الأوقات، ويحصل لي منه بعض إمدادات، فجئت إليه ليلة، فوجدته جالساً أمام مقام الحنفي، عند أسطوانة من الأسطوانات الصغار، وباح بسرٍّ خفيّ، فتناول دورقاً فيه ماء زمزم، فشرب منه وناولنيه، فارتويت منه، فرأيت في ذلك الحين الأرض وما فيها، وكشف لي عن الناس، وبعض الموتى وما تحويها، وامتدّ معي ذلك الكشف، إلى صلاة الصبح، وعدت إلى الحجاب، فأخبرته به وبالفتح .

ثم صرت أتردّد عليه، في تلك الأيام، فقال لي: إن تتميم أمرك على يد السيد أحمد ابن إدريس الإمام، وكان ذلك ابتداء اجتماعي في تلك الأيام، بأستاذنا ذي التقديس، مولانا العارف بالله، السيد أحمد ابن إدريس، وصار على يده ما فتح الله به، كما سيأتي عن قريب إن شاء الله تعالى، الملك المجيب، ثم توجه إلى الهند بعد ذلك هذا السيد المذكور، واسمه (أحمد بن عبد الكريم الأزبكي)، عليه لواء الولاية منشور .

ثم رجع بعض مضيّ بعض سنين، إلى مكة المشرّفة، في العام الذي فتح الله عليّ فيه، بالأسرار والمعرفة، فكنت إذ ذاك معتكفاً في البيت، لا أخرج إلا للجُمع، فيسأل عني، فيخبر بأحوالي والسطعة، فأتى إليّ فرأى حالي وما لديّ، ففرح به، وما فتح الله به عليّ، وكان هو ممن انتهى في ترقيه إلى كشف السماء الثانية، فأخبرته بأحواله، فوافق وهو عين أحواله العالية .

واجتمعت بالعارف بالله، الولي العالم العامل، مفتي زبيد، الأهدلي، سيدي ومولاي، (السيد عبد الرحمن بن سليمان)، وأخذت منه بعض

الأوراد بفضل المنّان، وقال لي: أنت وقفت على الطريقة الميرغنية، طريقة جدك السيد عبد الله البهية، وهي جلاء البصيرة، بكثرة رؤية سيد الوجود، وحالك كالسراج الخالص، لا يحتاج إلى وقود، ودلّني على مرشدي، سيدي السيد أحمد بن إدريس، وقال لي: إنه يحصل لك منه، مدد نفيس .

وكان هذا السيد، يعتني بي، ويحبني كثيراً، ويقول لوالدي، ما معناه: أنه يجئ منه خيرٌ كثيرٌ، وجمع بيني وبين أستاذي المذكور، وصحبته وفتح الله لي على يده، غمر الله ضريحه بالنور، وسيأتي ذلك مبسوطاً، إن شاء الله تعالى، عند ذكر اسمه في السند، ومن الله أطلب لي، ولجميع أحبابي وأولادي، كمال المدد، فأقول:

اعلم أن طريقتنا هذه، مجتمعة من خمسة أحرف، رمزها: (نقش جم)، تنقش في الفؤاد التصوف جمّ، فالنون: نقشبندية، والقاف: قادرية، والشين: شاذلية، والجيم: جنيدية، والميم: ميرغنية، وهي محتوية على أسرار هذه الخمسة الطرق، وبعض أورادها، لكن الأكثر هو من النقشبندية وأمدادها، ولهذا اعتمدنا في إجازاتنا على ذكر أسانيدها، ومع ذلك فلنا في جميع تراتيبنا إذن من الحضرتين، وتلقٍّ من الوجهتين، ومن أكابر أهل كلّ طريق أخذناها، باطناً وظاهراً أمره، واستمددنا من أقطابها سرّه وجهره، وجعلنا المجموع مسماة: (بالطريقة الختمية)، لأن مشربها من أساسنا الخاصّ، ذي الأسرار المحمدية .

وها نحن نذكر سند السادة النقشبندية، لأن أساسنا أكثره على مناويلها البهية، لأن نصف أذكارها بالقلب، والنصف باللسان، وكان الأمر في بعض الأحيان، على هذا البيان، كما سيأتي في ترجمة سيدي بهاء الدين النقشبندي، ثم من بعده صار أغلب السلوك على الأذكار القلبية، فنحن أحببنا إحياء النهجين، من جمع بركات الطريقتين، السنتين، اللتين هما القادرية والشاذلية، فإن أذكارهما باللسان، والعمل في كلِّ ذلك على حضور الجَنان، فأقول:

أولاً، أخذنا الطريقة النقشبندية، عن (سيدي أحمد بن محمد بناه الصائغ)، وكان مستور الحال من أهل مكة، وكانت بصيرته مجلية، وله بعض رؤيا نبوية وأسرار علية .

ثم أخذناها عن العارف بالله، (سيدي الشيخ سعيد العمودي)، المكي ساكن أبي قبيس، ولهم به زاوية باسم جدّهم، تَمّ على التقوى تأسيسه، وكنت أتردّد إليه كل يوم صباحاً ومساءً، لحضور المراقبة عنده، وحصل لي بذلك ارتقاء، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصوم الدهر، كصيام سيدنا داود، وربما والى الصوم، كريم الفروع والجدود .

وكُلٌّ من الشيخ أحمد بناه، والشيخ سعيد المذكور، أخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ العارف بالله، من هو في السرّ مغمور، ولي الله سيدي، (الشيخ عبد القادر الهندي)، وكان له في الولاية قدم، به إلى الله إلى الله يهدي، وذكر لي الشيخ أحمد بناه، أن هذا الوليّ كان إذا خلت يده

من الدنيا، يأتي إليه ويأمره بقطعة رصاص، فيجعلها في بوطة، ويحمي عليها فيها، وكان الشيخ أحمد صائغاً، قال: فيخرج الشيخ عبد القادر من رأسه قرطاساً، فيه شيء أبيض، فيضعه على ذلك الرصاص، بعد ذوبانه، ويصبه فيخرج سبيكة من ذهب، فيتصرّف بها، وكان يفعل ذلك مراراً .

وأخذنا الطريقة النقشبندية أيضاً، عن شيخنا العارف بالله (سيدي أحمد بن إدريس)، وهو ولد بالمغرب، في أواخر القرن الثاني عشر، بقرية يقال لها القارة، من أعمال فاس، وهو شريف إدريسي، أخذ العلم ببلدة فاس، وكان له مهارة في علوم الظاهر، أخذها عن جملة علماء: منهم سيدي العارف بالله، الجامع بين الشريعة والحقيقة، (سيدي محمد المجيدري)، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية، والحزب السيفي، وأخذه عن قطب الجان (سيدي محمد الغفوي)، وهو عن (سيدي عليّ بن أبي طالب)، كرّم الله وجهه، وأخذ الحقير الحزب المذكور، عن سيدي أحمد، وعن الغفوي، وعن سيدنا عليّ .

وأخذت عن السيد أحمد أيضاً، الطريقة الشاذلية، وأخذ الطريقة الشاذلية، سيدي أحمد عن شيخ إرشاده وتربيته، (سيدي عبد الوهاب التازّي)، وكان هو غوث وقته، صحبه سيدي أحمد أربع سنوات، ففتح الله عليه، وألحقه بمن عنده، وكان فتح سيدي السيد أحمد، عام ولادتي، بل يوم فتحه يوم ولادتي، وما توفي سيدي عبد الوهاب التازي، إلا وقد صار سيدي أحمد من أهل الأحوال العظيمة، لأنه ذكر لي أنه شاهد النبيّ ﷺ

يقظة، يوم وفاة سيدي عبد الوهاب، ثم قال لي: نظرت إلى أكبر من كان من الأولياء في المغرب، فكان (سيدي أبو القاسم الوزير)، وكان من الأفراد، وكان يقول: أنا لا أحس بحركة الكون، من عرشه إلى فرشه، إلا كحركة البعوضة، وذلك لغيبته في الله، وكان صحبةُ سيدي أحمد له، أربع سنوات .

قال: كنت أتردّد عليه، كل يوم صباحاً ومساءً، في المدّة المذكورة، أجلس عند باب داره، فإن خرج إلينا، يخبرنا بما لاح في ضميرنا، أو دخل إنسان إليه فيخبره، بما لاح في ضميره وسرّه، ونحن في مكاننا، أو خرج أحد من عنده، فرآنا فعاد فيخبره، فيخرج إلينا، ويتكلم معنا، في بعض أسرار القوم، ومقاماتهم، وإن لم يخرج إلينا، عدنا إلي مكاننا، ويقول: المعاملة مع الله تعالى، فانظر إلى حسن هذه الآداب، وحال القوم مع مشايخهم .

قال سيدي أحمد: وكان في يوم من أيام اجتماعي، بالشيخ المذكور، أن قال لي: يا أحمد كان لي صاحب من الأبدال من السودان، فجاءني ليلة بالخطوة، فقال: اخرج معي خارج البلد، فخرجت معه، فقال لي: اجلس هنا، وذهب وغاب عني، إلى آخر الليل، وقال لي: يا فلان، إنه سيظهر هنا قريباً، رجلٌ اسمه أحمد بن إدريس، طالب علم، وأنا ألقي إليك علوماً، فأخبره بها إذا جاءك .

قال سيدي أحمد: لما أخبرني بذلك، قلت له: هل تأذن لي أن أخبركم بذلك، قبل أن تكلمني ؟ قال: أذنت لك، قال: قال سيدي أحمد: فقلت له كذا وكذا، إلى آخر تلك الأسرار، فقال لي: هي، ما تركت منها شيئاً .

ثم توجه سيدي أحمد إلى الحجاز، وجاور بمكة مدّة سنوات، من عام إحدى عشر، إلى عام ثمانية وعشرين، من القرن الثاني عشر، وفي هذه المدّة صحبته وفتح الله عليّ، ثم توجه إلى الصعيد، من إقليم مصر، وأقام بها نحو ست سنوات، أو سبعاً، بقرية يقال لها الزينية، ثم عاد إلى مكة، وأقام بها إلى عام ثلاث وأربعين، ثم توجه إلى اليمن، وأقام بها عشر سنوات، وتوفي بقرية، يقال لها صبية، عام ثلاث وخمسين، ليلة السبت، الثاني والعشرين من شهر رجب، وتولى الغوثية، وفي رأسها مات، وكان أوحد وقته، علماً وحالاً، لم أرَ في وقتي مثله، مع أني رأيت جملة أغواث أقطاب، منهم: سيدي عبد الله القندقلي، وسيدي أحمد أبو الربيع، وسيدي محمد جامع، وآخر، وسيدي عبد الله المتولي الآن، فما رأيت في هؤلاء مثله أحداً، في المعرفة ولا في سعة الحال، وصون الوقت، وعلوّ الهمة، ولا في غيرهم من كبار الأفراد، الذين رأيتهم .

ولقد رأيته، في أواخر مدّة إقامته بمكة، يوماً جالس بجانب باب الباسطية، من المسجد الحرام، ونظرت في عظم حاله، والأنوار التي كانت عليه، فكنت أرى أنه يخرج من لحيته الكريمة، نور لو سرى نور شعرة منها، في الدنيا، لصار أهلها أولياء، غير أن في آخر المدّة، كثر عليه اجتماع السفهاء، ومن لا خلاق لهم، فمنعهم مدده .

وخرج إليه جماعة من السودان، وادّعوا أنهم من أتباعه، ونسبوا أنفسهم إليه، ومنهم من كان من أصحابنا، فسلبوا، وصاروا خالين من

أحوال طريق أهل الله، ويتظاهرون للناس بأنهم من أتباعه، وهو في الحقيقة برئ منهم، ثم اجتمعوا على بعض من قد اجتمع بالأستاذ، وحصّل بعض مدد ضعيف، فخالطوه، وخلطوا، وخربطوا، والرجل المذكور له معرفة بعلم الأسماء، والاستخدامات الروحانية، والجان، هذا أظنه جلّ رأس ماله، وجلّ ما وجد من سيدي أحمد بعض أسرار هذه الأسماء، فصارت همتهم كلها في ذلك، ويتلمسون بالطريقة، ولم يشموا رائحتها الحقيقية. حفظني الله وأولادي، وإخواني، وأحبابي، ومحبيّ، من ذلك بجاه مصطفاه، وثبتنا على الصراط المستقيم، حتى نلقاه .

ثم المِنّة لله ولرسوله، أنّ جُلَّ وراثة الأستاذ سيدي السيد أحمد بن إدريس عندي، وكنت أفهم منه ذلك، لأنه كان يقول: أيام فتحي أيام ولادتك، وأول ما فتح الله عليّ رأيتك، وقيل لي: إن هذا خليفتك، ووارثك، ونحو ذلك، فالحمدُ لله، وأرجو أن الله يعطي بعض ذريته، بعض الأحوال على يدنا، وهذا بحسب ما كنت أفهمه منه .

وأخذ هو الطريقة النقشبندية، عن شيخ إرشاده المذكور، وله بعض أذكار، أخذها شيخه عن سيدي الغوث، (سيدي عبد العزيز الدباغ)، وهو أخذ سلوكه عن الخضر عليه السلام، وسند الطريقة النقشبندية الذي عن سيدي عبد الوهّاب التازّي، غير سنده عن الدبّاغ .

وأخذت بعض هذه الطرق، عن سيدي وشيخي، العالم العامل العارف، عمي وصنو أبي، (السيد محمد يس)، وهو أخذ عن والده الجدّ،

العارف (السيد عبد الله الميرغني المحجوب)، وكان هذا الرجل صاحب قدم في الولاية، إلا إنه كان مختفٍ . قال: فقدت مقلمة لي كانت في جيبي، وكنت بالمدينة، وصار لي أمر مزعج، ألجأني للرجوع لمكة، فوقفت تجاه المواجهة، وأنا متحير في الأمر، وهو أن أمانات كانت في بيتي، لبعض الأهل والأحباب، وبلغني أن من تركته في بيتي، جاء إلى المدينة، وترك المحل بلا أقفال ولا أبواب محكمة، وحين وقوفي في المواجهة، وجدت السكين التي تركتها في مكة، في جيبي، فقلت: إن ذلك تطمين من النبيّ ﷺ ، وله نحو ذلك، وبعض كرامات .

وأخذت الصلاة المشيشية، ونحوها، عن سيدي الوالد، الولي (السيد محمد أبو بكر)، وكان من الأولياء المستورين، فذكر لي صادق أفندي، بأسيوط، وكان من أهل مكة، وكان له تلقٍّ عن الوالد، قال: كنا بجبل السكراي بالطائف، فجاء أخوك، السيد عبد الله، فقال: جاء مفتي الظاهر، ثم جئت أنت، فقال: جاء مفتي الباطن، وأخبرني بهذه الواقعة، قبل أن يتولى أخي المذكور، الإفتاء بسنوات، ورأيت النبي ﷺ بعد وفاة والدي، في ليالي انتقاله، فقلت: يا رسول الله أين والدي؟ ، فقال لي: (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) .

ولما انتهى الكلام، على ذكر بعض مشايخي، الذين تلقيت منهم، وانتفعت بهم، في طريقة أهل الله، أردت الكلام على السند، الذي أغلب إجازاتنا به، وهو سند الطريقة النقشبندية، وقد نظمه محبنا العالم، الصالح

البركة، الشيخ المعروف بالعالم، من إقليم كردفان، من قرية يقال لها فيفجع، فأحببت شرح تلك المنظومة، لأني أجعلها مع الإجازة، للذي يجب ذكر السند فيها، فيكتبها، وقد سماها:

الدر واللآل
في عدد سند رجال شيخنا ذي الكمال

(بسم الله الرحمن الرحيم) بدأ بالبسملة، اقتداءً بالكتاب العزيز، وعملاً بقول سيد ذوي الألباب، (الحمد) هو الثناء بالجميل، (لله) سبحانه الجليل، (الذي قد جعل) من كمال منته، (إسنادنا) رجاله وعمله، (إلى النبي) ﷺ، (متصلاً) قال ابن حنبل: لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء .

(ثم الصلاة) التامة، والرحمة من الله المترادفة، (والسلام الكافي) والإكرام الوافي، (على نبي) هو سيد الوجود صفيه، هو سيدنا محمد المحمود، (بالعهود) لمن عهد له تبشيراً وممداً، ظاهراً وباطناً، (وافي) من أوفى، وبالمواصلة للعارفين شافي، (محمد) أي ابن عبد الله ﷺ، (وصحبه) أي صحابته، وهو من اجتمع به صلّى الله عليه وسلم، (والآل) أي الأتباع إلى يوم القيامة من أمة الإجابة . (ومن رقّيته) أي أعليت قدره في الدارين، (إلى الكمال) أي إلى رتبة التمكين، في التمسك بشريعة سيد المرسلين صلّى الله تعالى عليه وسلّم .

(وبعد) كلمة فصل بين كلامين، (فالإسناد يا ذا الفطنة) والذكي المتوجه بصدق النية لا بالبطلة، (أتى به الإخبار) أي الإنباء، (عنه) الضمير يعود إلى السند النبيّ ﷺ، (سنة) أي طريقة مسنونة؛ أي متبعة، ومع ذلك فقد قال ﷺ وهو سيد المرشدين: (خذوا عن الذين قالوا واستقاموا)، وقال أيضاً سيد المتقين: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم) .

(ثم شيوخنا في طريق الله) هم (آباؤنا) في (الدين)، الذي هو السبيل لنيل درجات القرب من المعين، (ووصلة إلى القويّ المتين) فلولا الأشياخ الواصلون، ما عرف سالك سبيل السلوك، إلى حضرة الجليل المبين .

(ونسأل الله الرضا عنّا) أي نساله أن يرضى عنا، (بهم) أي ببركاتهم وجاههم لديه، (وبهم) أي وبسببهم، (رضاك يا رب) مربي الخلائق، (ألمّ) أوصله إليهم .

(أروي) أي أنقل، (إجازة) وأسندها (إلى الطريقة) السنية: أي طريقة أهل الله . (عن شيخنا عثمان) المكي الميرغني، (ذي) صاحب (الختمية) واشتهر بالختم، لإشارات وقعت له، ولغيره من العارفين . قال سيدي علي وفا: لكل زمان ختم، وقال سيدي محيي الدين بن العربي: للولاية رجل يختم أعلى مقام فيها يلقب بالختم، وآخر وليّ ليس بعده أيضاً وليّ يلقب بالختم، يخرج من الهند، وله أخت هي ختم مقام الولاية من جهة النساء .

(عن شيخه) العارف بالله، (صاحب مقامك النفيس) أي المتخلق بأخلاق ذوي التقديس، (أستاذنا) يا أهل هذا السلك سيدي ومولاي القطب الغوث سيدي (أحمد بن إدريس) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ونفعنا به، وقد تقدّم بعض الكلام عليه، (ووالده) أي ووالد محمد عثمان، اسمه (محمد أبو بكر) وقدمنا الكلام عليه، (وشيخه) أي وشيخ محمد عثمان، صاحب هذا السلك، (أحمد بناه المشتهر) تقدّم تعريفهم، وهذا أوّل الكلام على السند .

(وشيخه) أي شيخ الختم المذكور آنفاً، (سعيد العامودي) وقد ذكرت قريباً بعض شأنه، عن (عبدك القادري) وعرفنا أمره قريباً، (كلّ مسندي) أي كلّ من الشيخ أحمد بناه، والشيخ سعيد العامودي، أخذاً من الشيخ عبد القادر كما قدّمنا ذكره مفصلاً، والشيخ عبد القادر أخذ هذه الطريقة النقشبندية .

(عن الإمام) العارف بالله، (أي رفيع الدين) أي المسمى رفيع الدين، (عن خوج) وهو معنى الشيخ بالفارسية، (رحمة القوي المتين) أي والشيخ رفيع الدين، أخذ عن الشيخ رحمة الله، (فهو) الشيخ رحمة الله، (نائب رسول الله) هذا كان يلقب بذلك، و ذلك يشعر بأنه كان قطب زمانه، (صلّى عليه) أي رحمه الله تعالى بالتعظيم، والضمير راجع إلى رسول الله، (ذو العلا الإله) أي وهو الله عزَّ وجلَّ الكريم المنّان، على مدى الزمان ما دار الدوران .

(أي ابن خوج عالم نقشبندي) أي سيدي رحمة الله، (القادري) كان جامعاً بين الطريقة النقشبندية والقادرية، (قدسه) أي قدّس الله سرّه ونوّر ضريحه، (ذو الجندي) أي الذي له جنود السموات والأرض، ويؤيد فيها من يشاء من أهل السنة والفرض؛ والشيخ رحمة الله أخذ الطريقة.

(عن سيد الأشراف أعني المكي) العارف بالله والدالّ عليه وهو (شيخ الطاهر محمد محكي) تمام البيت . وهو أخذ (عن سيدي محمد شاه) وكان من أهل الأسرار والكمال؛ وهو أخذ (عن شرف الدين) المعلى مقامه عند الله، (يا هو) أي يا ساهين، عن أهل طريق الواحد المبين .

(عن آدم بنور شاه المدني) وكان من أهل الحال؛ والمدني، (عن شيخه) العارف بالله الواصل الذي أحيا الله به آثار الشريعة والحقيقة، ولذا لقب مجدداً، أي مجدّد ألف الثاني، وفي الحديث: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدّد لها أمر دينها)، فكان هو المجدد للمائة التي بعد الألف . وللسيوطي في المجدّدين رسالة، وجعل في القرون المتأخرة مجدّدين متعدّدين، في كلّ جهة مجدّد .

وهو (عن شيخه) المسمى، (أحمد) وكان مولده في بلدة تسمى (سرهندي) سنة أربع وثلاثين وألف، يوم الثامن والعشرين من صفر الخير، ودفن في تلك المدينة، والشيخ (خوج الدهلوي الجندي) سيدي محمد بن عبد الباقي، وكان هذا العارف من أشدّ أهل عصره التزاماً للشريعة، وأجهدهم من حيث الطريقة، وأمهرهم من حيث الحقيقة .

وهو قد أخذ (عن خوج بن محمد إمكنكي) وأصله إمكنة بكسر الهمزة مع سكون الميم، والقرية من قرى بخارى، وزيدت الكاف والياء معاً للنسبة؛

وهو قد أخذ (عن) والده العارف بالله صاحب المعارف مولانا الشيخ (سيدي درويش خوج الأملكي) وكان في عصره مشهوراً بدرويش وليّ؛ وحاله اتفق أهل عصره على ولايته، وعلوّ شأنه، ولفظ الأملكي تمام البيت.

وهو قد أخذ (عن سيدي خوج) الشيخ المكمل، (محمد زاهد) الصالح التقيّ؛ المجاهد وهو قد خدمه مدّة حتى جعله خليفة في مقامه .

وهو قد أخذ (عن شيخه عبد الله خوج العابد)، سيدي عبد الله المعروف بخوج أحرار، ولذا قال خوج العابد، وهذا اللقب بإضافة خوج إلى أحرار، وفيه مدح عظيم تفيده الإضافة، وأحرار: جمع حرّ، وهو عند أهل الله، من تخلص من رقّ الأغيار، وانفرد بوجهته كلها للملك الغفّار، وكانت ولادته في رمضان سنة ست وثمانمائة، وتوفي سنة خمس وتسعين وثمانمائة، ودفن في كشمير، فيكون عمره سبعة وسبعين سنة .

وهو قد أخذ (عن سيدي الجرخي أي يعقوب)، وكان مولده بجرخ، قرية من قرى غزوين، وقبره في هَلْفِتو، بهاء مفتوحة بعدها لام ساكنة، ثم فاء مكسورة ثم تاء مثناة فوقية، وبعدها واو .

وهو قد أخذ (عن خوج قطب) أهل هذه الطريقة، الممدّ لمنتسبيها ببلوغ الرتب الرفيعة (خوج)، أي افهم (المطلوب) من تعريف أمر هذا

الأستاذ، (النقشبندي) ومنه سميت الطريقة هذه بالنقشبندية، (أي بهاء الدين) هذا اسمه، (قدّس) أي قدّس سرّه، (من ربي العليّ المتين) .

وهذا الشيخ بهاء الدين بن محمد البخاري، اشتهر بنقشبندي، لأن المشائخ من وقت خوج الخبير الغغنوي، إلى وقت أمير كلال، كانوا يجمعون الذكر الخفي، مع الذكر الجهري، فلما جاء الخوجة بهاء الدين، ترك الذكر الجهري واشتغل بالذكر الخفيّ، على طريق نقش الذكر بلا إله إلا الله، في قلبه، فلهذا سمي نقشبندياً، وعرفت الطرق منه بالنقشبندية، وكان مولده في شهر محرّم، سنة ثمانية عشر وثمانمائة، في قرية عرفان من قرى بخارى، فَرَسَخَ فيها، وكان أُويسياً، تربي من روحانية الخوجة عبد الخالق، وكانت وفاته يوم الإثنين، غرة ربيع الأول، سنة إحدى وسبعين وثمانمائة .

وهو قد أخذ (عن سيدي كُلال الأمير) بضم الكاف، ولامين بينهما ألف، ومعناه صانع الفخار، ولد بسوخار، بسين مهملة وواو وخاء معجمة، وألف بعدها راء: قرية على خمس فراسخ، من سماسي .

وهو قد أخذ (عن خوج: أي محمد) اسمه البصير، تتميم للبيت لأجل القافية، (بابا سماسي) بفتح السين المهملة: قرية من قرى رمتين، على مقدار فرسخ منها، ومن بخارى على مقدار ثلاثة فراسخ، ولد بسماسي ودفن بها، أي كان يلقب بـ(بهاء الدين) .

وهو أخذ (عن سيدي خوج على رمتين)، ورمتين اسم مدينة عظيمة، على بعد فرسخين من بخارى، مات ودفن في خوارزم .

وهو أخذ (عن خوج محمود) وهذا اسمه، (الخبير الغفنوي) وهو اسم قرية من قرى بخارى، وهو مركب من اسمين: أولهما الخبير ومعناه بلسانهم: التبيين، والثاني الغفنوي: بفاء موحدة وغين معجمة بعدها نون ساكنة، ثم ياء ممدودة وزيدت الواو قبل الياء في البيت، لأجل التصريع، ولما جلس لتربية السالكين، اشتغل بالذكر الجهري ،بناءً على استعدادات السالكين، فكان ابتداء ظهور الذكر الجهري منه .

وهو أخذ (عن ريوكرى) بكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة التحتية والواو معاً، وكسر الكاف بعده راء: وهي قرية على ستة فراسخ من بخارى، ولد بها وتوفي بها أيضاً، (محمد) هذا اسمه؛ وقوله (عبد القوي) سبحانه .

وهو أخذ عن (عبد الخالق مدعو غجدواني) تتميم البيت، وكان عبد القوي المدعو: أي المعروف بالغجدواني، بضمّ الغين المعجمة، والجيم الساكنة المعجمة، وضمّ الدال المهملة بعدها واو ثم ألف ثم نون، وهو اسم قرية في أرض بخارى، ولد بها وتوفي فيها، وهذا الأستاذ اجتمع بالخضر عليه السلام ، وتبناه وعلّمه طريق الذكر الخفيّ، وأمره أن يغطس في الماء ويذكر بقلبه، لا إله إلا الله محمد رسول الله، ففعل ما أمره به، فحصلت له الجذبة القيوميّة، ثم تسلسلت تلك الجذبة بالذكر الخفيّ في هذه الطريقة، فلهذا كان هو رأس الطريقة، بالذكر الخفيّ .

وهو أخذ (عن يوسف الموصوف بالهمداني)، ولد بهمدان سنة أربعين وأربعمائة، ثم ذهب إلى بغداد، ثم كان يتردد بين همدان ومروان، وتوفي في الطريق بينهما، ودفن في الموضع الذي مات فيه .

وهو أخذ (عن سيدي) أي (علي الفارداني) واسمه فضل بن محمد، وكان من أهل الفضل والسرّ .

وهو أخذ عن (أبي الحسن)، سيدي علي بن جعفر، (أعني به الخرقاني) كانت ولادته بعد وفاة العارف بالله الغوث، سيدي أبي يزيد البسطامي بزمن، وهو إدريسي، قد تربى من الروحانية، وكانت وفاة الخرقاني، سنة خمس وعشرين وأربعمائة، في شهر عاشوراء .

وهو أخذ (عن سيدي طيفور ذي المقام) أي النفيس الشأن، ذي التقديس، (أي ابن عيسى) سيدي أبي يزيد، (المعروف بالبسطامي) ويلقب عند الأولياء بسلطان العارفين، وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائتين .

وهو أخذها (عن الإمام) العارف القطب سيدي، (جعفر الأجلّ) مولاي وسيدي جعفر الصادق، وكان مولده بالمدينة المنورة، ثمانين من الهجرة، وتوفي بها، سنة ثمان وأربعين ومائة، كان إذا احتاج إلى شيء، قال: ياربّ إني محتاج إلى كذا، فما يتمّ دعاءه إلا وذلك الشيء موضوع بجانبه، وقبره بالبقيع مع أبيه وجدّه .

وهو أخذ (عن سيدي قاسم شيخ الثقات المجلي)، وسيدي قاسم هو والد والدة سيدي جعفر الصادق، وهو سيدي قاسم بن محمد الصدّيق رضي

الله تعالى عنهم، وكان أحد الفقهاء السبعة، وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة، سنة ثمان ومائة .

وهو أخذ (عن سيدي سلمان أعني الفارسي) مولى رسول الله ﷺ، (الماهر) في العلوم، (النبيه) في تلقي الحكم ذي الفهوم، (والممارس) لكمال الأسرار . ولد بقرية من قرى أصبهان، من ديار العجم، كان عطاؤه خمسة آلاف، وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين، وكان يخطب للناس في عباءة، يفرش بعضها ويلبس بعضها، وتوفي في خلافة سيدنا عثمان، وعمره مائتان وخمسون سنة، ودفن بالقرب من بيت المقدس، وقال فيه النبيّ ﷺ: (سلمان منا أهل البيت) .

وهو أخذ (عن الإمام) أي أمير المؤمنين، وقدوة المسلمين، خليفة سيد المرسلين، سيدنا الصدّيق عبد الله بن أبي قحافة، وهو تلقاها عن رسول الله ﷺ بغار حراء، يلتقي مع رسول الله ﷺ في مرّة، ومناقبه أكثر من أن تحصر، (أبي بكر الأمين) أمّنه النبيّ ﷺ على أمته، ويكفيك ما: (صبّ في صدري شيء، إلا وصببته في صدر أبي بكر)، وكان مولده بعد الفيل، في السنة الثالثة، من مولده ﷺ، وهو أول من آمن بالنبي ﷺ، وتوفي بعد المغرب، ليلة الثاني عشر، من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشر من الهجرة، وعمره ثلاث وستون سنة . (وفضله سما على الأصحاب)، وفي الحديث: (ما طلعت الشمس ولا غربت، على أحد بعد النبيّ أفضل من أبي بكر)، وورد: (أفضلكم أبو بكر)، وورد: (ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة وصوم،

ولكن بشيء وقر في قلبه)، فهو أفضلكم (بلا امترا وبلا ارتياب)، لا شكّ في ذلك ولا ريب .

وهو أخذ (عن خاتم النبيين وسيد المرسلين)، وفي الحديث: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)، و(آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر)، (محمد الصادق رسولك الأمين)، وفي الحديث: (إني لأمين في السماء أمين في الأرض)، ولد عام الفيل، يوم الإثنين، في السدس الأخير من الليل، على ما عليه أهل الله، في ليلة الثاني عشر، من شهر ربيع الأول، ولما توجه لغار ثور، حين أخرجه قومه من مكة، لقّن الصدّيق هنالك كلمة لا إله إلا الله، بالقلب على الكيفية المعهودة، وكان ذلك التلقين على وجه التثليث: أعني كرّرها ثلاثاً، وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام، يوم الإثنين، ثاني عشر، من ربيع الأول، بالمدينة المنوّرة، بعد مضي عشر سنوات من الهجرة، (صلّى عليه ربنا المتعالي)، صلاة تليق به عليه الصلاة والسلام، (ما ماجت الأغصان على التوالي)، وهنا انتهى السند .

ولنا سند آخر لهذه الطريقة:

وهو ما أشار إليه بقوله: (ومن طريقة الصحب السنية) النضرة البهية، (بعد جدود شيخنا مروية) وهذا السند متصل، بجدودنا أهل البيت، جيلاً بعد جيل، وطبقة بعد طبقة إلى يومنا هذا، صانها الله تعالى للأبد والنهاية، ويسمى هذا السند (بسلسلة الذهب) .

وذلك أن الشيخ العارف بالله، أبا علي الفارداني، كما أخذ هذه السلسلة عن الخرقاني ، أخذها عن سيدي أبي الحسن عليّ بن عبد الواحد الكرماني، أويسي من التربية، ومن حيث الصورة، قد أخذ هذه النسبة عن الشيخ أبي عثمان المغربي، سعيد بن سلام، ولد بالغرب بقرية يقال لها الكوكب، من جهة القيروان، هاجر إلى الحرم المكي، وأقام به نحو ثلاثين سنة، ثم ورد نيسابور، وتوفي بها سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة . ومن كلامه: من آثر صحبة الأغنياء، على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب .

وهو أخذ عن الشيخ أبي عليّ الحسين بن أحمد الكاتب، وكان من أكابر مشايخ مصر . ومن كلامه: من سمع الحكمة ولم يعمل بها فهو منافق . مات سنة نيف وأربعين وثلثمائة .

وهو أخذ عن الشيخ أبي علي الروذباري، أحمد بن محمد، كان من أبناء الوزراء، من ذرية كسرى من أهل بغداد، ثم ذهب إلى مصر، وكان شيخها في وقته، وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة، ودفن بالقرافة، قريباً من ذي النون المصري . ومن كلامه: التصوف هو الإناخة على باب

الحبيب وإن طرد، والتمسك بالتقوى والورع، فكان يفتخر ويقول: شيخي في التصوف الجنيدي، وفي الفقه ابن شريح، وفي الحديث إبراهيم الجزي .

وهو أخذ عن سيد الطائفة، أبي القاسم الجنيدي القواريري، ولد ونشأ ببغداد، ومات بها سنة سبع وسبعين ومائتين، وقبره بها ظاهر يزار . ومن كلامه: التصوّف صفاء المعاملة مع اللّٰه، والغفلة عن اللّٰه تعالى، أشدّ من دخول النار .

وهو أخذ عن خاله السريّ السقطي، ومعنى السريّ بفتح السين المهملة وكسر الراء المهملة والياء المشددة: تمني المرغوب، أو نفس المرغوب، والسقطي بمعنى الرديء؛ يقال: متاع سقط، بمعنى رديء، وإنما نسب لهذا لأنه كان في أوائل أمره يقعد في دكانه، يبيع ويشتري، ثم اجتنب الدنيا فلهذا نسب إلى السقط: وهو الترك . ومن كلامه: من علامات استدراج العبد عماه عن عيبه، واطلاعه على عيوب الناس . وهو أوّل من تكلم في توحيد القوم ببغداد، وإليه ينتمي أكثر مشايخها، توفي سنة إحدى وخمسين ومائتين، وقبره بالشونيزية، ظاهر يزار .

وهو أخذ عن سيدي الكامل، معروف الكرخي، والكرخ محلة ببغداد، وكان من موالي عليّ الرضا . ومن كلامه: ما أكثر الصالحين وما أقل الصادقين !، مات ببغداد ودفن بها، وقبره يستسقى به الغيث، وكانت وفاته عام مائتين .

وهو أخذ عن علي الرضا، ومن هنا دخل السلك في سند أهل البيت، وهذا الإمام هو من الأئمة الإثني عشر، ولد في المدينة المنورة، في ربيع الأول، عام ثلاث وخمسين ومائة، وبويع له في عهد ولاية المأمون، وكانت وفاته بطوس، من أرض خراسان، بقرية يقال لها سناباد، ودفن في القبة، التي فيها هارون الرشيد، وكان انتقاله في رمضان، سنة ثلاث ومائتين، وقيل مات مسموماً .

وهو أخذ عن والده، موسى الكاظم، وهو أيضاً من الأئمة الإثني عشر، ولد يوم الأحد، السابع عشر من شهر صفر، سنة ثمان وعشرين ومائة، وكانت ولادته بالمدينة المنورة، وسكن بها إلى قدوم الرشيد إليها، فحمله منها إلى بغداد، وحبسه بها إلى أن توفي في حبسه، يوم الجمعة، من شهر رجب، سنة ثلاث وثمانين ومائة، ودفن في مقابر قريش ببغداد، وقبره مشهور، وعليه يلوح النور، وكان يكنى بالسيد الصالح .

ومن هنا شرع ناظم السند، في ذكر من عدّهم في السند من أهل البيت فقال:

(وذاك عن جعفر الصادق) وهو صحب والده محمد الباقر، توفي بالمدينة، سنة ثمان وأربعين ومائة . ومن كلامه: إذا بلغك من أخيك ما تكرهه، فاطلب له من عذرٍ واحد إلى سبعين عذراً، فإن لم تجد فقل لعل له عذراً لا أعرفه . وكان يلبس الجبة الغليظة على جسده، والحلة من الخزّ

على ظاهره، ويقول: نلبس الجبة لله والخزّ لكم، فما كان لله أخفيناه وما كان لكم أبديناه .

(قد صحب) أي جعفر الصادق صحب، (أباه الباقر محمداً) أي أخذ عن والده سيدي محمد الباقر، وهو أيضاً من الأئمة الإثني عشر، سمّي الباقر لأنه بقر العلم: أي شقه وعلم خفيه . ومن كلامه: ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر، إلا نقص من عقله، قدر ما دخل من ذلك الكبر قلّ أو كثر . مات سنة سبع عشرة ومائة، وهو ابن ثلاث وسبعين، وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلِّي فيه .

(وهو لزين العابدين أبيه صحب) أي صحب والده زين العابدين، علياً الأصغر، وأما الأكبر فقد قتل مع الحسين رضي الله عنهم . ومن كلامه: إذا نصح العبد لله في سرّه أطلعه الله تعالى على مساويء عمله، فيتشاغل بعيوبه عن عيوب الناس . توفي بالمدينة المنورة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة، ودفن بالبقيع،

(وذا) أي زين العابدين، (عن) والده، (الحسين يرويه) أي يروي هذا السند عن والده، سيدنا الحسين بن سيدنا عليّ، ووالدته الزهراء رضي الله عنهم أجمعين، ولد في شعبان، سنة أربع من الهجرة، وكان له من الأولاد خمسة: منهم عليّ الأكبر، وعليّ الأصغر، وله العقب؛ فالأشراف الحسينيون كلهم منهم، وحجّ سيدنا الحسين خمساً وعشرين حجة ماشياً، والنجائب تقاد بين يديه . ومن كلامه: اعلموا أن حوائج الناس إليكم، من نعم الله عليكم .

قُتِل بكربلاء يوم الجمعة، يوم عاشوراء، سنة إحدى وستين، وهو ابن ست وخمسين سنة، وحملت رأسه إلى مصر، ودفن بالمشهد المشهور، ومشى الناس أمامه حفاة من غزّة إلى مصر، تعظيماً له .

(ثم الحسين) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحب، ويروي سنده، (عن أبيه المجتلى) وهذا السند متصل، (بصحبة) أهل البيت واحداً بعد واحد، من علي الرضا إلى ما بعده كما تقدّم .

(ينبي عن عليّ) بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وهو ابن عم رسول الله ﷺ ، ولد في جوف بيت الله الحرام، ولم يتيسر ذلك كما قيل لأحد غيره، وكانت ولادته يوم الأحد، يوم ثلاث وعشرين من رجب، بعد مضيّ ثلاثين سنة من عام الفيل، مات شهيداً، قتله عبد الرحمن بن ملجم، أشقى الآخرين، كما في الحديث بسيف مسموم، وذلك في أوائل رمضان، وكان ضربه بالسيف عند خروجه من البيت، لصلاة الفجر يوم الجمعة، ووفاته ليلة الأحد بعد مضيّ يومين، سنة اثنتين وأربعين، ودفن بالكوفة . ومن كلامه: أعلم الناس بالله أشدهم تحيراً فيه، وأشدّهم بإحسانه على عباده تدبراً وتعظيماً لأهل لا إله إلا الله، وفي الحديث: (أنا مدينة العلم، وعليّ بابها) .

(وهو) سيدنا عليّ صحب، وأخذ هذه السلسلة الذهبية (عن النبيّ خير المرسلين) وممدّ جميع الكاملين، من رسل وملائكة وأنبياء وأولياء ومؤمنين، وكان هذا التلقي حين قال سيدنا عليّ رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله دُلّني على أقرب الطرق، فقال رسول الله ﷺ: عليك بمداومة

ذكر الله تعالى، فقال: كيف أذكر يا رسول الله؟ ، فقال: غمّض عينيك، واسمع مني ثلاث مرات، ثم قل: أنت ثلاث مرات، وأنا أسمع منك، فقال رسول الله ﷺ: لا إله إلا الله، ثلاث مرات، مغمضاً عينيه، رافعاً صوته، ثم قال سيدنا عليّ، ثلاث مرات، مغمضاً عينيه، رافعاً صوته، والنبيّ ﷺ يسمع .

(وهو عن جبريل عن ربّ العالمين) والأمر مسنود عن جبريل، عن الحقّ، كما يعلم ذلك من له تحقق .

(نحمد اللّهمّ ذا الإفضال) صفة، ونحمدك: أي نثني عليك ثناءً ذا إفضال، وكمال لائق، بذاتك العلية القدسية، حمداً على توفيقك، لنظم هذا السند وتتميمه .

فلذا قال: (على تمام الدّر واللآل) اسم المنظومة، (بشهر شعبان نظمي انقضى) ألفها في شعبان، (بعد لب غرّ من عام مضى) عام ثلاثين واثنين وألف ومائتين، فاللام بثلاثين والباء باثنين، والغين المعجمة بألف والراء بمائتين .

(جزاني الله صفح الماهرين) ممن طلبوا مني ذلك، (أهل التقى والصفح للمتطفلين) على النظم وهو أهل لذلك، وإنما أتى بهذه العبارة إظهاراً للتواضع، (والله يجعلنا بذي الأئمة) توسل بأهل السلسلة، (ممن رقى أعلى مقام جمة) أي ممن ترقى و أيّاه مقامات في الولاية جمة .

منحنا الله وإيّاه، وجميع الإخوان تلك العناية، وينيلنا من فيض إفضاله، وأنالنا جميعاً مما هنالك، وقد ذكرنا سندين لاتباع مناهجه القويم، في البداية والنهاية، لهذه الطريقة .

ولها سند ثالث:

وهو أن الكرخي، سيدي معروفاً، أخذ عن سيدي داود الطائي، وهو قد أخذ عن سيدي حبيب العجمي، وهو أخذ عن سيد التابعين سيدي حسن البصري، وهو أخذ عن سيدي علي بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، وهو قد أخذ عن النبيّ ﷺ، وهو أخذها عن جبريل عليه السلام، وهو أخذها عن ربّ العالمين، وقد أوضحنا ذلك .

وهذه أسانيد الطريقة النقشبندية، مع ما معها من سبل سنية .

كيفية انتقال المقدمات بعد أخذ الطريقة من الشيخ

تغتسل أولاً، كغسل الجنابة، على نية التوبة من كلّ الذنوب، يوم الأربعاء، بأمر شيخك، وتصلي ركعتين: الأولى بالفاتحة والكافرون، والثانية بالفاتحة وسورة النصر، ثم تسلم وتقرأ البيعة؛ وكيفيتها:

اللّهمّ إني تُبت إليك، ورضيت بسيدي محمد عثمان شيخاً لي، في الدنيا والآخرة، ثبّتني اللّهمّ على محبته وطريقته، في الدنيا والآخرة، بحق سيدنا محمد بن عبد الله بن عدنان، وبحق بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، إلى آخر الفاتحة، سرّاً بنفس واحد .

ثم تشرع في التهليل، وعدده سبعون ألفاً بالوضوء، تستعمل في مجلسك ذلك، نحو مائة مرة، ثم تتمّ باقي العدد قائماً أو قاعداً بالوضوء .

ثم بعد فراغك من التهليل، تغتسل ثانياً كما تقدّم، وتستعمل الإخلاص، مائة ألف، بالوضوء أيضاً .

ثم تغتسل أيضاً كما تقدم، يوم الأربعاء، بعد الصبح، وتستعمل البسملة، اثنا عشر ألف، في مجلس واحد، مع الطهارة الكاملة .

ثم بعد تمام المقدمات، تمضي إلى شيخك يلقنك الذكر، ويمسكك الأساس الكبير، ذا الفيض الغزير . وله ثلاثة أوجه: صغرى، ووسطى، وكبرى، إلى آخر ما تقدّم، في آخر الشرح . انتهى، والحمد لله ربّ العالمين.

الدر واللآلي
في عدد رجال سند شيخنا ذي الكمال

وبذلك رقي إلى الحضرات الربانية، والفيوضات الإلهية، نظم تلميذه العلّامة والبحر الفهامة التقي الورع، الشيخ سالم سلّمه الله، من آفات الزمان آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قد جعلا	أستاذنا إلى النبيّ متصلا
ثم الصلاة والسلام الكافي	على نبي بالعهود وافي
محمد وصحبه والآل	ومن رقيته إلى الكمال
وبعد فالإسناد يا ذا الفطنة	أتي به الإخبار عنه سنة
ثم شيوخنا آباء الدين	ووصلة إلى القويّ المتين
ونسأل الله الرضا عنا بهم	وبهم رضاك يارب ألم
أروي إجازة إلى الطريقة	عن شيخنا عثمان ذي الختمية
عن شيخه صاحب مقامك النفيس	أستاذنا أحمد بن إدريس
ووالده محمد أبو بكر	وشيخه أحمد بناه المشتهر
وشيخه سعيد العامودي	عن عبدك القادري كل مسنودي
عن الإمام أي رفيع الدين	عن خوج رحمة القوي المتين
فهو نائب رسول الله	صلَّى عليه ذو العلا الإله

أي ابن خوج عالم نقشبندي   بقادري قدسه ذو الجندي

عن سيد الأشراف أعني المكي   شيخ طاهر محمد محكي

عن سيد محمد شاه   عن شرف الدين يا هو

عن آدم بنور ثم المدني   عن شيخه مجدد الألف الثاني

عن شيخه أحمد سرهندي   والشيخ خوج الدهلوي الجندي

عن خوج محمد إمكنكي   عن سيدي درويش الأملكي

عن سيدي خوج محمد زاهد   عن شيخه خوج عبد الله العابد

عن سيدي الجرخي أي يعقوب   عن خوج قطب خوج المطلوب

النقشبندي أي بهاء الدين   قدّس من ربي العليّ المتين

عن سيدي كلال الأمير   عن خوج محمد البصير

بابا سماسي أي بهاء الدين   عن سيدي خوج علي رمتين

عن خوج محمود الخبير الغفوي   عن ريوكري محمد عبد القوي

عن عبد الخالق مدعو غجدراني   عن يوسف الموصوف بالهمداني

عن سيدي علي الفارداني   وأبي الحسن أعني به الخرقاني

عن سيدي طيفور ذي المقام   أي ابن عيسى المعروف بالبسطامي

عن الإمام جعفر الأجلّ   عن سيدي قاسم شيخ الثقات المجلي

عن سيدي سلمان أعني الفارس   الماهر النبيه والممارس

عن الإمام أي أمير المؤمنين   أعني به أبا بكر الأمين

وفضله سما على الأصحاب   بلا امتراء أي وبلا ارتياب

عن خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد الصادق رسولك الأمين

صلّى عليه ربنا المتعالي ما ماجت الأغصان على التوالي

ومن طريقة الصحب السنية بعض جدود شيخنا مروية

وذاك أن جعفر الصادق قد صحب أباه الباقر محمد

وهو لزين العابدين أبيه صحب وذا عن الحسن يرويه

ثم الحسين عن أبيه المجتلي بصحبة أهل البيت ينبئ عن علي

وهو عن النبي خير المرسلين وهو عن جبريل عن رب العالمين

نحمدك اللّهمّ ذا الإفضال على تمام الدرّ واللآلي

بشهر شعبان نظمي انقضى بعد لب غر من عام مضى

جزاني الله صفح الماهرين أهل التقى والصفح للمتطفلين

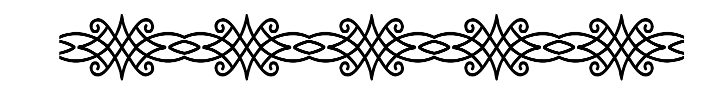
والله يجعلنا بذي الأئمة ممن رقى أعلا مقام جمة

تمت المنظومة، المسماة بالدرّ واللآل، التي يلزم كلّ مريد حفظها، لمعرفة سلسلة الطريق، من شيخه إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

قال السيد أحمد إبراهيم حريبة، نجل سليمان، تلميذ الأستاذ الختم السيد محمد عثمان، رضي الله عنهم وعنا بهم، مقرظاً (للزهور الفائقة) اسم رسالة للأستاذ الختم:

رسالة حوت من المعارف جلها	أبرزت من صدر شيخنا ختم العارفين
يا لها من نبذة قد أبهجت	سرّاً سرى في قلوب العاشقين
فتأمل في رسمها ترق العلا	وتصبح في مجال الرجال البارعين
وتحقق في المعاني يا أخي	فهذه أصول نهج السائرين
فلقد شذا من أريج نسيمها	عبيق مسك فاح في جميع العالمين
بخصوصية ختمية من أحمد	حبيبنا الصافي إمام المرسلين
عليه الصلاة مع السلام و آله	وأصحابه وأتباعه السالكين





أساس الطريقة الختمية

وها نحن نشرع في الكلام على الأساس الذي هو مبنى طريقتنا .

فاعلم أن أساسنا الذي هو مبنى طريقتنا، قد تضمن كما قدّمنا، نهج الطريقة النقشبندية والقادرية والشاذلية والجنيدية والميرغنية، لأن فيه الاستغفار، والكلمة، والصلاة على النبي ﷺ، وكلّ هذه الطرق مبناها وجُلّ أورادها ذلك، والطريقة الميرغنية مثلهم، ولها طريق خاص، وهو جلاء البصيرة، بكثرة رؤية المصطفى ﷺ، وكلَّ الطرق لا بد لها من ذلك، لكن يتفاوت الحال في ذلك .

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) بدأ الأساس بالبسملة، إقتداءً بقول سيد أُولي الألباب: (بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كل كتاب)، (الحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ) اللايقان بجلال الله، (حَمْدَاً وَشُكْراً مِنَ اللهِ) بِمَنّه سبحانه وتعالى، (وَإِلى اللهِ) صادراً من حضرته، لأنه هو اللائق بعظمته، وفي الحديث: (لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك)، (كَمَا يَلِيقُ بِعَظَمَةِ ذَاتِ اللهِ) وهو المناسب لكبرياء الإله، (فِي كُلِّ لَمْحَةٍ) تلمحها العيون، (وَنَفَسٍ) يتنفسه المتنفسون، (عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللهِ) وهذه الأعداد، لا يحصيها كاتب .

(اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صَلَاةً أَنَالُ بِبَرَكَتِهَا حُسْنَ الخِتَامِ) أي الذي هو أقصى المرام، (صَلَاةً بِعَدَدِ تَجَلِّيَاتِ اللهِ لِسَيِّدِ الأَنَامِ) أي بعد تجلي الحقّ للحضرة الأحمدية، وذلك لا يتناهى وحقّ رب البريّة، (وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّلَامُ) الذين هم هُداتنا ومصابيح الظلام .

ثم يقول الذاكر: (اَللَّهُمَّ إِنِّي أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ، كُلِّ نَفَسٍ) هو الصاعد من كل متنفس، (وَلَمْحَةٍ) يلمحها، (وَلَحْظَةٍ) يلحظها، (وَطَرْفَةٍ يَطْرِفُ بِهَا) جميع عوالمك، (أَهْلُ السَّمَوَاتِ، وَأَهْلُ الأَرْضِ، وَكُلّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ) يا مُحيطاً بكل شيء، (كَائِنٌ) يبرز، (أَوْقَدَ كَانْ) برز .

(أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ) يا من وسع علمه كلّ شيء، (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ) إلى آخر آية الكرسي، ورد في الحديث، عن موسى عليه السلام عن جبريل: (إنَّ ربك يقول لك: من قال في دبر كل صلاة مكتوبة، مرة واحدة: اللّهمّ إني أقدم إليك، إلى آخر آية الكرسي، فإن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة، ليس منها ساعة، وإلّا يصعد إليّ منه فيها، سبعون ألف ألف حسنة، حتى ينفخ إسرافيل في الصور، وتشتغل الملائكة بكتب ثوابها)، وقال ﷺ: (إن أعظم آية في القرآن آية الكرسي، من قرأها يبعث الله له ملكاً، يكتب له من حسناته، ويمحو من سيئاته، إلى الغد من تلك الساعة)، وورد مرفوعاً: (أنها ما قرئت في دار، إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً، ولا يدخلها ساحرٌ ولا ساحرة)، وإلى غير ذلك من الأحاديث، التي وردت في فضائلها .

ثم يقرأ الذاكر آخر سورة البقرة: (لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ) إلى آخر السورة، وفي الخبر مرفوعاً: (أنها نزلت من كنز تحت العرش، وأن من قرأها في كلِّ ليلة تكفيه) .

ثم يقرأ الذاكر: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، ثم يقرأ الذاكر: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ ﴾ إلى: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . ثم يقرأ الذاكر: (الإخلاص ثلاثاً، والمعوّذتين مرّة مرّة، والفاتحة مرّة) .

ذكر الجدّ، سيدي عبدالله الميرغني في "جواذب القلوب" ، عن سيدي عبد الوهاب الشعراني، عن الخضر عليه السلام ، أنه قال: (سألت أربعة وعشرين ألف نبيّ، عن استعمال شيء يأمن به العبد، من سلب الإيمان، فلم يجبني أحدٌ منهم، حتى اجتمعت بمحمد ﷺ، فسألته عن ذلك؟، فقال: حتى أسأل عنه جبريل، فسأله عن ذلك، فقال: حتى أسأل ربّ العزّة عن ذلك، فسأل عن ذلك ربّ العزّة، فقال: من واظب على قراءة آية الكرسي، و﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾، إلى آخر السورة، و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾، إلى قوله: ﴿ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ ﴾ إلى قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، وسورة الإخلاص، والمعوذتين، والفاتحة، عقب كلّ صلاة، أَمِن من سلب الإيمان) . أقول: ولذلك جعلت هذه الأشياء العظيمة في الأساس، لعظم فائدتها، بل هي بغية كلّ أحد، وأعظم رأس مال كلّ وليّ، ومؤمن .

ثم يقول الذاكر: (اسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، ثَلَاثاً)، وفي الحديث: (أن من قال ذلك، ثلاث مرات، غُفِرت ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر)، وينوي بالأولى: ما وقع منه في حين

الأساس، من التقصير والنقص، وبالثانية: ما خطر له، من الخواطر الكونية، وبالثالثة: ما جرى على فكره، من طلب ما سوى الله .

ثم يقول الذاكر: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ، عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللهِ)، فضل الكلمة لا يُحصى، وأسرارها لا تُسْتقصى، وبها الدخول في الإسلام، والترقي لأعلى درجات الإيمان والإحسان، قال الله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وقال النبي ﷺ: (أفضل الذكر، لا إله إلا الله)، وقال ﷺ: (أفضل ما قلت أنا والنبيون، من قبلي، لا إله إلا الله)، إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة، الواردة في فضلها، ومن أراد ذلك، فعليه بشرحنا الكبير على راتبنا، فقد بسطنا الكلام عليها هنالك، وكلّ الطرق هي عمدة أذكارها، ومنبع أسرارها، والكلمتان هاتان، عن سيدي أحمد بن إدريس، تلقيتهما في المعابدة، وهو واقف، وذكر لنا أنه تلقاها من الحضرة العلية .

قال الجد في "الجواذب" ، في الذكر بالكلمتين، وإفراد الأولى، ما محصله: (إن من العارفين من اختار الجمع بين الكلمتين، ليبوسة وحرارة الأولى، فتردّها الثانية لبرودتها ورطوبتها، وإن من لا يتأذى بحرارة لا إله إلا الله، وكانت موافقة لطبعه، فالأولى له الإفراد، وهي متضمنة معنى الثانية، (مِائَةَ مَرَّةٍ نِصْف بِالقَلْبِ وَنِصْف بِاللِّسَانِ)، فما كان بالقلب فهو من سلك الطريقة النقشبندية، وما كان باللسان فهو منها، ومن باقي الطرق الأخرى المذكورة .

ثم يقول الذكر: (اللَّهُ اللَّهُ، مِائَةَ مَرَّةٍ نِصْف بِالقَلْبِ وَنِصْف بِاللِّسَانِ) أيضاً، والشأن فيهما كما تقدّم، وهذا الاسم هو سرّ الذات، وسلطان الأسماء، وأكمل الذكر، وأعظم الأمور بمدده، وأسماء الحقّ كلها يتخلق بها، إلا هذا الاسم، فلا يتخلق به، لأن مضمونه الألوهية، وكان سيدي القطب الغوث أبو العباس المرسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، يحثّ أصحابه على كثرة الذكر به، ويقول: هذا الاسم سلطان الأسماء، وله بساط وثمرة، فبساطه العلم، وثمرته النور، وإذا حصل النور، حصل الكشف والعيان .

ثم يقول الذاكر: (هُوَ هُوَ، مِائَةَ مَرَّةٍ نِصْف بِالقَلْبِ، وَنِصْف بِاللِّسَانِ)، والشأن في التقسيم، كما مرّ يا فهيم، والذكر بالهوية، له فيوضات بهية . قال سيدي عبد الله الميرغني في "الجواذب" : منهم، أي من أهل الله، من اختار الذكر، بلفظ هو، فإنه وإن كان موضوعاً، عند أهل الظاهر للإشارة، ولا يتمّ إلا بمميز، فهو عند أهل الباطن، إخبار عن نهاية التحقيق، وموضوع للدلالة على الحقيقة، فيكتفون به عن كلّ بيان يتلوه، لاستهلاكهم في حقائق القرب، واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم، فما سواه لا شيء، حتى تقع الإشارة إليه .

ثم يقول الذاكر: (حَيٌّ قَيُّومٌ، مِائَةَ مَرَّةٍ نِصْف بِالقَلْبِ، وَنِصْف بِاللِّسَانِ)، وقد مرّ البيان، وهذا الذكر له في تنوير القلب، وتصفيته وفتحه إلى مشاهدات الملكوت، والإطلاع على الجبروت، والفناء في اللاهوت، شأن عظيم، وقد قال كثيرٌ، من أهل الله فيه: إنه هو الاسم الأعظم . أخرج

السيوطي، في الجامع الصغير، عن أسماء بنت يزيد، أن رسول الله ﷺ قال: (اسم الله الأعظم، في هاتين الآيتين: (وإلهكم إله واحد، لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم)، و(الله لا إله إلا هو الحي القيوم)، وفيه عن أبي أمامة مرفوعاً: (اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، في ثلاث سور من القرآن العظيم: في البقرة وآل عمران وطه)، قالوا: لأنه هو الحي القيوم. وورد أنه: (اللّهمّ إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، الحنّان المنّان، بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، يا حيّ يا قيوم).

والحاصل أن الاسم الأعظم، هو سبعة هو عشر حرفاً، ولا يقدر على الذكر به، بالحال إلا الكُمّل، ولا يعرف حقيقته إلا من تكمّل، وبعض من حروفه في بعض تراكيب أسماء لها بعض شأن.

ومما قاله بعض العارفين في الذكر: (اعلم أن لا إله إلا الله، قوت القلوب، والله قوت الأرواح، وهو هو قوت السرّ). واعلم أن هذه الثلاثة: أعني القلب والروح والسرّ، ليست من عالم الخلق، بل من عالم الأمر، وهو المراد من قول، القطب العيدروس -قدّس الله سرّه- ونفعنا به: (ثلاثة أحرف بين أهل العلم سارت، قلوب الكلّ فيها تاهت ونارت). واختلف في محل هذه الثلاثة، فأما القلب، فلا خلاف في أنه يتعلق بالجنب الأيسر، وأما الروح فهو يتعلق بالجنب الأيمن، وقال: إن السرّ في الجنب الأيسر فوق القلب، وقيل: إن نور القلب أصفر، ونور الروح أحمر، ونور السرّ أبيض. وفي كلام بعضهم: (إن القلب تحت الثدي

الأيسر، بأصبعين، والروح تحت الثدي الأيمن، بحذاء القلب، والسرّ فوق الثدي الأيمن، مائلاً إلى وسط الصدر) . وفي كلام البعض: (إن الروح تحت الثدي الأيمن، والقلب تحت الثدي الأيسر، والسرّ تحت أضلاع الصدر، في الوسط) .

قلت: والذي تقتضيه العبارة، أن بعضها في البعض، والسرّ في الروح، والروح في القلب، وذلك ثلاث دوائر: الدائرة الأولى في القلب، والدائرة الثانية التي هي وسط، هذه الدوائر هي الروح، والدائرة الثالثة التي وسط هذه الدوائر هي السرّ . ولما كانت طريقة الإرادة لي هي الختمية، جنحت إلى ذاك، كما أشرت إليه .

إذا علمت ذلك، فاعلم أن مكاشفات القلوب لذلك، بذكر لا إله إلا الله، ومكاشفات الأرواح، بذكر الله الله، ومكاشفات الأسرار، بذكر هو هو، وقوت القلوب، ذكر لا إله إلا الله، وقوت الأرواح، ذكر الله الله، وقوت الأسرار، ذكر هو هو، فلا إله إلا الله، مغناطيس القلوب، والله الله، مغناطيس الأرواح، وهو هو، مغناطيس الأسرار، فالقلب والروح والسرّ، بمنزلة درّة في صدفة في حقة، فالحقة بمنزلة القلب، والصدفة بمنزلة الروح، والدرّة بمنزلة السرّ، وإن شئت قلت بمنزلة طائر، في قفص في بيت، فالبيت بمنزلة القلب، والقفص بمنزلة الروح، والطائر بمنزلة السرّ، فمهما لم تصل إلى البيت، لا تصل إلى القفص، ومهما لم تصل إلى القفص، لا تصل إلى الطائر، وكلّ ذلك مهما لم تصل إلى القلب، لم تصل إلى الروح، ومهما لم

تصل إلى الروح، لم تصل إلى السرّ، فإذا وصلت إلى البيت، فقد وصلت إلى عالم القلوب، الذي هو عالم الملكوت، المقابل لعالم الملك، الذي هو عالم الشهادة؛ أعني عالم الدنيا، وإذا وصلت إلى القفص، فقد وصلت إلى عالم الأرواح، الذي هو عالم الجبروت، وإذا وصلت إلى الطائر، فقد وصلت إلى حضرة اللاهوت، وهو عالم الأسرار .

واعلم، أنك متى فنيت عن عالم الشهادة هذا، وهو عالم الملك، الذي قدمناه، وغبت عنه بدخولك في عالم الملكوت، يصير عالم الشهادة غائباً عنك، وعالم الغيوب الذي هو عالم الملكوت، شهادة لك، أي تكون معايناً له، تراه بعين بصيرتك، فعالم الملك ما يرى بعين البصر، وعالم الملكوت ما يرى بعين البصيرة، وهذا عندهم هو الفناء الأول .

ولا يزال في سيره حتى يقطع هذا العالم، لأنه كما أن الوقوف مع عالم الملك حجاب، كذلك الوقوف مع عالم الملكوت حجاب، غير أن الأول حجاب ظلماني، والثاني حجاب نوراني، وأكثر ما يحتاج السالك إلى المشايخ، في قطع هذا الحجاب، فإنه بعض ظهوره ربما ظنّ السالك، أنه وصل إلى المقصود، فينحجب به، وينقطع به .

فإذا جاوز عالم الملكوت، وهو عالم المطلوب، دخل في عالم الجبروت، الذي هو عالم الأرواح، وهذا العالم غيبي بالنسبة إلى عالم الملكوت، فيصير عالم الملكوت له غيباً، وعالم الجبروت له شهادةً، فهذا مبدأ الفناء الثاني .

ولا يزال مستمراً على سلوكه، ملازماً على إقباله، حتى يدخل حضرة اللاهوت، وهو عالم الأسرار، وهذا هو كمال الفناء الثاني، ويسمى فناء الفناء . فيفنى عن الخلق، ويفنى عن فنائه، وهذا هو فناء منتهى سير السالكين، وهو الفناء المحض، ومن هنا يرجع إلى عالم البقاء، المعبر عنه أيضاً بالفرق الثاني، وبالصحو بعد المحو . ويعبر عنه أيضاً، بانصداع الجمع، وبالفرق بعد الجمع، بظهور الكثرة في الوحدة، واعتبارها فيها، ويعبر عنها أيضاً، بمحو المحو، وفناء الفناء، الذي هو عين البقاء، وجمع الجمع، وشهود الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، فيحصل له شهود التفرقة، في عين الجمع حيث لا يكون أحدهما حجاباً عن الآخر، فصاحب هذا المقام، لا يحجبه الحقّ عن الخلق، ولا الخلق عن الحقّ، بل يشهد الحقّ في الخلق، والخلق في الحقّ، فيعطي كلّ ذي حقٍ حقه .

وأما من شهد الظاهر فقط، فإنه فني به عن المظهر، فلم يشهده، وهذا هو صاحب الجمع، والاستهلاك والاضمحلال في الذات البحت، وهو صاحب السرّ الأول من الخلق إلى الحقّ، وهذه المنزلة هي المعبر عنها بالولاية، وكذلك من يشهد المظهر فقط، فإنه يفنى عنه الظاهر، فلم يشهده، وهو صاحب الذوق الأول .

وأما من يشهدهما جميعاً، فهو الذي لم يحجبه حقّ عن خلق، ولا خلق عن حقّ، وهو الراجع من الحقّ إلى الخلق، مع وجود حقاً .

وهذه المنزلة المعبر عنها، بالفتوّة، وفي الفناء والبقاء، والتكميل في الورى، وصاحب هذا المقام، هو الذي له من كلّ المقامات واردات، وفي كلّ الحضرات له مشاهدات، ومن كلّ الأسماء عليه تجليات . فتارة يتكلم بلسان الحقيقة، مع الإستهلاك الصرف، وتارة بلسان الصحو الثاني، فرقاً أو مع شيء من السكر، وهو الذي يصلح للإرشاد، لأن هذا المقام هو مقام إرشاد المريدين، وتربية السالكين، فهذا المقام في الولاية، بمنزلة الرسالة في حق المرسلين، من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنه مقام دعاء الخلق، إلى الله بالله، وهو المشار إليه، مع مقام الولاية، بقوله عليه الصلاة والسلام: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)، (والعلماء ورثة الأنبياء)، والحديث الأول، وإن وقع فيه كلام من علماء الظاهر، فقد تداولته في كتبهم، وعلى ألسنتهم علماء الباطن، ولنا أسوة بهم، ولعله صحّ عندهم من طريق الكشف، كحديث (كنت كنزاً مخفياً)، فقد صححه كشف الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه، في كتابه "الفتوحات المكية" .

ثم يقول الذاكر: (اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، بِقَدْرِ عَظَمَةِ ذَاتِكَ يَا أَحَدُ)، ولا يعلم أحد مقدار ذلك، إلا الله المالك، (ثَلَاثَ عَشَرَةَ مَرَّةً)، وهذا العدد له مدد، يمدّ التالي إلى مراقي درج القطبية والغوثية، كما يعلم من أطلع على درجة الولاية البهية .

ثم يقول الذاكر: (اللَّهُمَّ) أي يا الله: أي أتوسل إليك وأسألك، (بِأَلِفِ الابْتِدَاءِ) إشارة للحضرة العلية، التي ظهرت عنها العوالم الخلقية، وفي

الحديث: (إن الله قبض قبضة من نوره، فقال لها كوني محمداً فكانت)، وعن الحضرة المحمدية كلّ مكنون بدأ، (وَيَاءِ الانْتِهَاءِ) لأن العود إليه كما يعلمه أولو النُهى، وأن إلى ربك المنتهى .

قال سيدي العارف بالله الفرد المغربي، الشيخ محي الدين بن العربي:

انظر إلى العرش إلى مائه سفينة تجري بأسمائه
وأعجب له من مركب سائر قد أودع الحق بأحشائه
يسبح في بحر بلا ساحل في حندس الليل وظلمائه
وموجه أحوال عشاقه وريحه أنفاس أبنائه
فلو تراه بالورى سائراً من ألف الخط إلى يائه
ويرجع العود إلى بدئه ولا نهاية لإبدائه
يكوّر الليل على صبحه وصبحه يفنى بإمسائه
فانظر إلى الحكمة سيارة في وسط الفلك وأرجائه
ومن أتى يرقب في شأنه يقعد في الدنيا بسيسانه
حتى ترى في نفسه فلكه وصنعه الله في إنشائه

(وَبِالصِّفَاتِ العُلَا) أي بصفات الجليل المولى، وكمالاته لا تتناهى، وصفاته للكمالات منتهاها، (وَبِالذَّاتِ يَا أَعْلَى) أي ذات العلي الأعلى، وكنهه الذي هو بغية كلّ حرٍ ومولى، ولا يصل إليه أحد، ولا يحيط به مجلى، (صَلِّ عَلَى سُلْطَانِ المَمْلَكَةِ) المتصرّف فيها وهي بيده ممسكة .

(وَإِمَامِ الحَضْرَةِ المُقَدَّسَةِ) التي فيها الأنوار، والأسرار المحمدية مؤسسة، وهو إمام هذه الحضرة وكل الحضرات، وزمام جميع الدواوين الإلهيات والمنصات، وهي حظيرة في باطن العرش، وفيها سجاجيد من أنوار، كالفرش على ألوان شتى، من أخضر وأحمر وأبيض وأصفر، جالس عليها الرسل والأنبياء، وكبار الأولياء، والعارفين، والأتقياء، وفيها مواضيع خالية، لمن برز، ومن لم يبرز من الأجلاء، وجمع من الملائكة الأجلاء، وبصدرها الرسول ﷺ جالس بأعلى ذراها، مع تعدّد مظاهره، وبجانبه اليمين الخليل، وموسى الكليم، وعيسى .

ويليهم السادات أهل التكريم، وبجانبه الآخر، آدم ونوح وشعيب، ويليهم بعض أكابر الرسل، ليس في ذلك ريب، غير أن الأنبياء، ليسوا كلهم متتابعين، بل في وسط الجمع متفرقين، وموضع يرى فيه برنامج الكمالات، وبجانبه الصدّيق والفاروق وعثمان ذو الخيرات، وعليّ، ويليهم كبار الصحب، والأولياء، وبالجانب الآخر الزهراء، والحسنان، وبعض من له منزلة فخرى .

ويليهم بعض أهل البيت، وكبار المقرّبين، كما يعلم ذلك من له ذوق الواصلين . وإذا حصل اصطفاء لبعض الأكابر، وأراد الحقّ إظهاره في الدواوين؛ أي دواوين الكون العلوية والسفلية، وضع له كرسياً في وسط هذه الحضرة القدسية، وجعل بجانبه منبراً من نور، عليه بهجة بهية، وجلس على ذلك المنبر المصطفى، وقعد على الكرسي، ذلك الوليّ الذي

حصل له هذا الاصطفاء، ونادى جبريل: إن الله أحبّ فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل العوالم العلوية، ويحبوه، ويوضع له القبول في الأرض، ويكون محبوباً عندهم أجمعين، إلا ابن آدم فيتخالف أمرهم فيه، وينتفع به من فتح الله قلبه، وكان نبيهاً .

قال سيدي العارف بالله ابن العربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وببركته عظيم مشربي: (مررت أنا وبعض الأبدال، بجبل قاف، ورأينا الحية المحيطة به، فقال لي البدل: سلّم عليها، فسلّمت عليها، فردّت عليّ السلام، وقالت: كيف حال أبي مدين عندكم ؟، فقلت لها: هل تعرفين أبا مدين؟، قالت: إن الله منذ اتخذه ولياً، لم يبق شيء في الكون، إلا عرفه، إلى آخر الحكاية) . وفي الحديث الصحيح، الذي رواه مسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن رسول الله ﷺ، قال: (إن الله تعالى إذا أحبّ عبداً، دعا جبريل، قال: إني أحب عبدي فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله أحبّ فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)، وفي البعض ذكر نحوه . قال الجدّ الميرغنيّ، كان لي وله الغنيّ:

حم بالحمى القدسي واجلس على الكرسي
وأخرج عن الأكوان حتى عن النفس

يشير إلى هذا المشهد، بهذا الكلام المنشد . وفي الحديث عن عليّ كرّم الله وجهه، أن رسول الله ﷺ، قال: (إن الله تبارك وتعالى جعل حول

العرش، موضعاً يسمى حظيرة القدس، وهو من النور، فيه من الملائكة ما لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، يعبدون الله تعالى عبادة، لا يفترون عنها ساعة واحدة، فإذا كان ليالي رمضان، استأذنوا ربهم عزّ وجلّ، أن ينزلوا إلى الأرض، فيصلون مع بني آدم، فكل من مسهم أو مسوه، سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً) . وهذه الحضرة، هي أجمع حضرات الحق، كما أن حضرة البساط الأحمدي، هي أجمع الحضرات النبوية يعلم ذلك من تحقق .

(المُفِيضِ عَلَى المَلَأِ الأَعْلَى) من الملائكة الكروبيين، المعروفين عندنا بالمهيمين، وهم ملائكة خلقوا من نور الجمال، وغيبوا فيه على التوالي، فلا يفيقون في الدارين، والأفراد على قدمهم في الشهود بلامين، وكذا هو عليه السلام المفيض، على ملائكة التصريف، ولا ملك في العوالم، إلا وله نصير .

(مِنْ وَرَاءِ حُجُبِكَ الجِلَا) أي مددهم، وما به يترقون، والحجب بحسب حال المخلوقين، (مَنْ قَامَتْ بِهِ عَوَالِمُ الجَبَرُوتِ) فجميع أحوالها وأطوارها به لها الثبوت، (وَظَهَرَتْ عَنْهُ عَوَالِمُ المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ)، والملكوت: هو عالم السموات، والملك هو: عالم الأرض، والجبروت: عالم العرش .

واعلم أن كلّ العوالم عنه ﷺ، ظهرت ومنه برزت، ومن نوره خلقت . أخرج الشيخ الأكبر، ابن العربي، أفاض الله علينا من نوره الأفخر، في كتابه المسمى "بلغة الخواص إلى معدن الإخلاص"، عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أنه قال: (سألت رسول الله ﷺ، عن أول شيء خلقه الله تعالى؟، فقال: هو نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق فيه كل خير، وخلق بعده كلّ شيء،

وحين خلقه أقامه قدامه، في مقام القرب، اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحبّ، اثنتي عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع، في مقام الخوف، اثنتي عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر والكواكب من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء، اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق العقل من جزء، والعلم والحكمة من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء، اثنتي عشر ألف سنة، ثم نظر الله عزّ وجلّ إليه، فترشّح النور عرقاً، فقطر منه، مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة، من النور، فخلق الله من كلّ قطرة روح نبيّ، أو روح رسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء، فخلق الله تعالى من أنفاسهم، الأولياء والشهداء والسعداء، والمطيعين إلى يوم القيامة .

فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون من نوري، والروحانيون والملائكة من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، وملائكة السموات السبع من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والتوفيق من نوري، وأرواح الرسل والأنبياء من نوري، والشهداء والسعداء والصالحون من نتاج نوري، ثم خلق الله اثني عشر ألف حجاب، فأقام الله نوري، وهو الجزء الرابع، في كلّ حجاب ألف سنة، وهي مقامات

العبودية والسكينة، والصبر والصدق واليقين، فغمس الله ذلك النور، في كل حجاب ألف سنة، فلما أخرج الله النور من الحجب، ركبه الله في الأرض، فكان يضيء منها ما بين المشرق والمغرب، كالسراج في الليل المظلم. ثم خلق الله آدم من الأرض، فركب فيه النور في جبينه، ثم انتقل منه إلى شيث، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب، ومن طيب إلى طاهر، إلى أن أوصله الله إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب، ومنه إلى رحم أمي آمنة بنت وهب، ثم أخرجني إلى الدنيا، فجعلني سيد المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة للعالمين، وقائد الغرّ المحجلين، هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر. فمن هذا علمت أن جميع المخلوقات، ظهرت من نوره، وغمرها بفيضه وسرّه).

(المُطْمَطَمِ) أي الملآن، (بِالأَنْوَارِ العَلِيَّةِ) من الحضرة الوهبية، (وَالكَنْزِ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ عَلَى الحَقِيقَةِ إِلَّا مَالِكُ البَرِّيَّةِ)، الكنز في الأصل هو: المجموع من المتاع النفيس، من الجواهر ونحوها، والغالب أن يدفن ولا يعرفه أحد، إلا مدخره ودافنه. وهو ﷺ كنز علوم الحقّ، وأسراره ودقائقه الحقية، وكبير أنواره الظاهرة الجلية، ولا يعلم حقيقة جماله إلا مولاه، ولا يحيط بما حواه من الغرائب، إلا من أولاه، وفي الحديث: (والله لا يعرفني حقيقة، غير ربي)، فانظر إلى حقيقة المجتبى.

(تَرْجُمَانِ الرَّحْمَنِ) أي المترجم لهم، عن كل شريعة وحقيقة وعرفان، ولذا قال: (لِعَبَادِهِ بِالإِحْسَانِ) الذي هو بشارة لأهل العرفان، (فِي حَضْرَةِ الامْتِنَانِ) أي ومن حضرة المنة، واسم الله المنان، الصادرة منه كل نعمة،

(بِلِسَانِ اللُّطْفِ وَالحَنَانِ) والرأفة مع إيضاح البيان، (بِقَوْلِهِ: لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا وَتَسْتَغْفِرُوا، لَأَتَى اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ ، أَوْ كَمَا قَالَ) في الحديث، احترازاً من تغيير بعض لفظ الحديث، وعن السيوطي في "الجامع الصغير" ، أنه ﷺ قال: (لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم، يذنبون ليغفر لهم)، وغير ذلك من البشائر والأشائر، ما يعم الأكابر والأصاغر .

(المُكَمِّلِ لِعِبَادِ اللهِ) الطالبين لحضرة الإله، (بِالنَّفَحَاتِ القُدْسِيَّةِ) المتلقي لها من الحضرة الإلهية، المفيضة لأهل المشاهد الجلية . وفي الحديث عنه ﷺ، أنه قال: (تعرّضوا لنفحات ربكم، فإن لربكم في أيام دهركم نفحات)، قال الجدّ الميرغني، في آخر حكمه، في مناجاته: (أسأل الله نفحة، ولو لمحة تقلب ناسوتيتي ملكوتية، وملكوتيتي جبروتية، وجبروتيتي لاهوتيته، ولاهوتيتي إلهية، حتى أتحقق بمقام السمع والبصر والبطش بك، يا الله) .

(وَالمُؤَيِّدِ لَهُمْ بِالظُّهُورَاتِ الأُنْسِيَّةِ)، في ترقيهم إلى الدواوين الإلهية، وذلك أن العارفين، والسالكين أهل التمكين، إذا ضعفت قواهم، عن حمل ما يرد عليهم من التجليات، والأحوال الكماليات، يمدّهم بالقوة سيد السادات، لكن العارفون يظهر لهم المدد الرباني، فيتقوّون برؤيته، (وَالعَرْشِ كَمَا يَلِيقُ بِهِمَا) إذ هو مظهر تجليات الحقّ، وأنواره العلية، كما يفهم ذلك أهل الفتق والرتق . قال شيخنا ذو التقديس، سيدي أحمد بن إدريس، في "صلواته" : (عرش رحمانية الذات) .

(مَنْ ظَهَرَ الرَّبُّ مِنْ أَجْلِهِ مِنَ العَمَا) فلولاه ما خلقت الأكوان، ولا ظهر الحقّ، ولا أبدع الكيان . وفي الحديث القدسي: (لولاك ما خلقت عرشاً، ولا كرسياً ولا جنةً ولا ناراً)، وفي الحديث، حيث قيل له ﷺ: (أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ ، قال: في عماء) .

(ذِرْوَةِ الدَّوَاوِينِ الإِلَهِيَّةِ) أي رأسها وأصلها، عليه مبنى أهلها ورأسها، (تَرْجُمَانِ الحَضَرَاتِ الصَّمَدَانِيَّةِ) والمعبر لهم، عن الحضائر الحقية، والحضرات الصمدانية، وهو معنى قول سيدنا العارف مصطفى البكري، في "منفرجته":

بعماء كنت به أزلاً بمحمد من جاء بالبلج

وقد تكلمنا عليها، في شرح راتبنا، ومن أراد الوقوف على الحقيقة، فعليه به، (رُوحِ المَعَارِفِ) أي سرّ زبدتها، ومنه صدرت (العِلْمِيَّةِ) المفاضة من حضرة اسم الله الرحمن الوهّاب، والعليم الفتاح، (وَمَادَّةِ الحَقَائِقِ النُّورَانِيَّةِ) منه مددها، وهو أصلها وفروعها، فإنها لا تبرز إلا منه، ولا يمدّ بها أهلها إلا عنه .

(المُتَجَلِّي فِي سَمَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ) فلا يظهر الحقّ إلا به، ولا شهد المقربون إلا مجلاه وسرّه . قال العارف سيدي البكري في بعض "صلواته": (من لا تجلى أشعة الله لقلب إلا من مرآة سرّه، وهو النور المطلق، وهو المتخلق بأخلاق الحقّ، كما وصفه في قوله الصدق، وهو (بالمؤمنين رؤوف رحيم)،

وأمر بالتخلق بأخلاق مولاه، فقال: (تخلقوا بأخلاق الله، لتنالوا حال الفناء في الحضرة العلية، التي هي أصل الفناء، وكان ﷺ مفهماً الناس حال كمال فنائه، في الحقّ وشأن الوصول: (لي وقت لا يسعني فيه غير ربي)، فلذا كان يضيق عن حال كمال فنائه، كلّ الكون، ولا يسعه إلا نور الإله . قال بعض العارفين: (الذي ظهر لموسى قدر أنملة الخنصر، من النور المحمدي، المستغرق في حضرة البرّ) .

(وَلَمْ يَفْهَمْ ذَلِكَ سِوَى أَهْلِ الْمُتَّكَآتِ الْبَسْطِيَّةِ) على الأرائك النورانية، في الدواوين الكمالية، والمناظر الفردانية، فإنهم إذا تمكنوا في الشهود، في حضرة المعبود، علموا أن ما شهدوه من وراء حضرة المصطفى، لا يخرق ذلك الحجاب، وهذا هو عين الشقاء . أما من كان في أوائل الشهود، فيظنّ أنه شهد بذلك النور المحمدي، وهو خاطئ ليس في ذلك على الحقيقة مهديّ . قال الغوث سيدي عبد السلام بن مشيش رضي عنه العلاّم: (وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك) .

قال الجدّ الميرغني، أفاض علينا من فيضه الغني، في بعض "صلواته": (الظاهر بك في كل المظاهر) . وقال أيضاً في صلاة أخرى: (مجلى الذات والصفات، ومجمع الأسماء والمسميات) .

(قَلْبِ الْقُلُوبِ الْوَاسِعَةِ لِلْبَرِّ) وهي قلوب الكمل من الأولياء، أهل الفخر . وورد في بعض الأحاديث القدسية: (ما وسعني سمائي ولا أرضي،

وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن)، فهذه القلوب روحها وسرّها الذي وسعت به التجلي، هو نور من الحضرة المحمدية، في ذلك الفؤاد متدلي .

قال العارف البكري :

القلب بيت التجلي   إن لم تكن تدري فادري

قال قطب أهل السطح، أبو يزيد كبير أهل الشطح: (لو اجتمع العالم بما فيه، ألف ألف الف مرة ومثله معه، ما ملأ زاوية من زوايا قلب العارف) . ويظهر لبعض الكمل في ترقيهم، أحوال يشهدون فيه العالم من فرشه إلى عرشه في قلبه، ويشهدون جميع الكون فيه، وأهل مشاهدته الكاملة، ويرى من علوّه بارزاً إليه التجلي، وهذا حال لا يفهمه إلا من ذاق هذا الكمال المجلى .

(وَالقُرْآنِ الَّذِي حَوَى سِرَّ المُقَدَّمِ وَالمُؤَخَّرِ) القرآن معناه الجامع، وهو ﷺ السيد الساطع، جمع العلوم والكمالات، والأسرار والتجليات . قال شيخنا ذو التقديس، سيدنا السيد أحمد بن إدريس، أمدنا الله بمدده النفيس، في بعض صلواته: (قرآن حقائق الذات، وفرقان تجليات الصفات) .

(فَمَا فِي الإِمْكَانِ) لا مطلقاً بل (بِحَسَبِ مَا قَضَاهُ الدَّيَّانُ) وألزم نفسه ذلك، وهو القادر المالك، ولكن أوجب على نفسه، وحتم أن لا يبرز مثله، وبذلك رسم أن لا يرى (أَبْدَعُ مِنْهُ عِنْدَ مَوْلَاهُ) وهذا هو الذي ارتضاه، (وَلَا

عِنْدَ مَنْ تَجَلَّى عَلَيْهِ اللّٰهُ) فإن الكامل في المشاهد، لا يرى مثله أحداً جمع المحامد .

(فَهُوَ البَاطِنُ الَّذِي مِنْهُ يُرَى اللّٰهُ) وهو المتجلى، الذي يشاهد فيه الإله، فلا يرى الحقّ إلا به، ولا يبرز إلا بسببه . قال شيخنا العارف بالله، سيدي أحمد بن إدريس: (وكيف لا يا رسول الله، ومن لوح كنهك، قرأ المقرّبون كلهم حقيقة التجليات) .

(وَهُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي بِهِ يَتَجَلَّى اللّٰهُ) فيشهده العارفون، في كلّ المجالي وعرفوه في كل مظهر جمالي وجلالي . قال بعض الكُمّل في بعض صلواته: (وأظهرته بصورتك، واخترته مستوى لتجليك) . وقال سيدي العارف العكّاف، مولانا القطب سيدي السقّاف، في "صلواته": (ضمن النبيّ ﷺ لمن قرأها الجنة: اللّهمّ صلّ على سيدنا محمد، صاحب الصورة القدسية المنزلة من سماء قدس غيب الهوية) .

(اَللَّهُمَّ بِالسَّاجِدِ عِنْدَ العَرْشِ) أي الذي يسجد يوم الشفاعة الكبرى، في الدار الآخرة، ويمنح المحامد، التي هي محتوية على الثناء الجميل، للملك الجليل، كما في حديث: (فأخرّ ساجداً فأحمده بمحامد يعلمنيها) أي في ذلك الوقت، بحسب تجليه، والأمور الموجبة لأحوال ذلك اليوم وما فيه، (وَمَنْ هُوَ سِرُّ العَرْشِ) الذي من نوره خلق، ومن فيضه فتق، كما مرّ لنا في حديث جابر، وهو أمر مشهور، لذي المخابر الودود .

(ادْخِلْنَا فَوْقَ الفَرْشِ) المتقدّم ذكره في باطن العرش، وفي حضرة القدس، ومحل البسط والأنس، (وَاحْمِلْنَا) حملاً مصحوباً بالعناية، محفوفاً بالرعاية، ليكون ترقينا بك، لا بأنفسنا وأعمالنا، بل بمَنّك، (إِلَى الدِّيوَانِ الأَعْلَى) والمشهد الكبير الأجلى، وهو حضرة ديوان الكبرياء الأقدس، ومجلى الإله الأنفس، مظهر مخاطبات الأسماء، بعضها بعضاً، في إبراز المكونات طولاً وعرضاً، فيقول الاسم مثلاً، الحيّ القيوم أقم، ويقول مثلاً القيوم للحيّ أمد بالحياة وتمم، وهكذا بحسب مظهر كل اسم، يناجيه أخوه، ويبرز ذلك الاسم، ما أبرزه لمتجليه .

وقد ذكر هذا الديوان، سيدي وأستاذي، القطب النفيس، مولاي الشريف، أحمد بن إدريس، في بعض أحزابه، نفعنا الله بسرّه الأنيس، فقال في آخر ذكر ذلك التجلي: (ترجمان حضرة ديوان الكبرياء الأقدس، -يعني به سيدنا محمداً- صاحب الكمال الأنفس)، ويكون يا مولانا هذا الترقي، إلى هذا الديوان المنقى، (مَعَ الدِّيوَانِ الأَجْلَى) الجامع لأسرار المولى، سيدنا محمد واسطة جميع الخواص، الموصل لهم إلى مناهل الاختصاص، (عَلَى بَاطِنِ مَنْبَعِ سِرِّ) مشرب الفيوضات، سرّ كمال القائل في التعبير، عن مشهد له: (إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي)، قال بعض أهل الأحوال: وهو أمر حسي .

وقال بعض العارفين، هو مدد قدسي، والكل صحيح، لمن له تنقيح، ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ومالك أمره، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فإن النهاية إلى حضرته، والغاية هي شهود نضرته.

ثم يقول الذاكر: (الفَاتِحَةَ لِرُوحِ النَّبِيِّ ﷺ)، وله مدد عظيم وشأن فخيم، يشاهد ذلك من له نظر مستقيم، وقلب سليم. ثم يقرأ الذاكر: (الفَاتِحَةَ لِلْخَتمِ السَّيِّدِ مُحَمَّد عُثْمَانَ، وَأُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ وَمَشَايِخِهِ أَجْمَعِينَ) ويجد لها من الكل مدداً جليلاً، وفيضاً جميلاً، إن كان من أهل البصائر الخارقة، والقلوب الجامعة الفارقة. ثم يقرأ الذاكر: (الفَاتِحَةَ لِسَائِرِ أَوْلِيَاءِ اللهِ أَجْمَعِينَ) ولابدّ أن تهبَ له نفحات من هؤلاء السادات.

واعلم أيدك الله بروح منه، ولا أخلاك وقتاً عنه: أن هذا الذكر هو الأساس الصغير، وهو لكل سالك فخيم، من بلغ العام والخاص، وأما من طلب مقام الخواص، وتوجه للاقتناص ونيل ما في الأقفاص، لابدّ له، أسعدك الله، من الأساس الكبير ذي الفيض الغزير، وله ثلاثة أوجه: صغرى، ووسطى، وكبرى.

(فالصغرى): يأتي بـ(الحمدلة)، و(الصلاة المتقدمة)، في أوّل الأساس هذا، ثلاثاً ثلاثاً، ثم (الاستغفار المتقدّم)، بصيغته سبعين مرة، ثم (التهليل) خمسمائة مرة، نصف بالقلب، ونصف باللسان، ثم (الله الله)، خمسمائة مرّة، نصف بالقلب، ونصف باللسان، ثم: (هو هو)، خمسمائة مرة، نصف بالقلب، ونصف باللسان، ثم: (حيّ قيوم)، خمسمائة مرة، نصف بالقلب،

ونصف باللسان، ثم يقرأ: (اللّهمّ صلِّ وسلّم وبارك، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، بقدر عظمة ذاتك يا أحد)، ثلاثة عشر، أو خمسة وعشرين مرة، ثم: (اللّهمّ بألف الإبتداء)، ثلاث مرات، ثم (الفواتح الثلاثة) المتقدّمة .

(وأما الوسطى): فيأتي أوّلاً، بـ(الحمدلة)، و(الصلاة) و(الفاتحة) في أول الأساس، سبعة سبعة، ثم (الاستغفار) المذكور سبعين مرة، ثم (التهليل)، و(الاسم المفرد)، و(الهوية)، و(الحيّ القيوم)، كل واحد على حدته ألفاً، نصف بالقلب، ونصف باللسان، ثم: (الصلاة الذاتية) المتقدمة، ثلاثاً وستين، ثم: (اللّهم بألف الإبتداء)، ثلاثة عشر، ثم: (الفواتح)المتقدمة .

(وأما الكبرى): فيذكر (الحمدلة)، و(الصلاة)، التي بعده، المذكورتين في أوّل الأساس، سبعة سبعة، ثم: (الاستغفار) مائة، ثم: (الكلمة)، و(الاسم المفرد)، و(الهوية)، و(الحيّ القيوم)، كلّ واحد ثلاثة آلاف، كل عدد منهم نصف بالقلب، ونصف باللسان، ثم: (الصلاة الذاتية)، ثلاثمائة وثلاثة عشر، ثم: (اللّهمّ بألف الإبتداء)، ثلاثاً وستين، ثم: (الفواتح الثلاثة) المتقدمة .

ولنا أذكار في الليل والنهار، ورواتب وتوسلات، جمعنا الكلّ في رسالة، شرحناها .

وها هنا، قد انتهى الكلام، على آخر الأساس، سُبحانك اللّهمّ، وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

١٥

شرح الراتب

المسمى

الأسرار المترادفة من الدواوين الإلهية

تأليف

السيد محمد عثمان الميرغني الختم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، الذي جعل الذكر في الصباح والمساء، من أعظم القربات، وأيّد ذلك المصطفى بأمور مترادفات، أحمده على أن أذن لنا، في تأليف حزبٍ جامع، وأشكره على ما أشاعه في الناس، وجعله خير نافع، وأشهد أن لا إله إلا الله، العظيم الرافع، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، المشفع الشافع، صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله وصحبه، النجوم السواطع .

(أما بعد)، فيقول: من قد رقي الحضرات، المترجم بالعبارات، الراجيّ لعدم الالتفات، ختم العارفين الثقات، الشريف المكي، محمد عثمان صاحب الزلات، ابن السيد محمد أبو بكر، غفر الله لهما السيئات، آمين:

إنه قد سألني جمّ غفير، وملأ كثير، أن أجعل شرحاً، على راتبنا، الحائز للخير العميم، منذ سنوات، فامتنعت لأمور متعددات: منها عدم الإذن المساعد، ومنها أني لست ممّن له باع ناجد، منهم الفقيه، يوسف العالم العلامة، المعروف بصاحب الطريقة في الحبشة، ومنهم آخرون من تلك الديار، ومنهم بالحجاز جماعة، ومنهم بديار مصر، سيدي العالم العلامة، عبد الرحمن القلتي، ومنهم محمد صادق أفندي، ومنهم جمع، من أجلاء العلماء والعمل، ومنهم جمع بدنقلا أهل وجْل، ومنهم بكردفان؛ فمن أجلاء أهلها، الفقيه العالم العلامة عربي، خطيبها المحيي، ومنهم الفقيه العالم

العامل، إبراهيم البرقداوي، ومنهم الشاب الفالح، ولدنا الفقيه صالح، ابن الفقيه النور، ومنهم جمّ غفير .

فلم أزل بعد سؤال هؤلاء، وغيرهم في جملة أقاليم، أتردد إلى أن وقع الإذن والتكريم، وذلك يوم الإثنين، في شهر الحج، بعد صلاة الظهر، يوم سبع وعشرين، ونحن في قراءة الأساس ذي التمكين، وخلع الأنس من حضرات القدس، وبشرت أن ينتفع به، كمثل ما انتفع بأصله قبله، فجعلته تعليقاً مختصراً بحسب ما ظهر، وبُشّرت أنه بعد زمان، سيقع الإذن بشرح ذي لمعان، فأسأل من وقف عليه، ورأى فيه خللاً أن يصلحه، ولا يتعدى عليَّ بحرمة الأجل، وسميته: (الأسرار المترادفة، من الدواوين الإلهية، تعليقاً على راتبنا الأنوار المتراكمة، من الحضرة الوهبية والخيرات السارية، بدعاء جملة من الأولياء المحمدية) .

جعله الله خالصاً لوجهه الكريم، ونفع به عباده، فإنه وهّاب عظيم، فنقول:

اعلموا معاشر المنتسبين، أيّدني الله معكم بنور القدس، وأخرجنا من دائرة مقامات النفس، وطهّرنا بجوده من مناظر اللبس، أن الله اختار قوماً لولايته، وذلك من محض عنايته، وجعل لك فرد منهم أسراراً . فمنها ما يؤذن بظهوره، ومنها ما يحتاج إلى إسراره، واختار منهم معشر الدعاية العبّاد، وتفضل عليهم بكمال الإسعاد، وجعل من هؤلاء قوماً، لهم بعض أحزاب وأذكار، نائلين لها من الكتاب والسنة والإلهام بمقدار، ثم اختار من تلك

الأحزاب بعضاً للظهور، في كثير من الديار للإمداد، فجلّ من متفضل وهّاب، فأظهر كل واحد منهم أمره المعلوم، في وقت أجله المحتوم، حين وصلت المدة المعينة، لهذه الذات الختمية، فأبرز هذا الحزب العظيم، وما مضى عليه خمسة أعوام، من وقت تأليفنا لهذا التعليق، إلا وملأ أكثر الأقاليم، وكل ذلك بفضل مولانا الكريم .

ثم لتعلموا، أن نقدم لكم بعض فضائله وترغيبه، ولنحثكم على ما وهبتم من تقريبه .

فمنها: أننا لم نضع شيئاً منه إلا بإذنٍ إلهي، وسرّ محمدي، وكل ترتيبه كذلك، فاعلموا لهداية المالك، حتى إني كنت أكتب نبياً رسولاً، فقال لي المصطفى: نبياً ورسولاً .

ومنها: أنه ﷺ ضمن لمن واظب عليه، أن يموت على الإيمان .

ومنها: سرّ قولي والخيرات السائرية، بدعاء جملة من الأولياء المحمدية، أني قرأت الفاتحة له مع الدعاء، مع جميع أولياء التصريف، وقرأه ما ينوف على ثلاثمائة من أولياء اللطيف، ومن أهل البرزخ، كذلك جمل من أقطاب كبار . والحاصل، أن فضائله كثيرة .

ومنها: أن بعض إخواننا رأى النبي ﷺ، يخاطبني في أن أجلس معه على سجادة، فامتنعت، إلا أني قلت له: لا أجلس، حتى تضمن لي يوم القيامة، جميع أهل الراتب، فقال ﷺ: ضمنتهم لك .

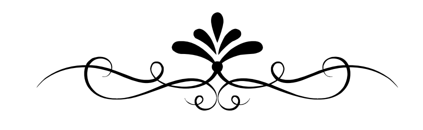
ومنها: أنه قال ﷺ لبعضهم: حثوا الناس على هذا الراتب، ومروهم يتعلمونه، ويقرءونه، ويعلمونه أولادهم، وأولاد أولادهم .

ومنها: أن بعض إخواننا، هتف به هاتف، من جهة سدرة المنتهى، في منامه، وأشار له: الجنة أعلى الجنان، إنها لأهل الراتب .

ومنها: ما رواه جماعة أنه ﷺ، يخلع النور لأهل الراتب .

ومنها: شهود الصالحين وخلع النور، يقظة على أهل الراتب .

وثم أمور، يجب إلقاء الستر عليها، ومن أراد ذلك، فعليه بكتاب "جمع الرؤى"، من جهة أهل انتسابنا .





شرح الراتب

(أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ، مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) بدأ المؤلف بالاستعاذة، لقول الله: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) . والشيطان إما مأخوذ من شطن إذا بعد، فتكون نونه أصلية، ووزنه فيعال، فيكون مصروفاً، أو من الشيطان المحترق بالنار، فيكون مأخوذاً من شاط، إذا احترق، فتكون نونه زائدة، ووزنه فعل، فيكون ممنوعاً، ويطلق على كل متمرّد، من الجن والإنس والحيوان؛ والرجيم بمعنى المرجوم: أي المطرود من رحمة الحقّ .

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) ثنى بالبسملة، لقول النبي ﷺ: (كل أمر ذي بال، لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، فهو أجذم) ، وفي رواية: (فهو أقطع)، قال المحدثون: أي ناقص وقليل البركة؛ ومعنى ذي بال: أي شأن يهتم به، ثم قال: (يبدأ) فعل مضارع، فإن ضممتَ الياء، وجعلته على وزن يفعل، فالإشارة للراتب، أي يبدأ هذا الراتب (بِالفَاتِحَة) وإن فتحت الياء، وجعلته على وزن يفعل، فالإشارة للقارئ، ومقصوده بالبدء، بعد البسملة البدء الإضافي .

والفاتحة؛ قال بعض المفسرين: (السبع المثاني)، وورد: (أنها تعدل ثلثي القرآن)، ويكفيك أنها بدئ بها الكتاب . قال البخاري: (أم الكتاب؛ لأنها يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة . وورد عن

سعيد بن المعلّى: (كنت أصلي في المسجد، فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، إلى أن قال: فقال لي: (ألا أعلّمك سورة، هي أعظم السور في القرآن؟، إلى أن قال: فقال لي: (الحمدُ لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم، الذي أعطيته) . وروى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أنه قال: (فاتحة الكتاب، تعدل ثلثي القرآن) . وأورد الديلمي في "الفردوس"، أنه قال عليه الصلاة والسلام: (فاتحة الكتاب تجزي ما لا يجزي شيء من القرآن، ولو أن فاتحة الكتاب، جعلت في كفة الميزان، وجعل القرآن في الكفة الأخرى، لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن، سبع مرات) .

ثم قال: (وَآيَةَ الكُرْسِيّ) وفضائلها عظيمة، قال عليه الصلاة والسلام: (من قرأ آية الكرسي، دبر كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة، إلا أن يموت) . وورد: (أن من واظب عليها، بعد كل صلاة، أن الحق يتولى قبض روحه بيده) .

وقد أمرنا إخواننا بقراءتها، عقب كل فريضة، مع تقديم قبلها: (اللّهمّ إني أقدم إليك)، لما ورد في نوادر الأصول: (لقي جبريل، موسى عليهما السلام، فقال جبريل: إن ربك يقول: من قال دبر كل صلاة مكتوبة، مرة واحدة: (اَللَّهُمَّ إِنِّي أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ، كُلِّ نَفَسٍ وَلَمْحَةٍ وَلَحْظَةٍ، وَطَرْفَةٍ يَطْرِفُ بِهَا أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الأَرْضِ، وَكُلِّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ، كَائِنٌ أَوْقَدَ كَانَ، أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ) ، و (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ) إلى

(وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ)، فإن الليل والنهار، أربع وعشرون ساعة، ليست منها ساعة، إلا ويصعد إليّ منه، سبعون ألف ألف حسنة، حتى ينفخ في الصور، وتشتغل الملائكة بذلك) .

وقال عليه الصلاة والسلام: (إن أعظم آية في القرآن؛ آية الكرسي، من قرأها بعث الله له ملكاً، يكتب من حسناته، ويمحو من سيئاته، إلى الغد من تلك الساعة)، وقال عليه الصلاة والسلام: (ما قرئت هذه الآية في دار، إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً، ولا يدخلها ساحرٌ ولا ساحرة، أربعين ليلة، يا عليّ علّمها ولديك، وأهلك وجيرانك، فما نزلت أعظم منها)، وورد: (إن سيد الكلام القرآن، وسيد القرآن سورة البقرة، وسيد سورة البقرة، آية الكرسي)، إلى غير ذلك من الفضائل .

ثم قال: (لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ)، إلى آخر البقرة . واعلم أنه قد ورد: (الفاتحة، وآية الكرسي، وهذه الآية، أنزلت من كنز تحت العرش)، وورد: (أن من قرأ الآيتين، من آخر سورة البقرة، في ليلة كفتاه) . وقال عليه الصلاة والسلام: (علموها نساءكم وأبناءكم، فإنها صلاة وقرآن ودعاء)، وقال عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : (ما أعلم أحداً يعقل، دخل في الإسلام، ينام حتى يقرأ الثلاث آيات من سورة البقرة) . فأما الآيتان اللتان؛ في لفظ الحديث من قوله: (كفتاه) أي في قيام الليل، فهما (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ) إلى آخر السورة، وأما الثلاثة الأخرى، فهي قوله: (لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ) إلخ .

والحاصل، أن المقصود الاختصار، إذ كلّت الهمم من الإكثار، وتركنا تفسير السور والآيات، لأن القصد معرفة الفضائل المباركات، ومحلّ تفسيرها في مظانه فراجعه .

تنبيه: لعلك تقول: لِمَ اختار المؤلف الاشتغال بالحزب، في الصباح والمساء، ولم يطلقه في وقت ما يتيسر؟ .

لأمور: منها: أنه كان أحب الأعمال إليه عليه الصلاة والسلام، ما واظب عليه وإن قلّ، فإذا لم يتأكد بوقت معلوم، لعلك تترك أوقاتاً، ومنها: النظر لقوله عليه الصلاة والسلام: (لذكر الله بالغداة والعشي، أفضل من حطم السيوف في سبيل الله تعالى، ومن إعطاء المال سحاً) . وأما تعيينه في الوقتين، أحدهما بعد صلاة الصبح، والآخر بعد صلاة المغرب؛ فاختيارنا للوقت الذي بعد صلاة الفجر، لما ورد: (أنه من صلّى الصبح في جماعة، وجلس في مصلاه، إلى أن تطلع الشمس، يذكر الله كتبت له حجة تامة) . وأما اختيارنا له بعد المغرب، فلأنه يطلب الاشتغال فيه، بذكر أو قراءة أو صلاة، لأنه وقت اشتغال الناس .

ولعلك تقول: لم جُعِل جماعة، ولم يجعل لكل أحد منفرداً؟ .

قلنا: لما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام: (ما قعد قوم يذكرون الله، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله في ملأ عنده) . وقال عليه الصلاة والسلام : (إذا مررت برياض الجنة؛ فارتعوا، قيل: وما رياض الجنة؟، قال: حلق الذكر)، وفي الحديث الطويل:

(إن لله ملائكة سيّارة؛ يطلبون مجالس الذكر)، ثم ساق الحديث، إلى أن قال: في آخره: (يقول الله تعالى للملائكة، أشهدكم أني قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما يسألون، وأعذتهم مما يستعيذون، فتقول الملائكة: فيهم فلان عبدٌ خطّاء، إنما مرّ فجلس معهم، فيقول الله تعالى: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) . قال الحدّاد: (واختار جماعة، من أهل طريق التصوف، الجهر بالذكر والاجتماع عليه، وآخرون اختاروا قول الحقّ: (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال) ، ثم ترجح ذكر الصباح والمساء، واختار قوم الإسرار، والكل لهم شأن ومقدار .

ثم قال: (شَهِدَ ٱللَّهُ) إلى (ٱلۡإِسۡلَٰمُ)، قال رسول ﷺ: (يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله عزّ وجلّ، إن لعبدي هذا عندي عهداً، وأنا أحقّ بوفاء العهد، أدخلوا عبدي الجنة) .

ثم قال: (قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ) إلى (بِغَيۡرِ حِسَابٖ)، هذه الآيات فيها من الخيرات والأسرار، ما لا يدخل تحت حصر، وقد ورد أن فيها الاسم الأعظم .

ثم قال : (يَا رَبُّ)، والرب: هو الذي يربي عباده بإحسانه، ويصلح شؤونهم، وتربيته سبحانه لا تخفى، وهو السيد، والقائم بالأمر . ثم قال: (يَا رَحْمَنُ)، والرحمن: هو الذي تفضل على عباده، بأنواع نعمه، ووسعت رحمته كل شيء، وسبقت رحمته غضبه . (يا عَظِيمُ)، والعظيم: هو البالغ أقصى مراتب العظمة، لا نسبة لأحد معه، في علو شأنه .

ثم قال: (أَسْأَلُكَ) أي أطلب من محض تربيتك بالإمداد، ورحمتك بالاستعداد، وعظمتك يا جوّاد . (تَجَلِّياً) والتجلي: هو ما يرد على قلوب العارفين، من أنوار إلهية، من حضرات الأسماء والصفات، والتمكين . (يُذْهِبُ عَنِّي حُجُبَ النَّفْسِ الظُّلْمَانِيَّةَ) والحجاب: ما ستر المطلوب، عن عين طالبه، وحجب النفس، ثلاثة آلاف حجاب، كل حجاب سنة: أي يحتاج لمكابدة سنة، إلا أن الله تعالى يخفف المعنى لأوليائه، بمحض عنايته؛ وقصد أوّلاً الحجب الظلمانية، لأنها قبل النورانية، والحجب هي بالنسبة إلى العباد، وأما الحق تعالى، فلا يحجبه شيء .

ثم قال: (يَا فَرْدُ) من لا يحتاج إلى وزير، في تصريفه بأسمائه تعالى، وأفعاله وصفاته . (يَا أَحَدُ) أي بذاته العلية، (يَا نُورُ) إذ من نوره أضاءت العوالم العلوية والسفلية: أي يا فرد مُدَّني من حضرة الفردانية، في التحقق بمقام الفردية، يا أحد أفض عليَّ من حضرات الأحدية، ما أستعدَّ به لظهور الأنوار الكبريائية .

يا نور (تَجَلَّ لِي بِالتَجَلِّيَاتِ الصَّمَدَانِيَّةِ)، ثم طلب التجليات الصمدانية، الجامعة لسائر التجليات، والأنوار والأسرار، واللطائف المحتوية عليها هذه الحضرة البهية .

قال سيدي محي الدين بن العربي، في كتابه "مواقع النجوم"، فيما يتضمنه هذا التجلي الصمداني، الذي هو كناية عن سرّ هذه الحضرة وعظمتها: (اعلم، أن لهذا التجلي الصمداني الوتر، ثلاثاً وثمانين مقاماً، وثلث

مقام، فأما قولي: وثلث مقام، أي لأنه لا ينال منه إلا هذا المقدار، وله من المنازل، مائة ألف وثمانون ألفاً، والضيائيات مثل ذلك، وله من اللمحات، سبعة آلاف ألف ألف وأربعون ألف لمحة، النورانيات منها ألف منزل.

ومن الحضرات، أربعة آلاف ألف حضرة، ومن التجليات ثلاثمائة ألف تجلّ وستون ألفاً، النورانية منها أربعة آلاف ألف لمحة وثمانمائة ألف لمحة وعشرون ألف لمحة، والضيائيات مثل ذلك .

وله من الدرجات العلى، ألف ومائتا ألف ألف درجة وتسع وثمانون ألف ألف درجة، ومائة ألف ألف درجة، النورانيات منها مائة ألف ألف وأربع وأربعون ألف الف زلفة، وستمائة ألف زلفة، والضيائيات مثل ذلك.

وله من الأسرار، خمسمائة ألف ألف سرّ، وثمانية وتسعون ألف ألف سرّ، وأربعمائة ألف سرّ، النورانيات منها مائة ألف ألف سرّ وتسع وثمانون ألف ألف ومائتا ألف ألف سرّ، والضيائيات مثل ذلك .

وله من اللطائف، ألف ألف ألف لطيفة، ومائة ألف ألف لطيفة وستة وتسعون ألف ألف لطيفة وثمانمائة ألف لطيفة، النورانيات منها خمسمائة ألف ألف لطيفة، وثمانية وتسعون ألف لطيفة وتسعون ألف ألف لطيفة وثمانمائة ألف لطيفة، والضيائيات مثل ذلك .

وله من الحقائق، ألف ألف ألف حقيقة وثلاثمائة ألف ألف حقيقة وثلاث وتسعون ألف ألف حقيقة وستمائة ألف حقيقة، النورانيات منها

ألف ألف ألف حقيقة، ومائة ألف ألف حقيقة، وست وتسعون ألف ألف حقيقة، وثمانمائة ألف حقيقة، والضيائيات مثل ذلك .

ثم في كل فصل من هذه الفصول، سر وحقيقة أو لطيفة أو حضرة أو منزل أو تجلّ: دقائق ورقائق على عدد ما يحويه الفضل، من الأسرار واللطائف، فتحقق وتخلّق عسى أنك تلحق، واستمسك بالعروة الوثقى، التي لا انفصام لها، والله يريدك في سلوكك، ويجمع لك بين ملكك ومليكك آمين، وعلى الله قصد السبيل) . انتهى كلامه . فانظر لما احتوى عليه هذا الراتب من الفضل العظيم، والخير العميم .

ثم قال: (يَا مُعْطِي) المعطي هو الذي يعطي في مقابل السؤال، وغير ذلك: أي أعطني بحق عظمة الإعطاءات، الإلهية الهبائية . (يَا بَاسِطُ) وهو المتفضل على عباده بالانبساط، في المأكل والمشرب، وسائر النعم على حسب كثرتها: أي ابسط عليَّ، بسط يديك العلية . (يا وَاسِعُ) وسّع عليَّ إمداداتك السنية . (واجْعَلْ) هذا العطاء انبساطه، ووسعه ينتج لي كال الانصلاح القلبي، الذي يهيئ (قَلْبِي) بأن يكون بيتاً: أي مظهراً لتجليك، ومستوى لأنوار تدليك، قال جلَّ شأنه: (ما وسعني سمائي ولا أرضي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن) . قال المرتجي، كال البرِّ، سيدي مصطفى البكري:

القلب بيت التجلي ... إن لم تكن تدر فادري
وهو عرش استوى ... وهو كرسي التدلي

والقلب، كما قال الحكماء: مضغة لحمية، تحت الثدي الأيسر، ثم طلب أن يكون قلبه (مَمْلُوءاً بِالأَنْوَارِ الرَّحْمَانِيَّةِ) لأنها تكون لطيفة، ومعها البقاء لذاته، لأنه إذا كان تجلي كبرياء، يكون نوره محرقاً، والأنوار الرحمانية هي صادرة من التجليات الرحمانية: أي اجعلني مظهر اسمك الرحمن في الوجود، مُتخلقاً به على كل موجود، لأن من تخلق بالرحمة، نال خير الدارين .

واعلم، أن الأنوار أقسام: منها ما يكشف به، ومنها ما يغاب فيه، إلى آخر أقسامها . ثم قال: (يَا حَفِيظُ) من أسمائه تعالى أيضاً، وهو الذي يحفظ عباده من الآفات، ولا يشغله حفظ أحد عن أحد، فجلّ من وهّاب الهبات . ثم قال: (يَا كَرِيمُ) هو ذو الجود، رفيع القدر، الذي لا يرد سائلاً، وله الصفات الحسنى، من كل وجه . ثم قال: (يَا وَهَّابُ) وهو المتفضل من غير عوض ولا طلب، يهب من خزائن كرمه، البركات والخيرات، فكأنه يقول: يا حفيظ احفظني بسرّك الأزلي، وأكرمني من خزائن كرمك الأبدي، وتفضّل عليَّ من مواهب جودك السرمدي . (وَهَبْ لِي) وهو فعل طلب: أي بأن تُصلحنِي إصلاحاً يحصل لي به (مِنْ نَفْسِي) الذي إذا صلحت، تكون هي حضرة قدس، وذلك (فُرْقَاناً أَهْتَدِي بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ الكَوْنِيَّةِ) أي نوراً، أفرق به بين الحق والباطل؛ إذا أراد الله بعبده خيراً، جعل له واعظاً من قلبه، يأمره وينهاه، ومقصوده أن ينال سراً نورانياً، إذا وصل لكشف الكائنات، يكون محركه عنها، لئلا يقف مع زينتها، كما قال ابن الفارض:

قَالَ لِي حُسْنُ كُلِّ شَيْءٍ تَجَلَّى   بِي تَمَلَّى فَقُلْتُ قَصْدِي وَرَاكَا

(وَارْزُقْنِي الاطْمِئْنَانَ) فعل وفاعل ومفعول: أي حققني بالسكينة، في قلبي حتى لا ألتفت لشيء، من الحركات الكونية، واجعل ذلك بذكرك الموهوب للقلوب، إذ اطمئنانها به، كما قلت: (أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ)، نعم، إذا وصل نور المحبوب إلى سرّ العبد، صار الذكر عنده هو المطلوب، والذكر هو مفتاح الأبواب، ومحل وصال الأحباب، رحم الله بعضهم حيث يقول:

والذكر أعظم باب أنت داخله   لله فاجعل له الأنفاس حراسا
والقلب أفضل بيت فيه تذكره   فكن له في جنان القلب غرّاسا

ورحم الله بعضهم، حيث يقول: (عليك بذكر الله، في السرّ والجهر) . فأسألك ذلك (يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ) لا نافية، تأخذ فعل مضارع، والهاء ضمير يعود على الله . (سِنَةٌ) السِّنة: ما يتقدم النوم، من النعاس، كقول عدي: في عينه سنة، وليس بنائم .

(وَلَا نَوْمٌ) النوم حالة تعرض للإنسان، من استرخاء أعصاب الدماغ، بسبب رطوبات الأبخرة المتصاعدة، فتمنع الحواس الظاهرة عن الإحساس، كما عرّفه الأطباء، فالله سبحانه منزّه عن ذلك . وهو(عَلَّامُ الغُيُوب)، قال سيدنا عيسى عليه السلام: (تعلم ما في نفسي)، فسبحانه يعلم السرّ وأخفى،

ويعلم ما فوق السموات وما تحت الثرى، لا تخفى عليه خافية، فنسأله أن يعطينا من أسراره، ما تحصل به مراتب خواص أحبابه، آمين .

(وَعَرِّفْنِي) تعريف علم وعمل وتحقق، (بِالعُلُومِ) الإلهية كلها، وحقيقتها لا يحصرها إلا الله ، فنقول: عبارة جامعة للعلوم الظاهرة والباطنة، فالظاهرة كتاب وسنة، ومعرفة أحكام شرعية، وأدلتها الباطنية ما يرد على قلوب الأولياء، من الإلهامات المشار إليها بـ (اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله)، ومشهده ذلك من باطن محمدٍ ﷺ، المتحقق بالعبودية لمولاه، (الكَمَالِيَّةِ) وقد مرّ التعريف، ومقصوده القدم المحمدي علماً وعملاً، حتى يكون داخلاً لأسرار القطبانية، والمراكز الجمالية والجلالية الكبريائية العظيمة .

(حَتَّى أَكُونَ) حتى ناصبة، أكون فعل مضارع منصوب، بأن مضمرة بعدها، (وَارِثاً لِلحَضْرَةِ الأَحْمَدِيَّة) قال عليه الصلاة والسلام: (العلماء ورثة الأنبياء)، ومثلهم في قوله: (كأنبياء بني إسرائيل)، والمقصود بهم الجامعون للشريعة والحقيقة، القائمون على القدم المحمدي، فإنهم في أذواق عظام، خاضوا بحار عظمات، بالخلع المحمدية، وأعطوا هبات بواسطتها بهية، فطلب هذا القدم، الذي إذا قام فيه، يكون إماماً أعظم، وغوثاً أفخم، فيعرف في العوالم، ويشهد للمعالم . قال أبو حامد الغزالي: (رأيت موسى عليه السلام ، فقال لي: ما اسمك؟، قال فقلت: محمد بن محمد بن محمد، قال: (سألتك عن اسمك، فأجبتني عن اسمك، واسم أبيك، وجدك)، فقال له الغزالي:

أنت قال الله لك: (وما تلك بيمينك)، فقلت: (هي عصاي أتوكوا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى)، فكان يكفيك هي عصاي، فقال له: صدق نبيكم، حيث قال: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) .

(سُبْحَانَكَ أَنْتَ اللهُ تَعَزَّزْتَ بِالوَحْدانِيَّةِ) فجليت يا من انفردت بتجليات منك لك، وبذلك تعززت، فلم يعلمها أحد غيرك، وأبرزت منها أحمد عبدك، فلم يشاركه في ذلك إنس ولا ملك، فالأحدية حضرة فيها يتجلى الحق لنفسه، والوحدانية تجليه لنبيه، والفردية تجليه لعباده .

تنبيه

الحضرات تجمع المقامات والمنازل، فالمنزل كناية عن مشهد، يشهد العبد فيه تجلي الحق، ولا يطول فيجد فيه من العلوم والأسرار، ما شاء الله، وكل منزل بحسب تجلٍّ من اسم .

والمقام: كناية عن موضع، يطول فيه العبد، فيشهد أنواعاً من الكائنات، وأنواعا من علومها، ويشهد مقامات الرجال وأسرارهم؛ فالمقام كوني، والمنزل إلهي، المقام صحو، والمنزل محو .

والحضرات تجمع جملة منازل، بحسب تجلياتها، فكل حضرة لها منازل، كثيرة تجلياتها ومشاهدها، ولكن ليس لكل تجلّ منزل خاص، بدليل المنزل يجمع تجليات جماعة، كما أن الحضرة تجمع منازل جمة .

وأما المقام، فنسبته إلى الحضرات، نسبة لإمدادها لها، واستمدادها منها، فكل مقام مستمد، من وجه من آحاد، ووجوه من حضرة؛ ونسبته إلى الحضرة، إلا أن إمدادها إليه أكثر من غيرها من الحضرات، وإلا فالمقام يستمد من حضرات متعددة؛ كما أن الحضرة تمد مقامات جماعة، تأملوا هذه العبارة، فعلكم لا تجدوها لغيرنا، والله يتولى هدانا وهداكم .

(لَكَ) يا من أنت المستحق . (الحَمْدُ) والحمد هو: الثناء باللسان على الجميل الاختياري، وعندنا هو: زيادة التحقق بالعبودية، (كَمَا يَنْبَغِي) أي يطلب بحسب إهداء نعمك، التي لا تحصى، وآلائك التي لا تنقضي، وذلك (لِصِفَاتِكَ) على قدر، بقدر إمدادها وكثرة إسعادها (العَلِيّةِ) وصفاتك، هي المحققة بالعلو قدراً، وغيرها وإن نال العلو فهو مجاز .

(فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ) إلى (تُخۡرَجُونَ)، قال بعض المفسرين: (هذه الآية، إشارة للأوقات الخمسة، وأتي بهذه الآيات الحاوية للتسبيح العظيم، كأن مقصوده التسبيح، ولا أعظم من التسبيح، الذي هو في القرآن الكريم) .

ثم قال: تسبيحاً آخر، وهو من أعظم الآيات والتحكيم: (سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ) أي الغلبة التي أحد (عَمَّا يَصِفُونَ) نزّه الكبير نفسه، عما يصفه به الكفار، مما لا يليق به جلّ وعزّ، إذ هو الواحد الأحد، المستغني عن الصاحبة والولد، وتقول من أسراره لأنه نزّه نفسه، عن أوصاف عباده العارفين، من حيث تجليات ذاته، عن أنهم نالوا نفسه الشهود الكنه الجلالي، واعرف الحق معرفة، تليق بأنواع تجليات الكمال، لكن قال: (وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ) فإنه عرفوا معرفة تفيد لكمال الأدب، مع النبيين؛ فكثرت عبادات الأولياء المستغرقين، وقلت شطحات الأنبياء والمرسلين، فتراهم حفظوا أسرار الغايات، وبلغوا الشرائع بإثبات، فالشكر لهم على

تلك المزيات، ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الذي منَّ عليهم بذلك التمكين، ودمّر بهم الكفار، وأظهر بهم الدين . قال في حلية الأبرار عن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أنه قال: (من أحبّ أن يكتال بالمكيال الأوفى، فليقل في آخر مجلسه أو حين يقوم: سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون، إلى آخره)، ذكره النووي .

ثم قال: (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ)، ثواب هذه الصيغة وفضلها لا يعد، ولا تبلغ نهايته، فهي من الكنوز .

ثم قال: (سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ المِيزَانِ، وَمُنْتَهَى العِلْمِ، وَمَبْلَغَ الرِّضَى، وَ زِنَةَ العَرْشِ)، ذكر سيدي عبد الله الميرغني، أن رسول الله ﷺ قال: (من سرّه أن يفسح الله له في أجله، وينصره على عدوّه، ويوسّع له في رزقه، ويوقى ميتة السوء، فليقل حين يصبح، وحين يمسي، ثلاث مرات: سبحان الله ملء الميزان، إلى آخر الصيغة) .

ثم قال: (سُبْحَانَ الدَّائِمَ القَائِمِ، سُبْحَانَ القَائِمِ الدَّائِمِ، سُبْحَانَ الحَيِّ القَيُّومِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانُ المَلِكِ القُدُّوسِ، سُبْحَانَ رَبِّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ)، ورد أن رسول الله ﷺ قال: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) .

وقال: يقرأ في راتب الصبح: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهاً وَاحِداً أَحَداً، فَرْداً صَمَداً ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)، ذكر الجد سيدي عبد الله الميرغني، في كتابه "جواذب القلوب"، أن رسول الله ﷺ، قال: (من قال بعد صلاة الصبح: أشهد أن لا إله إلا الله، إلى آخر الصيغة، عشر مرات، كتب الله له أربعين ألف حسنة) .

ثم أتى ببعض أدعية من السُّنة، ليظهر كمال المنّة، فقال: (رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً) انظر لرضائه بربوبية الذات العلية، فإنه يفهم كمال العبودية . (وَبِالإِسْلَامِ دِيناً) الإسلام أركانه خمسة، حقيقته: الاستسلام والانقياد والإذعان، وهو يعم أعلى المقامات وأدناها، ويحوز من الخيرات مبتداها ومنتهاها، (وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ) إلى (مُّسْلِمُونَ)، إني وأنتم راضون بكل ما يصدر من الحضرات العلية، بل كأنه مطلبكم فهذه المشاهد السنية . (وَبِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِياً وَرَسُولاً)، السيد: من ساد قومه، ومحمد: مشتق من الحمد، والصلاة: من الله رحمة ومن الملائكة والمؤمنين دعاء، والسلام اسم من التسليم، وهو الأمان، والنبيّ: مأخوذ من النبأ وهو الإخبار، وتعريفه: إنسان ذكر حرّ عاقل أوحى الله إليه بشرع، يعمل به، وإن لم يؤمر بتبليغه، والرسول تعريفه: كالنبيّ، إلا أنه أُمر بتبليغ شرعه، ويجب لهم الصدق والأمانة والتبليغ، ويستحيل عليهم الكذب والخيانة، وكتمان شيء، مما أُمروا بتبليغه، ويجوز في حقهم الأكل والشرب والجماع، وهذه المباحث في كتب التوحيد، راجعها إن أردتها بكمالها .

واعلموا أن الحديث، أصله (وَبِمُحَمَّدٍ) بدل (سَيِّدِنَا)، وإنما سيِّدنا من زيادة المؤلف تأدباً، ولما وصل عند نبينا، رأى المصطفى ﷺ، فقال له: (وَرَسُولاً)، وقد ورد في فضل هذه الألفاظ، عنه عليه الصلاة والسلام، أنه قال: (ذاق طعم الإيمان، من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً)، وقال ﷺ: (من قال حين يصبح، وحين يمسي، ثلاث مرات: رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، كان حقاً على الله، أن يرضيه يوم القيامة) .

(يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) أي ثبّت قلبي على الدين الخالص، لأن القلب له تقلب ومغاصّ، كان كثيراً عليه الصلاة والسلام يدعو في سجوده: (يا مقلب القلوب، ثبّت قلبي على دينك)، ومن أيمانه (لا ومقلب القلوب)، فنسأل الله الثبات، إلى ما بعد الممات، بحق سيدنا محمد، كامل الهبات، آمين .

ثم قال: (يَا وَلِيَّ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنِي بِهِ حَتَّى أَلْقَاكَ) هذه الصيغة لها مزية حفظ الإيمان، وجزيل الثواب .

ثم قال: (اللَّهُمَّ) أي يا الله مُنَّ بخير، والجمع بينهما، في قريض الشعر شاذ، وقد جعلت غالباً في أوّل الأدعية، وهي جديرة بذلك، لما تضمنته من أعظم الثناء للمالك . قال الطليوسي: الميم في كلام العرب، من علامات الجمع، فزيدت في آخر الاسم، لتشعر بأنه قد اجتمعت فيه أسماء الله كلها .

(مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْر) الإصباح عندنا: بحسب الأذكار، من الفجر إلى المغرب، والمساء تقول بدل أصبح أمسى، والمساء عندنا: من المغرب إلى الفجر، وفيهما خلاف، فكأنه شكر الحق، على جميع ما أسداه إليه، من النعم، وما أسداه إلى خلقه، ورد: (أنه من قاله في الصباح والمساء، فقد حمد الله بجميع محامده)، وفي الحلية: (من فعل ذلك صباحاً، فقد أدّى شكر يومه، ومن أدى ذلك مساءً، فقد أدّى شكر ليلته)، كما ورد عن رسول الله ﷺ ، اهـ .

ثم قال: (اللّٰهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْكَ فِي نِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَسِتْرٍ، فَأَتِمَّ نِعْمَتَكَ عَلَيَّ، وَعَافِيَتَكَ، وَسِتْرَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)، هذه الصيغة من أعظم الأدعية، في حفظ جميع النعم .

(لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)، إلى آخر السورة، هذه الآية أعظم آيات التحصين، وقد تقدّم الكلام على الرسول، وقرأ بعضهم وهو شاذّ بفتح الفاء، وفي الآية من الأسرار المبشرات، لشأن النبيّ المختار .

(يَا اللّٰهُ) أتى باسم الذات، لأنه أعظم الأسماء الإلهيات، والكثير قائلون: إنه الإسم الأعظم، فكأنه يقول: يا من هو الحق، الجامع لصفات الألوهية، المنعوت بنعوت الربوبية، والألف إشارة لحضرة الذات، واللام الأولى للاهوت، واللام الأخرى للأزل، والهاء للهوية .

(يَا وَدُودُ) الوُدّ: نوع من المحبة، فطلب أن يتودد إليه مولاه، فيدنيه من حماه، والواو الأولى إشارة للوصول، والدال إشارة للدنوّ من حضرة المتعال، والواو الأخرى إشارة للوصول، والدال إشارة لدفع الحجب، عن البصيرة بفضل الوالي . (يَا حَقُّ) حققني بسرّك الكمال، وقرّبني لشهود تجليك الجمال، آمِينَ، (إِحْدَى وَعِشْرِينَ)، (إن اللّٰه وتر يحب الوتر) .

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِ اللّٰهِ الْعَظِيمِ) نور الجمال، غيب أهل الوصال، (الَّذِي مَلأَ أَرْكَانَ عَرْشِ اللّٰهِ الْعَظِيمِ) فببركة نور الوجه، امتلأ العرش والفرش، (وَقَامَتْ بِهِ عَوَالِمُ اللّٰهِ الْعَظِيمِ) قيام الكائنات من نور واهب العطيات، (أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ ذِي الْقَدْرِ الْعَظِيمِ) طلب بنور الوجه القديم، الصلاة على النبي الكريم، (وَعَلَى آلِ نَبِيِّ اللّٰهِ الْعَظِيمِ) والآل: ذريته، وهنا يدخل من قام على قدمه، وللفقهاء كلام فراجعه في مظانّه، ثم سأل أن تكون الصلاة (بِقَدْرِ عَظَمَةِ ذَاتِ اللّٰهِ الْعَظِيمِ) فلا يعلم مقدار ذلك إلا العليم، (فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ، عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ اللّٰهِ الْعَظِيمِ)، سأل أن يكون ذلك المقدار، في كل اللمحات والأنفاس، فمن يحصر المقدار، إلا العزيز الغفار، اللمحة من لمحات اللامحين، ولمح البصر امتداده إلى الشيء، والنفس هو الريح الداخل والخارج في البدن، من الفم والمنخر، وهو كالغذاء للنفس، وبانقطاعه يكون زهوقاً .

(صَلاَةً دَائِمَةً بِدَوَامِ اللّٰهِ الْعَظِيمِ) وسأل أن تدوم الصلاة بدوام اللّٰه، فلا انقضاء لهذه الصلاة، وتاللّٰه (تَعْظِيماً لِحَقِّكَ يَا مَوْلاَنَا يَا مُحَمَّدٍ، يَا ذَا الْخُلُقِ

الْعَظِيمِ) وسلّم عليه وعلى الرسل، وكل ذلك مقصوده، أن يكون تعظيماً لقدر المصطفى ﷺ، وقد وصفه الله فثبت ذلك بقوله: (وإنك لعلى خلق عظيم)، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (كان خلقه القرآن) .

(وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، كَمَا جَمَعْتَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ) حتى أفنى فيه، وفي حضرة الأنس، فمُنَّ عليَّ بذلك (ظَاهِراً وَبَاطِناً يَقَظَةً وَمَنَاماً، وَاجْعَلْهُ يَا رَبِّ رُوحاً لِذَاتِي مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ يَا عَظِيمُ) سأل الجمع للروح دائماً، يقظةً ومناماً، ظاهراً وباطناً، دنيا وأخرى . وهذه الصلاة العظيمة، من الطرق التي يسلك بها المهدي المنتظر، كما ذكر بعض العارفين، ولا نجد صلاة أعظم منها، اللهم انفعنا بها، وبمؤلفها آمين .

ثم قال: (صَلَوَاتُ اللهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَجَمِيعِ خَلْقِهِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ) روي عن سيدنا الإمام عليّ: (أن من صلَّى على النبيّ، بهذه الكلمات، فقد صلَّى بصلاة جميع الخلائق) .

ثم قال: (اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِقَدْرِ عَظَمَةِ ذَاتِكَ يَا أَحَدُ) وثواب هذه الصيغة لا يحصى .

ثم قال: (اللَّهُمَّ) تقدم الكلام عليها، (صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى الرَّسُولِ الأَمِينِ) تقدم الكلام على الصلاة والسلام، والرسول والأمين من أسمائه، وكان يدعى بها قبل النبوّة، ومن شروطها (الّذي قَالَ اللهُ فِي حَقِّهِ المَلِكُ المُبِينُ) والملك هو المتصرف في خلقه بالأمر والنهي، وغيرهما، قال: (لمن الملك اليوم لله)

الحقيقي أولاً وآخراً له، والمبين هو المظهر أنواع تعاريف العالم، فجلّ من ملك حاكم.

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ)، وقال ﷺ: (إنما بعثت رحمة)، وأي رحمة أعظم من كونه بإمداده، يحفظ لنا الإيمان.

(عَدَدَ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ) طلب أن يكون العدد، بقدر من أرسل إليهم، قال عليّ: أُرسل لكل مخلوق، حتى إلى الأسود والأحمر، (وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ بِرَحْمَتِهِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبّ العَالَمِينَ آمِينَ) هذه الصلاة ألهمت أنها، طريقة مستقلة بعددها، تقدم الكلام على الآل والصحب، والصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً، ومات على ذلك، والتابعي: من لقي الصحابي مؤمناً، ومات على ذلك، وكونه أرحم الراحمين، لا يخفى، والعالم: ما سوى الله، وأتى بالتأمين، رجاء لقبول الصلاة، (ثَلَاثاً) اختار التثليث في كثير الدعاء، والصلاة لما ورد في السنة، من تثليث بعض الأدعية، وكونه وتراً والله وتر يحب الوتر.

(اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ) تقدم الكلام على جميع ذلك، والمولى هو الناصر، (عَدَدِ كُلِّ ذَرَّةٍ) الذرة في اللغة: النملة الصغيرة، التي كل مائة منها زنة حبة شعيرة، كما في القاموس. واعلم أن مراده هنا الجزء الذي لا يتجزأ، من جميع العوالم الحسية والمعنوية، الظاهرة والباطنة، المعلومة وغير المعلومة، فعلى هذا يدخل فيه عوالم القضية، التي ذكر فيها العالم الربّاني، سيدي عبد القادر الجيلاني، قدّس الله سرّه الصمداني، (أن

لها ستة عشر عالماً، الدنيا والآخرة عالم منها)، ويخلق ما لا تعلمون . قال العارف الرّفاعي: (لا يكمل الرجل عندنا، حتى يعرف ثمانين ألف أمة، الدنيا والآخرة عالم منها)، ويخلق ما لا تعلمون .

قال مؤلف هذه الصلاة، الجدّ، الوليّ الواصل القطب الفرد، سيدي عبد الله الميرغني، في "حاشيته على راتبه المسمى بالكوكب" ، في كلامه على هذه الصلاة: (يقول الفقير، كان لي وله الكبير: إن للعرش لأسماء، وهو عرش العرش الأحمى، وهو المحيط بفلك دائرة الإحاطة العظمى، وهو عرش الرحمانية، وهي الحقيقة المحمدية، والعرش في ذاك العرش، كحلقة ملقاة في فلاة، فهل يحيط بعوالم العرش الأفخر، إلا المحيط الأكبر؟، فكل أجزاء هذا العالم يشملها الجزء في الصلاة، على سيد العالم، فهي الجديرة بأن تسمى الكبريت الأحمر والإكسير، وكم في صغير ما لم يكن في كبير) . ولله درُّ الجدّ العليّ، سيدنا الإمام عليّ، حيث يشير لمثل هذا المعنى، بقوله في الإنسان:

وتحسب أنك جرمٌ صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر

قال: (أَلْفَ أَلْفِ كَرَّةٍ) والكَرَّة: مائة لَكّ بفتح اللام، وتشديد الكاف، واللَكّ: مائة ألف .

ثم قال: (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامّاتِ) قيل هي القرآن العظيم، (كُلِّهَا) أي جميعها، (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) ورد: (أن من قال هذه الصيغة، حين يمسي ثلاث مرات، لم يضره شيء، وكذلك من قالها حين يصبح) .

وكذلك ورد في الصيغة الآتية، وهي: (بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ)، وقد روى الجدّ، في "الجواذب" ، عن ابن عباس: (أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أخاف على نفسي، وولدي وأهلي ومالي، فقال النبي ﷺ: قُلْ كل يوم إذا أصبحت، وإذا أمسيت: بسم الله على ديني ونفسي وولدي وأهلي ومالي، فإنه لا يذهب لك شيء، فكان كذلك) .

ثم قال: (أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللهِ) هذا الذكر، من أعظم الأذكار الموصلة إلى حضرة الغفّار، تلقيته عن الأستاذ العارف بالله تعالى، شيخنا السيد أحمد بن إدريس، عام ألف ومائتين وتسع وثلاثين، وفضل هذا الذكر وثوابه لا يحصى، وقد ورد: (أن الله تعالى يقول لإسرافيل: إذا سمعت قائلاً يقول: لا إله إلا الله، فأخّر النفخة أربعين عاماً إكراماً لقائلها)، إلى غير ذلك من الأخبار، التي لا تستقصى .

ثم قال: (أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيم مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم)، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، إلى آخر سورة الحشر، أخرج الترمذي، عن النبي ﷺ قال: (من قال حين يصبح، ثلاث مرّات: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من سورة الحشر، وَكّلَ الله به سبعين ألف ملك، يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم، مات شهيداً) .

ثم ختم بسور من القرآن عظيمات، فقال: (تَقْرَأُ سُورَةَ الزَّلْزَلَةِ مَرَّتَيْنِ)، ورد في الحديث: (أن مرة منها تعدل نصف القرآن)، فالمرتين بختمة .

(وَسُورَةَ الكَافِرُونَ أَرْبَعاً)، ورد: (أن مرة منها تعدل ربع القرآن)، فالأربع بختمة .

(وَالإِخْلَاص ثَلاثَاً) ورد: (أن الثلاثة تعدل القرآن) .

فتحصل من الحزب، أن من قرأه، كأنما قرأ القرآن سبع مرات، إذ الفاتحة في أوله مرّة، وفي آخره خمساً، الجميع ستة، وكل مرة منها تعدل ثلثي القرآن، فتحصل من الست فواتح، أربع ختمات، ومن الزلزلة والكافرون ختمتين، ومن الإخلاص ختمة، فالجميع سبع ختمات، من غير الزيادة . فانظر لعظمته واجتهد، وفقنا الله وإيّاك، آمين .

(وَالمُعَوِّذَتَيْنِ، مَرَّةً مَرَّةً)، وقد ورد أن قراءة الإخلاص ثلاثاً، معهما عند النوم، من أعظم التحصين، وفيها حفظ من الآفات، وكفاية لجميع المهمات.

ثم قال: (سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، عَدَدَ خَلْقِ اللهِ، وَرِضَا نَفْسِ اللهِ، وَزِنَةَ عَرْشِ اللهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِ اللهِ)، وقد ورد في فضائلها، أحاديث كثيرة: منها ما روي أن رسول الله ﷺ قال: (أربع أفضل الكلام، لا يضرك بأيهنَّ ابتدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، وقد ورد أيضاً: (أن هذه الصيغة، في ذنب المسلم، مثل الأكلة في جنب ابن آدم، وهي غراس الجنة، يغرس لك بكل كلمة،

شجرة في الجنة)، وقد ورد: (أن الخليل إبراهيم عليه السلام ، أمر نبينا ﷺ ليلة الإسراء، أن يأمر أمته بالإكثار منها) . إلى غير ذلك من الأخبار، الواردة في فضلها .

ثم قال: (اللّٰهُمَّ يَا دَائِمَ الفَضْلِ عَلَى البَرِيَّةِ إلخ)، أخرج الجدّ في "الجواذب" ، عن سيدنا عليّ بن أبي طالب: (أن من قال ليلة الجمعة، عشر مرات: اللّهمّ يا دائم الفضل على البرية، إلخ الصيغة، كتب الله له مائة ألف حسنة، ومحا عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وإذا كان يوم القيامة، زاحم سيدنا إبراهيم الخليل في قبته)، وروي: (إن الملائكة تكتب له ثوابها، من الجمعة إلى الجمعة)، إلى غير ذلك، مما ورد في فضل هذه الصيغة .

ثم قال: (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ مائِةً وَسبْعَ مَرَّاتٍ) هو الموصوف بالصفات الأزلية، الأبدية الدائمة البقاء، الذي لا سبيل عليه، والقيّوم: القائم بالأمر، المدّبر لخلقه الحفيظ، وقد قال كثير: إنهما الاسم الأعظم، وفيهما سرّه .

ثم قال: (الفَاتِحَةُ لِقُطْبِ أَهْلِ الوِصَالِ) إلخ، هنا مباحث للعلماء؛ فمنهم من قال بكراهة الفاتحة للنبي ﷺ، وردّ عليهم آخرون: بأنها من قبيل الصلاة على النبي ﷺ، لأنهم قالوا: إن الموجب للكراهية، كونه كاملاً، والكامل لا يطلب له الزيادة .

وقال آخرون: الصلاة لماذا جوزت، وأمر بها، مع كونها تحصل منها الزيادة، واختلاف العلماء، في هذا البحث كثير، واختلف هل ينتفع ﷺ

بدعاء أمته له؟، نقل أن النبي ﷺ يزيده الله رفعة بدعاء أمته وبصلاتهم عليه، وفي ذلك خلاف، والصحيح، أن الأنبياء ينتفعون بدعاء أممهم لهم، لأنهم محتاجون إلى الله، والفاتحة من قبيل الدعاء، فراجعه في مظانه .

واعلم، أن شدة الاختلاف بينهم في أمور، لا تظهر، انظر إلى الفاتحة بعينها، يقول الشافعي فيها: إنها واجبة في الصلاة، فلو نقص منها حرف، بطلت صلاته عنده، وعند أبي حنيفة تكره للمؤتمّ، كراهة تحريم، فتأمل لهذا الفرق؛ وأما عند الصوفية، فهي من أعظم الأركان، في أذكارهم وأحزابهم، حتى إن سيدي محي الدين بن العربي، جعل فاتحة، في أول حزبه للمصطفى ﷺ، وكذلك الجدّ وضع في أول فواتح راتبه، وفي آخرها فواتح للنبي ﷺ، فراجع حاشيته .

ثم قال: (الفَاتِحَةَ لِسَائِرِ قَادَاتِنَا أَهْلِ النِّيَابَةِ، وَجَمِيعِ سَادَاتِنَا الأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ) فكلهم نواب المصطفى، ما عدا أن الأنبياء أصل، قال بعض العارفين: (يا سيد الرسل، وهم نوابه) .

ثم قال: (الفَاتِحَةَ لِجُمْلَةِ أَئِمَّتِنَا الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، سَادَاتِنَا وَمَوَالِينَا، أَبِي بَكْرٍ) هذا كنيته، واسمه عبد الله، وفضائله أشهر من أن تذكر، وهو أول من آمن من الرجال، وأول الخلفاء، ويجتمع نسبه مع النبي ﷺ في أحد أجداده .

(وَعُمَرَ بن الخَطَّاب) وهو الثاني من الخلفاء، ومناقبه أشهر من أن تذكر، فهو ناصر الإسلام، وصاحب الفتوحات، وقاف عند الحق، وقد وردَ فيه: (أنه سراج أهل الجنة)، ويجتمع نسبه مع النبي ﷺ في أحد أجداده .

(وَعُثْمَانَ) ويلقب بذي النورين، لكونه تزوج ابنتي النبي ﷺ، رقية وأم كلثوم، وفضائله أشهر من أن تذكر، فقد قال النبي ﷺ : (إن لكلّ نبيٍّ رفيقاً، ورفيقي عثمان)، وقال أيضاً: (عثمان حيي، تستحي منه الملائكة)، ويجتمع نسبه أيضاً مع النبي ﷺ في جدٍّ له .

(وَعَلِيٍّ) بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وكنيته أبو تراب، وأبو الريحانتين، وأبو الحسن، ويلقب بالصدّيق الأكبر ، وهو أول من أسلم من الصبيان، كرّم الله وجهه، فلم يسجد لصنم قط، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، إلا غزوة تبوك، كان خلفه النبي ﷺ، فقال: (أتخلّفني على النساء والصبيان؟ فقال له: أما ترضى أن تكون مني، بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي)، وقال أيضاً: (من كنت مولاه، فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعاد من عاداه)، وقال أيضاً: (أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها)، إلى غير ذلك، من الأحاديث الواردة في فضائله .

ثم قال: (وَالحَسَنِ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، هو أبو محمد، الحسن بن عليّ بن أبي طالب، كنّاه وسماه بذلك النبي ﷺ، روي: (أنه رقى المنبر، ورسول الله ﷺ يخطب، فأمسكه، والتفت إلى الناس، ثم قال: إن ابني هذا سيد، ولعل الله تعالى، أن يصلح به بين فئتين عظيمتين، من المسلمين)، فكان

كذلك، فإنه بويع له بالخلافة، ومكث ستة أشهر، ثم سلّمها لمعاوية زهداً، وصيانة لدماء المسلمين، ومناقبه أشهر من أن تذكر .

(وَالحُسَيْنِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، هو أبو عبد الله، الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وورد في فضله، وفضل أخيه الحسن، أحاديث جمة: منها قوله ﷺ: (من أحب الحسن والحسين، فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني)، وقال أيضاً: (أحب أهل بيتي إليَّ، الحسن والحسين)، وقال أيضاً: (الحسن والحسين، سيدا شباب أهل الجنة) . والحاصل أن فضلهما، والوارد في شأنهما لا يحصر، رضي الله عنهما، ونفعنا بهما، فإنهما (أَهْلِ الصَّفَا وَالوَفَا) .

ثم قال: (الفَاتِحَةَ لِسَيِّدَتِنَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ) رضي الله عنها ، سميت فاطمة، لأن الله فطمها وذريتها عن النار، ولقبت بالزهراء، لأنها تزهر في الدارين، وقد ورد في فضلها، ما لا يدخل تحت حصر؛ فمن ذلك قوله ﷺ: (فاطمة بضعة مني، يغضبني ما يغضبها، ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة، غير نسبي وصهري)، وقال أيضاً: (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، إلا مريم ابنة عمران)، وقد ذكر بعض العارفين بالله أنها ورثت الغوثية والقطبية، بعد وفاة النبي ﷺ، ولم ينل ذلك غيرها من النساء . (وكان ﷺ، إذا قدم من سفر، أول ما يدخل بيتها، بعد المسجد)، وتُرى رضي الله عنها في المشاهد والحضرات، بجانب سيد السادات، فهي (خِزَانَةِ مَدَدِنَا دُنْيَا وَأُخْرَى، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، وَجَعَلَنَا فِي الدَّارَيْنِ فِي حِمَى أَبِيهَا وَحِمَاهَا آمِين) .

ثم قال: (الفَاتِحَة لِصَاحِبِ الرَّاتِبِ، تَرْجُمَانِ أَهْلِ الإِحْسَانِ، وَخَتْمِ أَهْلِ العِرْفَانِ) وإشارة ختم أهل العرفان، لمشهد من المشاهد خاص، قيل له إنه لا يذوقه معك ولي، والمزية لا تقتضي الأفضلية، وليس يدعى أن ليس بعده وليّ، أو لماذا المحدثون يقولون خاتمة المحدثين، إشارة لكونه تمكن في ذلك العلم، حتى كأنه لا يساويه أحد، والحال أنه قد يجئ مثله، وأعظم منه، وثم سرّ إلهي، فقف ولا تعترض، تندم .

والختمية لها معانٍ: فمنها ختم كل زمان، ذكر سيدي عليّ وفا: أن لكل زمان ختماً، ومنها الختم، الذي ليس بعده ولي، وليس هو المؤلف، بل هو رجل من الهند، ومنها ختم أعلى مقام في الولاية .

(أَبِي مُحَمَّدٍ وَعَبْدِاللَّهِ وَجَعْفَرٍ وَالحَسَن) هذه كنية المؤلف، واسمه محمد عثمان، ولقبه الميرغني، لقّب به جده السادس أو السابع، وأصله كلمتان، أمير غني؛ المكي نسبة، إلى بلده مكة المشرفة، (وَشَيْخِهِ العَارِفِ بِاللهِ النَّفِيسِ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ) هو شيخ المؤلف، وكان راسخ القدم في الولاية، وعلوم الظاهر والباطن، فهو البحر الزاخر، فعنه حدّث ولا حرج .

ثم قال: (الفَاتِحَةَ لِلفَرْدِ السَّنِي وَالقُطْبِ الهَنِي، صَاحَبِ السِّرِّ المَوْهُوبِ، سَيِّدِي السَّيِّدِ عَبْدِاللَّهِ المِيْرغَنِي المَحْجُوبِ) هو جدّ المؤلف، وكان راسخ القدم، في علوم الشريعة والحقيقة، أخذ عنه كبار العلماء، كالسيد مرتضى

الزبيدي شارح القاموس، وكراماته كالشمس في كبد السماء، وقد ترجم له صاحب عجائب الآثار، وذكر كثيراً من مؤلفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونفعنا به .

ثم قال: (وَابْنِهِ الوَلِيِّ الأَفْخَرِ، سَيِّدِنَا السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ أَبِي بَكْرٍ) هذا والد المؤلف، وكان من العلماء العاملين الصالحين .

ثم قال: (الفَاتِحَةَ لِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ أَجْمَعَيْنَ، وَجُمْلَةِ وَالصَّالِحِينَ المُؤْمِنِينَ) لهم الفاتحة، (وَيقرؤها) قد تقدم الكلام على الآل، ثم عمّ كل عبد صالح، ليتم الاتصال، وأدخل عموم المؤمنين، وذلك من فضل المتين .

ثم قال: (الفَاتِحَةَ وَلْنَخْتِمْ بِهَا لِأَكْمَلِ الآخِذِينَ عَنِ اللهِ، وَالمَحْبُوبِينَ عِنْدَ اللهِ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا وَحَبِيبِنَا، وَقُرَّةِ أَعْيُنِنَا وَثَمَرَةِ فُؤَادِنَا، وَنُورِ قُلُوبِنَا، وَسِرِّ عُقُولِنَا، وَشَارِحِ صُدُورِنَا، سَيِّدِنَا وَسَيِّدِ كُلِّ مَنْ لَهُ سِيَادَةٌ فِي الوُجُودِ، أَبِي القَاسِمِ، أَبِي إِبْرَاهِيمَ، أَبِي الزَّهْرَاءِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ المَحْمُودِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ مِنْ المَلِكِ المَعْبُودِ، زِيَادَةً فِي شَرَفِهِ، وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِ، وَعُمُومِ بَرَكَتِهِ، خُصُوصاً بِبَرَكَتِهِ الخَاصَّةِ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَهْلِ طَرِيقَتِنَا، مِنْ مَشَارِقِ الأَرْضِ إِلَى مَغَارِبِهَا، أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً أَجْمَعِينَ)، وقد وردت أخبار كثيرة من العلماء، في قراءة الفاتحة زيادة في شرفه، وعلى ذلك مشى كثير من العلماء، في بعض الأقاليم في المساجد .

ثم اعلموا معاشر الإخوان، ثبّت الله قدمي وقدمكم، على الاحسان: أنه أخبرني المصطفى، أن من وقف على طريقتي، ولم يتمسك بها فهو محروم، ومن تمسك بها وتركها يخشى عليه سوء الخاتمة، نعوذ بالله من ذلك، فمن رأيتموه تمسك بها وتركها، لا تظنوا فيه خيراً، ولو رأيتموه طائراً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سُبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب أليك، عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، وصلّى الله على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلّم، وثبَّت قدمنا على الحق إلى الأبد، آمين .

انتهى التعليق، يوم الأربعاء، في شهر ذي الحجة، سبع وعشرين منه، سنة ألف ومائتين وإحدى وثلاثين، وكان ابتداء تأليفه، يوم الإثنين، بعد صلاة الظهر، في شهر ذي الحجة، خمس وعشرين منه، فكان مدة تأليفه يومين .

انتهى تأليف السيد الكامل العامل، قطب الزمان، وغوث الأوان، مربينا ومرشدنا وقدوتنا إلى حضرة ربنا، سيدنا ختم أهل العرفان، الشريف المكي السيد محمد عثمان .

اللهم انفعنا به واغفر لمن نظر فيه، ودعا لمن نسخه وسعى في نشره آمين . وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تنبيه

قد وجدنا في بعض النسخ زيادة، بعد الفاتحة الأخيرة من الراتب، وهي مشهورة عند الإخوان، ويظهر أن الأستاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ زادها على راتبه، وعلى كل حال لا بأس بها، فإنها زيادة خير، وهي هذه:

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ، عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللهُ، (ثلاثاً) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ، وَعَلَى سَائِرِ إِخْوَانِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَعَلَى جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، وَمَلَكِ المَوْتِ، وَحَمَلَةِ العَرْشِ، وَعَلَى المَلَائِكَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى الأَوْلِيَاءِ، وَجَمِيعِ عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ، فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ، عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُكَ، آمِينَ) .

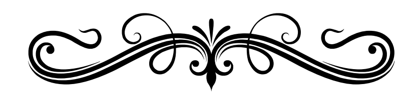
ثم تراقب مطرقاً رأسك وتقول: الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ (ثلاثاً) ، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا نَبِيَّ اللهِ (ثلاثاً)، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا حَبِيبَ اللهِ (ثلاثاً)، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا خَلِيلَ اللهِ

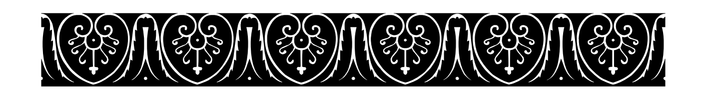
(ثلاثاً)، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا صَفِيِّ اللهِ (ثلاثاً)، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَصَحْبِكَ وَالزَوْجَات .

ثم تقرأ آية الكرسي، وتهدي ثوابها لأهل القبور، ثم تقول: (صرفت ودفعت السوء والوباء، والبلاء والعناء، الصاعد من الأرض، والنازل من السماء، عني وعن كل من تحويه شفقتي، بألف ألف لا حول ولا قوّة إلا بالله، العليّ العظيم، وبجاه النبيّ ﷺ الكريم، وأسأله أن يجعلني بذلك من الشاكرين (ثلاثاً)) .

وتختم بكفارة المجلس: (سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِك، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ، اسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ، عَمِلْتُ سُوءاً، وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ (ثَلَاثاً)) .

انتهى تحريره وتصحيحه، على يد ملتزمه خادم السادة الميرغنية، الراجي من الله بجاههم، وجاه جدهم حسن الختام، محمد عبد السلام .





١٦

قصيدة السر الظاهر والنور الباهر في بعض أحوال الأكابر وآداب الطرق الصوفية

تأليف

السيد محمد عثمان الميرغني الختم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

به الإعانة بدءاً وختماً، وصلّى الله على سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسما

قصيدة السِّر الظاهر والنور الباهر
في بعض أحوال الأكابر وآداب الطرق الصوفية

سُلَّامٌ عَلَى مَنْ يَهْتَوِي سِرَّ مَطْلَبِي ... وَمَنْ يَسْلُكَنْ سَيْرِي إِلَى حَقِّ مَذْهَبِي

وَمَنْ يَبْتَغِي سِرّاً بِهِ يَتَكَمَّلَنْ ... وَيَرْقَى إِلَى أَوْجِ الْعَلَاءِ وَيُحْسَبِي

وَيَسْمُو إِلَى حَيِّ الْكَمَالِ وَأَهْلِهِ ... وَيُحْظَى بِالْفَيْضِ اللَّدُنِيِّ وَيُنْسَبِي

إِلَى سَادَةٍ خُصُّوا بِمَحْضِ مَكَارِمٍ ... وَنَالُوا مِنَ الرَّحْمَنِ غَايَةَ مَطْلَبِي

وَهَبَّتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسِ الْأُنْسِ فَاجْتَلَوْا ... جَلَالًا جَمَالاً قُلْ خَلِيلِي وَاطْنَبِي

وَلَا تَخْشَ مِنْ شَيْءٍ لِأَنَّهُمْ حَظَوْا ... بِحَيِّ التَّدَانِي كُلَّ شَخْصٍ مُقَرَّبِي

وَحُفُّوا بِإِعْطَاءِ الْكَمَالِ وَأُنْزِلُوا ... بِحَالِ التَّدَلِّي عَلَا بِكَ رَاعِبِي

يَسِيرُ بِهِ سَيْراً لَطِيفاً إِلَى الْعُلَا ... إِلَى مَعْدِنِ الْجُودِ الْإِلَهِيِّ فَارْغَبِي

فَجَاهِدِ النَّفْسَ إِنْ تَرُمْ حَيَّ قُرْبِهِمْ ... وَهَاكَ طَرِيقَ الْكَامِلِينَ فَلَا تَبِي

فَلِلنَّفْسِ عِنْدَهُمْ مَرَاتِبُ قَدْ بَدَتْ ... فَأَوَّلُهَا أَمَّارَةٌ لَا تَقْرَبِي

فَإِنْ جُزْتَهَا حِيناً لِلَوَّامَةٍ وَقَدْ ... رُفِعْتَ قَلِيلاً مِنْ مَكَانِ التَّعَطُّبِي

وَمَهْمَا أَتَاكَ الْإِطْمِئْنَانُ بِهَا فَهَا ... أَتَاكَ النِّدَاءُ مِنْ حَضْرَةٍ لِتَقَرُّبِي

وَتَدْنُو إِلَى حَضَرَاتِ بَسْطٍ مَعَ هَنَاءٍ ... وَيُذْهَبُ عَنْكَ الْقَطْعُ مَعْ كُلِّ مَذْهَبِي

لِحَالِ التَّجَلِّي بِالَّذِي جَاءَ مِنْ لَدُنْ ... جَلِيلٍ عَظِيمٍ مُذْهِباً كُلَّ مُتْعَبِي
وَقَدْ جَعَلُوا بَعْضَ الْكِرَامِ زِيَادَةً ... لِمَرْتَبَةٍ أُخْرَى وَأُخْرَى مُرَتَّبِي
وَرَاضِيَةٌ فِيهَا المَعَالِي تَوَصَّلَتْ ... وَأَعْطَتْ مُنَاهَا مِنْ كَمَالٍ وَجَاءَ بِي
بِمَرْضِيَّةٍ تِلْكَ الَّتِي فَوْقَ مَا هَوَتْ ... أَتَاهَا وَهَذَا مِنْ مُحَيَّا التَّوَهُّبِي
وَكُلُّ الَّذِي قَالُوهُ فِي الْمُصْحَفِ الْجَلِيِّ ... وَلَمْ يَبْدُ لِي إِلَّا الَّذِي جَا عَنِ النَّبِي
فَجَاهِدْ فِي أَوَّلٍ ثُمَّ ثَانِياً كَذَاكَ ... إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْخَمْسَ وَاحْزُبِي
فَمَهْمَا عَرَفْتَ النَّفْسَ جَاءَتْكَ مَعْرِفَةٌ ... لِرَبِّي الْعُلَا قَدْ جَاءَ هَذَا عَنِ الْأَبِي
أُرِيدَنَّ عَنْ حَالِ الدَّنَاءَةِ فَافْهَمَنْ ... وَازْهَدْ فِيمَا يَدِ النَّاسِ تُحْبَبِي
لَدَيْهِمْ فَهَذَا صَحَّ فِي غَيْرِ مَرَّةٍ ... مِرَاراً لَدَيْنَا يَا بُنَيِّ بِالتَّجَارُبِي
بَلَى ازْهَدِ الدُّنْيَا جَمِيعاً فَإِنَّهَا ... لَدَى الْحَقِّ لَمْ تَسْوَى جَنَاحاً وَمَطْلَبِي
لَوِ الدُّنْيَا هِيَ سَوِيَت لَدَى الرَّبِ جَلَّ مَا ... سَقَى كَافِراً مِنْهَا مِنَ الْمَاءِ مَشْرَبِي
وَإِنْ صَحَّ تَجْرِيداً لَدَيْكَ فَإِنَّهُ ... هُوَ الْمَقْصِدُ الْأَجْلَى وَإِلَّا تُسَبِّبِي
وَلَكِنَّمَا كَمْ ثَمَّ شَرْطٌ نَقُولُ عَدَمْ ... أُرِيدَنَّ اسْتِشْرَافَ نَفْسٍ فَلَا تَبِي
مِنَ الْخَلْقِ شَيْئاً مَا أَتَاكَ بِغَيْرِ مَا ... ذَكَرْتَ فَاقْبَلْهُ وَانْظُرْهُ مِنْ رَبِي
وَلَا يَشْكُرِ الرَّحْمَنُ مَنْ لَا يَكُونُ ذَا ... بِشَاكِرِ هَذَا النَّاسِ فَافْهَمْ لِذَا الْخَبِي
وَإِنْ كَانَتِ الْأَسْبَابُ فِعْلَكَ فَلْتَكُنْ ... بِتَقْوَى رَحِيمِ الْعَالَمِينَ مُسَبِّبِي
وَتُبْ تَوْبَةً تُدْنِيكَ نَحْوَ مَحَاسِناً ... وَشَرْطٌ لَهَا نَدَمٌ وَاقْلَعْ عَنِ الذَّنْبِي
وَانْوِي لِعَدَمِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ مُرْجِياً ... وَقَدْ تُبْتَ مَهْمَا جَاءَ شَرْطُ لِتَائِبِي
وَاسْلُكْ بِشَيْخٍ وَهُوَ قُلْ بِأَنْ يَرَى ... عَلِيمٌ بِشَرْعٍ وَالْحَقَائِقُ مَوْهَبِي

فَإِنْ سَاعَدَكَ الْأَمْرُ صَادَفَكَ اعْتِنَا   وَنِلْتَ لَهُ فَالْأَمْرُ أَعْجَبُ مُعْجَبِي
فَكُنْ عِنْدَهُ مَهمَا أَمْرَكَ بِهِ امْتَثِلْ   لِأَمْرٍ لَهُ وَاشْكُرْ إِلَهَكَ يَا صَبِي
وَلَا تَجْلِسَنَّ أَمَامَهُ غَيْرَ مِثْلَ مَا   بِفَرْض صَلَاَةٍ تَجْلِسَنْ وَتَأَدَّبِي
وَلَا تَقْعُدَنِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنْ أَذِنْ   وَلَا تَلْفِتَنْ لِلْغَيْرِ إِنْ كُنْتَ رَاغِبِي
وَلَا تَتَكَلَّمْ غَيْرَ مَا أَنْتَ طَالِبٌ لَهُ   وَلَا تَلْتَفِتْ لِلْغَيْرِ إِنْ كُنْتَ طَالِبِي
أُمُوراً تَأَمَّلْهَا وَلَا تَتَعَرَّضَنْ   فَيَهْلَكَ مِنْ بَعْدِ السَّلَامَةِ مَنْ حُبِي
بِقَصْدٍ لَهُ وَإِذَا رَأَيْتَ بِيَقْظَةٍ   وَإِلَّا بِنَوْمٍ أَيْ أَمْرٍ فَاحْجُبِي
عَنِ الْغَيْرِ وَاخْبِرْهُ بِهِ لِيَدُلّكَ   عَلَى الْمَنْهَجِ الْأَعْلَى وَيُفْهِمْكَ مَا خَبِي
وَمَهْمَا رَأَيْتَ الْكَوْنَ فَقَوْلُكَ   إِنَّمَا مُرَادِي وَرَاءٌ وَالشُّوَيْخُ إِلَى رَبِي
يَقُولُ امْتِهَاءٌ وَالْأُمُورُ عَجِيبَةٌ   وَقَدْ جَاءَ كَشْفٌ مَعْهُ عِلْمٌ لِمَنْ يَبِي
وَلَا تُخْلِهِ مِنْ بَاطِنٍ لَكَ يَا فَتَى   لِكَيْ تَسْمَى فِي أهْلِ الْجَمَالِ وَتُنْسَبِي
إِلَى مَنْ هُمُو رُقُّوا بِمَحْضِ فَنَائِهِمْ   وَأَفْنَى فَانِي اهْتَوِى مَنْ بِهِ حُبِي
وَاسْتَغْفِرِ الرَّحْمَنَ مَهْمَا شَطَحتْ أَوْ   بَدَتْ مِنْكَ أَحْوَالٌ وَاكْتُمْ عَنِ الْغَيْرِ بِي
وَلَا زِمْ أَخِي لِلْاعْتِزَالِ فَإِنَّمَا   يَجُوزُ لَهَا مَنْ وُقِّفَنْ وَتَطَيّبِي
وَلَا زِمْ لِذِكْرِ عَلِيٍّ تُنْقَلُ مِنْ إِلَى   أَزِيدِ غَيْبَةٍ مَعْ حُضُورٍ فَتُجْذَبِي
فَمَنْ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ جَلَّ جَلَالُهُ   فَلَا بُدَّ أَنْ يُجِيبَ مَقْصِدَهُ طِبِّي
وَفِيهِ جَمِيعُ الْخَيْرِ وَالْكُلُّ قَدْ أَمَرْ   بِهِ قَائِمَاً أَوْ قَاعِدَاً وَمُجْنَبِي
وَاسْهَرْ فَكَمْ فِيهِ مَنَافِعُ يَا فَتَى   وَجُعْ قَلِيلَاً لَا تُكْثِرَنَّ فَتَعْطِبِي
وَلِلصَّمْتِ فَامْسِكْ إِنْ أَرَدْتَ لِحِكْمَةٍ   وَلِلصَّمْتِ فَضْلٌ يُوزِنَنْهُ بِالذَّهَبِ

وَفِعْلُ سَحَابِ الْفَيْضِ يَمْطُرُ فِي جَوَى ... فُؤَادِكَ يَا رَاجِي وَلِي أَخِي اصْحَبِي

وَوَاظِبْ تِلَاوَةً لِلْكِتَابِ فَإِنَّهُ ... يُقَالُ لِتَالِيهِ اقْرَأْ وَارْقَ وَارْتَقِي

بِفِكْرِكَ مَهْمَا تَقْرَأْ وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ ... تُنَاجِي كَبِيراً جَلَّ يَا مُتَقَرِّبِي

وَقِفْ ذَا عَلَى رَأْسِ لِآيٍ فَهَذِهِ ... أَتَتْ سُنَّةً لِلْمُجْتَبَى مِنْهُ مُجْتَبِي

كَأَنَّكَ تَتْلُوهُ عَلَى الشَّيْخِ أَوَّلًا ... وَبَعْدُ عَلَى طَهَ حَبِيبِي الْمُجَوَّبِي

لِمَنْ قَدْ دَعَاهُ لِلْاِضْطِرَارِ وَبَعْدَهُ ... كَأَنَّكَ تَتْلُوهُ عَلَيْهِ وَقَدْ حُبِي

عُبَيْدٌ لَهُ ذَا الْمَشْهَدِ الصَّافِي النَّقِي ... وَقُمْ فِي السَّحَارِ يَا بُنَيّ وَوَاظِبِي

فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ بِأَنَّ ذَا ... عَقِيدُ الْوِلَايَةِ يَعْقِدَنَّ فِيهِ فَاصْحَبِي

وَقَدْ جَاءَ أَنَّ الْحَقَّ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ ... سَمَاءٍ لِدُنْيَا يَقُولُ وَهُوَ أَعْلَمَنَّ بِي

أَلَا ذَا فَهَلْ مِنْ تَائِبٍ ثُمَّ كَذَا يَقُولُ ... أَتُوبُ عَلَيْهِ وَهُوَ أَفْرَحْ بِتَائِبِي

أَتَانَا وَهَلْ مُسْتَغْفِرٌ أَغْفِرْ لَهُ ... فَاسْتَغْفِرَنْهُ خِلِّي ثُمَّ كَذَا تُبِي

وَكَمْ ثَمَّ أَسْرَارٌ تُفَاضُ مِنَ الْعُلَا ... وَدِيوَانَ أَهْلِ الْوَقْتِ فِي ذَاكَ يُنْصَبِ

وَثَمَّ دُعَاءٌ مُسْتَجَابٌ وَأَدْفِقَا ... لِدَمْعٍ وَاخْضَعْ يَا مُرِيدِي وَاسْكُبِي

وَصَلِّ بِقَدْرِ الإِسْتِطَاعَةِ وَاسْأَلَنْ ... مُرَادَكَ مِنْ رَبِّ الْخَلَائِقِ مَوْهِبِي

مُرَادُ عِبَادٍ جَلَّ يَا طَالِبَ الْعُلَا ... أَلَا سَارِعَنْ لَا تُسْبَقَنَّ وَاحْزُبِي

وَأَصِلْ لِهَذَا الْمَقَامِ بِإِسْلَامٍ ... وَهُوَ أَوْلَى ثُمَّ خُذْ شُرُوطَهُ عَنِ النَّبِي

فَأَوَّلُهَا لَفْظٌ بِتَوْحِيدٍ ثُمَّ بَعْدَهُ ... إِقَامُ صَلَاةٍ وَأَدِّ حَقَّ الزَّكَاةِ رَبِي

وَلَا تَتْرُكَنْ يَا ذَا لِصَوْمِ رَمَضَانَ ... وَحَجٍ إِذَا كُنْتَ اسْتَطَعْتَ وَلَا تَبِي

فَلَفْظَةُ تَوْحِيدٍ بِأَنْ تَنْفِيَ سِوَى ... إِلَهِكَ ثُمَّ تُثْبِتْهُ ذِي أَوَّلُ الشُّرْبِي

وَبَعْـــدَهُ تَــأْتِي إِقَــامُ صَــلَاتِهِ ... وَمِـنْ مُنْـذُ تَحْـرِمْ فَاشْـهَدَنَّ تَقَـرُّبِي
وَحَـرِّمْ سِـوَاهُ ثُـمَّ كَـبِّرْ وَارْفَعَـا ... يَـدَيْكَ وَاخْلِهَـا مِـنَ الْكَـوْنِ إِنْ تَـبِي
مَقَامَـاتِ أَهْـلِ الْحَـقِّ إِنْ شِـئْتَ ذَا فَهَـا ... عَلَيْـكَ بِحَـالِي مِـنْ رِسَـالَتِي تَعْجَـبِي
لِتَسْـمِيَتِي فِيهَـا بِفَـتْحٍ بِمَـبْرُوكٍ ... فَفِيهَـا بُعَـيْضُ آدَابِ أَهْـلِ التَّـأَدُّبِي
بِحَـالِ صَـلَاتِي ثُـمَّ زَكِّي وَذَاكَ إِنْ ... لِنَفْسِـكَ تَهْـدِيهَا إِلَى الْحَـقِّ يَـا صَـبِي
وَصَوْمٍ وَمَهْمَا اغْتَبْتَ عِنْدُهُمْ فَطَرْتَ ... وَحَـجَّ وَمَهْمَـا أَحْرَمْـتَ قُـمْ أَخِي لَـبِّي
فَإِحْرَامُكَ التَّجْرِيـدُ عَـنْ كُلِّ مَـا سِوَى ... وَثَــمَّ أُمُــورٌ ذِكْرُهَــا فِي كُتَيْــبِي
وَأَغْنِي بِهِ مَا قَـدْ ذَكَـرْتَ قُبَيْـلَ فَـانْظُرْ ... هُـدِيتَ إِنْ شِـئْتَ تَحْظَـى بِمَطْلَـبِي
وَسَـافِرْ إِلَى أَعْلَى الْمَقَامَـاتِ لَا تَقِـفْ ... وَاصْـبِرْ فَبِالصَّـبْرِ الْجَمِيـلِ لَقَـدْ حُـبِي
رَسُـولُ إِلَـهِي وَاتَّكِـلْ فَـالتَّوَكُّلُ ... مَقَـامٌ عَظِـيمٌ لَـمْ يَنَلْـهُ سِـوَى الْأَبِي
عَـنِ الْغَـيْرِ يَـا هَـذَا فَكُـنْ مُتَـوَكِّلًا ... فَـتُرْزَقَ مِثْـلَ الطَّـيْرِ إِنْ كُنْـتَ طَـالِبِي
وَاحْمَـدْ إِلَهَـكَ إِنَّـهُ الْوَاحِـدُ الَّذِي ... يَهَبْ مَنْ حَمَـدَهُ مِنْـهُ مَـا شَـاءَ فَـاطْلُبِي
وَجَهِّزْ جُيوشَ الْعَـزْمِ وَاقْـدُمْ وَلَا تَخَـفْ ... فَــإِنَّ جَبَــانَ الْقَــوْمِ لَــيْسَ بِقَــارِبِي
إِلَى الْمَقْصِـدِ لِذَا ذَا قَصَـدْتَ فَـلَا تَمِـلْ ... وَأَسْرِعْ قُبَيْــلَ النَّــاسِ يَــا مُتَرَقِّــبِي
وَاصْـدُقْ فَـإِنَّ الصِّـدْقَ سَـيْفٌ وَمَـالَهُ ... كَمَــا قِيــلَ رَادٌّ وَاسْــبِقَنَّ لَا تُخَيِّــبِي
وَلِلْفِكْـرِ فَـالْزَمْ إِنَّـهُ عِنْـدَنَا تَـرَى ... غَـدَا رَأْسَ مَـالِ هَكَـذَا بِالتَّجَـارِبِ
وَهُــوَ سِرَاجُ الْقَلْــبِ مِنْــهُ يُنَــوَّرَا ... فُـؤَادَ الْفَـتَى فَاصْـغِي إِلَى قَـوْلِ مُـذْنِبِي
وَاشْكُرْ عَلَى النَّعْمَاءِ وَاشْـكُرْ لِمَـنْ حَـبَى ... فَفِي الشُّكْـرِ زَوَّدَ جَاءَ فِي أَعْظَمِ الْكُتُـبِيِّ
وَانْكِفَـافُ سَـمْعٍ ثُـمَّ شُـكْرُكَ سَـاقِطٌ ... فَــإِنَّ التجــلي لَا يَزِيــدُ أَأَيــبِي

وَامْشِـي إِلَى نَحْوِ الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلَمْ ... لِـكَيْ يَأْتِـكَ النُّـورُ الْعَظِـيمُ بِمَـوْكِبِي
وَصِـلِّي إِذَا حَصَّـلْتَ جَمْعَـاً فَإِنَّهَـا ... لَهَا الْخَـيْرُ الْأَعْلَى جَاءَ هَـذَا عَـنِ النَّـبِي
وَلَا سِيَّمَا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ إِنْ وَصَلْتَ ... وَاخْشَ الرِّيَاءِ وَالشِّـرْكُ يُحْبِطُ مَـا رُبِي
وَأَيْضَـاً تَعَمَّـمْ إِنَّ رَبِي يُصَـلِّي عَلَى ... أَصْـحَابِ العَمَـائِمِ البِيَـاضِ فَهِّـمَ بِي
وَأَيْضـاً تَصَـدَّقْ فَـإِنَّ التَّصَـدُّقَ فِيـهِ ... الْخَـيْرُ وَهْـوَ الْفَـوْزُ كَالْمُتَطَلِّـبِي
فَكَيْـفَ وَأَوَّلُ مَـا يَقَـعْ فِي يَـدِ الـرَّحْمَنِ ... فَهَـذَا هُـوَ الـرِّبْحُ الْعَظِـيمُ فَـلَا تَـبِي
سِـوَاهُ وَلَا سِـيَّما بِنَفْسِـكَ فَـأَعْظِمْ ... مَا بِهِ تَتَصَدَّقْ وَهْوَ ذَا الْفَضْلِ صَاحِبِي
وَكُـنْ بِمَقَـامِ إِيمَانِنَـا ذَا مُؤْمِنـاً ... بِـرَبٍّ وَأَمْـلَاكٍ وَرُسْـلٍ كَـذَا كُتْـبِي
إِلَى آخِـرِ الْإِيمَـانِ وَهُـوَ لَنَـا غَـدَا ... أَيَـا صَـاحِبِي خُلُـقْ إِلَـهِي وَلِلنَّـبِي
فَمَـنْ نَـالَ خُلْـقَ الْحَـقِّ أُعْطَـى مُـرَادَهُ ... وَمَـا فَاتَـهُ مِـنْ مَـالِهِ ذَا هُـوَ يَطْلُـبِي
وَالْإِحْسَانُ عِنْدَ أَهْلِ الْكَمَالِ لَقَـدْ غَـدَا ... بِـأَنْ تَعْبُـدَ الـرَّحْمَنِ كَيْ تَشْـهَدَهُ حِـبِّي
فَـإِنْ لَـمْ تَكُـنْ يَـا ذَا فَنِيـتَ فَإِنَّـكْ ... تَـرَاهُ وَإِلَّا هُـوَ يَـرَاكَ فَـأَطْرَبِي
وَثَـمَّ تَجَلِّيَـاتُ رَحْمَانِنَـا أَتَـتْ ... بِغَـيْرِ حِسَـابِ عَـدٍّ جَـلَّ الْإِلَهُ رَبِّي
وَكُـفَّ ظُلْـمَ النَّفْـسِ فِي أَوَّلِ أَمْـرِكْ ... وَبَعْـدُ فَمُقْتَصِـدٍ فِي مَقَامَـاتٍ مَـنْ رُبِي
وَسَـابِقْ إِلَى الْخَـيْرَاتِ وَأْمُـرْ بِمَعْـرُوفٍ ... مَقَامَاتٍ جَاءَتْ فِي الْكِتَابِ عَـنِ النَّـبِي
فَمَـنْ أَمْـرَ بِـهِ فَقَـدْ نَـالَ خَـيْرَ مَـا ... لَهُ يَطْلُـبُ أَهْـلُ الْعُـلَى وَسُـرَّ بِي
وَأَيُّ صَـلَاةٍ كُنْـتَ فِيهَـا فَاشْـهَدَنْ ... بِأَنَّهَـا آخِـرُ مَـا تُصَـلِّي فَتَطْيَـبِي
وَأَحْسِـنْ إِلَى مَـنْ أَحْسَـنَ إِلَيْـكَ وَلَا ... تُسِـيئَنْ مَـنْ سَـاءَكَ فَتُعْطَـى التَّقَـرُّبِي
بَـلَى وَأَحْسِـنْ لِلَّذِي تَـرَى هُـوَ أَسَاءَكَ ... فَـذَا خُلُـقُ الطَّـالِبِينَ لِمَشْـرَبِي

كَذَا وانْهَ عَنْ مُنْكِرٍ تَرَاهُ ... وَذَا مَقَامٌ وَأَيْضاً لِلْحُدُودِ تَجَنَّبِي
وَأَعْنِي بِهِ حِفْظَاً لَهَا يَا مُسَافِرَاً ... إِلَى حَضْرَةٍ فِيهَا تَنَلْ كُلَّ مَطْلَبِي
وَلَا تَتَكَبَّرْ يَأْتِكَ الشَّرُّ وَالرَّدَى ... وَمَنْ يَتَكَبَّرْ يَأْتِهِ الشَّرُّ يُعْطَبِي
وَإِيَّاكَ وَالْخُيَلَاءَ إِنَّهَا لَمْ تُنِلْ سِوَى ... سُوءِ حَالٍ وَاخْشَ إِنْ تَكُ كَاذِبِي
وَمَهْمَا أَتَاكَ أَمْرٌ أُصِبْتَ بِهِ فَقُلْ ... مَقَامُ أُولِي التَّحْقِيقِ مِنْ كُلِّ مُحَجَّبِي
وَذَاكَ بأَنَّا لِلْإِلَهِ وَأَنَّنَا ... إِلَيْهِ جَمِيعاً رَاجِعُونَ فَلَا تَبِي
لِبَعْضٍ وَأَخْشَى مِنْ كَلَامِكَ رُبَّمَا ... تَكَلَّمْتَ ثُمَّ تَهْوَى كَمَا جَاءَ احْقُبِي
وَذَاكَ بِأَنَّ لَا تُبَالِي وَأَوْزِنَا ... بِمِيزَانِ شَرْعٍ وَهُوَ أَصْلٌ عَنِ النَّبِي
وَقُمْ مَقَامَ الْجِدِّ إِنْ رِدْتَ أَنْ تَكُنْ ... مِنَ الْقَانِتِينَ السَّائِحِينَ بِأَثْرُبِي
وَخُذْ عَنِّي ذَا مِنْ كُلِّ مَا تَرَاهُ خُلُقٌ ... فَهَذَا مَقَامٌ لِلسِّيَاحَةِ يُنْسَبِ
وَلِلتَّوْبِ أَقْسَامٌ لَدَيْنَا فَأَوَّلًا ... هِي التَّوْبَةُ وَالْأُخْرَى حَقِيقَةُ مَا بُنِي
فَأَوَّلُهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَهَذِهِ ... لِمَعْشَرِ سَادَاتِ الْوَلَايَةِ مَنْ حُبِي
جَمِيعُهُمْ ذَوْقاً عَظِيماً وَثَالِثُ الْمَرَاتِبِ ... لِلْأَنْبِيَاءِ مَنْ نَالُوا لِلْقُرْبِ
وَكُنْ عَابِداً إِنَّ الْعِبَادَةَ رَأْسُ مَا ... يُقَرِّبُ خُصَّ الْفَرْضَ وَالنَّفْلَ قَارِبِ
إِذَا شِئْتَ إِنْ تُبْصِرْ بِرَبِّكَ يَا فَتَى ... وَتَسْمَعْ فَثَمَّ السِّرِّ يَا رَبِّ أَوْهِبِ
وَتَبْطُشْ بِالْجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ ... وَكَمْ ثَمَّ أَسْرَارٌ يَنَلْهَا الْمُقَرَّبِي
وَارْكَعْ كَثِيراً فَالرُّكُوعُ مَحَلُّهُ ... عَظِيمٌ فَاسْجُدْ يَا بُنَي وَارْغَبِي
أَنَا أَعْنِي مِنَ الرَّحْمَنِ إِذْ أَنْتَ سَاجِدٌ ... وَاسْجُدْ كَذَا قَدْ جَاءَ أَيْضاً وَاقْرُبِي
وَعِنْدَ أُهَيْلِ الْيَقِينِ مَقَامَاتٌ ... أَتَتْ تِسْعَةً فَارْقَى إِلَيْهَا وَاطْلُبِي

وَذَا الْخَوْفُ عِنْدَهُمْ مَقَامٌ مُكَمَّلٌ ... وَلِلْكُلِّ أَقْسَامٌ فَإِيَّاكَ تَعْطَبِي
وَقَدْ مَرَّ مِنْهَا الصَّبْرُ يَا رَايِمِ الْجَلَاءِ ... كَذَا الزُّهْدُ يَا هَذَا وَأَيْضاً مَتَابِي
فَمِنْهَا الرَّجَاءُ أَنْ لَا يَكُونَ رَجَاؤُكَ ... سِوَى الْحَقِّ وَأَرْجُو مِنْهُ مَا تَتَطَلَّبِي
وَأَعْظَمُهُ أَنْ لَا تَخَافَ سِوَى الَّذِي ... بِيَدِهِ جَمِيعُ الْأَمْرِ وَالْكُلُّ مُنْجِبِي
إِذَا جَاءَ قَهْرٌ مِنْهُ وَالشُّكْرُ عِنْدَنَا ... فَمِنْهَا لِعَدِّ عَدُوِّهِ وَاشْكُرْ لِمُوهِبِي
مُرَاداً وَمِنْهَا الرِّضَاءُ بِمَا أَتَى ... مِنَ الْحَقِّ فَاسْتَسْلِمِ إِنْ رُمْتَ تُحْبَبِي
وَمِنْهَا مَقَامٌ لِلْمَحَبَّةِ فَهُوَ أَنْ ... تَكُنْ فِي جَمِيعِ الْوَقْتِ مُشْتَغِلاً بَنِي
بِحَقٍّ تُحِبَنْنَهُ ذَا مَنْ أَعْظَمِ مَا بَدَا ... فَمَنْ حَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَنَّ لَهُ صُبِي
وَلَا بُدَّ مِنْ بَذْلٍ لِرُوحٍ وَهَا أَنَا ... مِنَ الَّذِي سُمِّي فِي الْخَلْقِ قَدْ سُبِي
فَقَالُوا مُجَيْنِينٌ فَقُلْتُ بَلَى وَلَا ... وَلَكِنَّنِي مُغْرَمٌ بِحُبِّي مُحَبَّبِي
فَيَا لَيْتَهُ رَاضٍ بِبَعْضِ الَّذِي بَدَا ... وَلَا بُدَّ لِلْمَحْبُوبِ أَنْ يَتَطَلَّبِي
شُغِفْتُ بِهِ مُنْذُ حَلَّ بِي الصَّبَا ... وَهَبَّتْ صَبَا نَجْدٍ فَرُمْتُ لِذَا الصَّبِي
فَإِنْ لَمَعَتْ مِنْ نَحْوِهَا لَمْعُ بَارِقٍ ... أَذُوبُ اشْتِيَاقاً ثُمَّ أَرْقُصُ وَاطْرَبِي
وَأَسْكُرُ مِنْ تَصْفِيقِ نَفْسِي لِأَنَّهَا ... تَسَلَّتْ بِمَحْبُوبِ الْفُؤَادِ وَحَلَّ بِي
مِنَ الرَّقْصِ مَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا لِمُوجِدٍ ... وَرَقْصِي مِنْ نَشْوَى حَقِيقَةِ مَشْرَبِي
وَمِنْ خَمْرَةٍ قَدْ عُتِّقَتْ مِنْ قَدِيمٍ ... وَمَا عُتِّقَتْ بَلْ لَمْ يَرَ غَيْرَهَا فَبِي
تَبَدَّتْ وَمَا لَاحَ لِي حُبّاً بِهَا ... دُهِشْتُ وَأَيْمُ اللهِ يَا مُتَطَلِّبِي
وَذُبْتُ مِنَ السُّكْرِ الَّذِي حَلَّ فِي دَمِي ... وَعَظْمِي وَلَحْمِي ثُمَّ رُوحِي وَمَشْرَبِي
وَصِرْتُ كَأَنِّي لَا كَأَنِّي وَقِيلَنِي ... أَقُولُ فَإِنِّي قَدْ زَهَقْتُ عِمَّ بِي

وَذَا بِلِسَانِ الْحَالِ أَمِ الْمَقَالِ لَا إِلَيْهِ وُصُولٌ يَا خَلِيلِي وَمُصْحِبِي
فَمِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ الَّذِي قَدْ أَنْلْتَهُ وَمِنْ شِدَّةِ الْوَلَهِ الَّذِي هُوَ حَلَّ بِي
يَقُولُ الْغَوَانِي مَا لِهَذَا الْفَتَى وَمَا شُغِفْنَ لَهُ يَا ذَا وَلَيْسَ مُجَنِّبِي
إِلَى نَحْوِنَا لَكِنْ بِهِ وَلَهُ فَمَنْ كَمِثْلِ الْفَتَى يَعْشَقُ لَقَدْ ذَابَ ذَا الصَّبِي
فَقُلْتُ أَلَا مِنْ عَالَمِ الذَّرِّ حَالَتِي كَذَاكَ وَمِنْ مَبْدَايَ لَسْتَ تَقَرُّبِي
وَمَحْوِي أَرَاهُ عَيْنَ إِثْبَاتِ أَثْرَتِي وَمَحْوَ آثَارِي مَنْ وُجُودِي مَكْسَبِي
وَسَحْقِي مِنْ عَيْنِ التَّجَلِّي لَقَدْ جَلَا فُؤَادِي وَأَبْقَانِي كَمِثْلِ الْمُسَلَّبِي
لِذَا أَلَذَّ لِي مَا قَدْ ذَكَرْتَ أَيَا فَتَى وَذَلِكَ مَقْصُودِي وَأَكْبَرُ مَطْلَبِي
وَطَمْسِي مِنْ حَالِ الصِّفَاتِ لَعَلَّنِي أَنَالُ لِمَحْقِي ثُمَّ ذَا سِرُّ مَأْرَبِي
وَمَحْقِي ذَاكَ الْمُغَنِّي لِلَذَّاتِ جُمْلَةً فَصِرْتُ أَنَا هُوَ مِثْلُ هُوَ فَتُحَبَّبِي
فَبَانَ جَمِيعُ الْخَلْقِ عَنْهُ كَمَا يَرَى وَلَا يَعْرِفَنْ هَذَا سِوَى أَهْلِ التَّقَرُّبِي
فَذَا الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ مِنْهُ لَقَدْ بَدَا كَذَا الْقَلَمُ الْأَعْلَى وَلَوْحٌ فَاعْجَبِي
وَنَارٌ وَمَاءٌ ثُمَّ هَوَاءُ مَعَ الصَّبَا وَمُسْتَوِكَ الْأَزْهَى وَأَنْهَارِ الْأُخْرَى بِي
وَسِدْرَةُ مَنْ فِيهَا مَقَامُ لِجِبْرِيلَ وَلَيْسَ تُطِقْ تَنْظُرْ إِلَيْهَا وَتَنْقُبِي
عَمَاءُ بِهِ كَانَ الْإِلَهُ وَمُسْتَوِ الرُّبَى عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ يَا صَبِي
وَذَا الْعَرْشِ عِنْدَهُمْ غَدَا مُسْتَوِي يَا ذَا لِرَحْمَانِنَا وَالْأَمْرُ لَيْسَ بِذَا غَبِي
لَدَى الْعَارِفِينَ الْوَاصِلِينَ وَمَنْ سَرَوْا إِلَى حَضْرَةِ الْإِحْسَانِ مَعْ كُلِّ مُقَرَّبِي
مَهِيمُوا أَمْلَاكٍ خُلِقْنَ جَمِيعُهُمْ أَنَا أَعْنِي مِنْ نُورِ الْجَمَالِ وَقَدْ سُبِي
جَمِيعُهُمُ مِنْ ذَاكَ مَعْ جَمْعِ أَمْلَاكٍ وَأَنْبَاءٍ مَعَ أَهْلِ الْوِلَايَةِ مَنْ حُبِي

صَغِيرُهُم مَعَ أكْبَرَ مِنْهُمْ ضِيَاءً   وَفَيْضٌ وَعِلْمٌ مِنْ إِلَهِي هُوَ وَهْبِي

كَذَاكَ السَّموَات السِّبَاعُ وَأرْضُنا   وَأَفْلَاكُنَا وَالْفُلْكُ الْأَطْلَسُ مَا رَبِي

وَبَرْزَخُنَا مَعْ قُبَّةٍ شُبِّهَتْ لَنَا   بِجَنَّةِ حُسْنٍ ثُمَّ كَمْ فِيهَا مُرْتَقَبِي

وَكِيوَانٌ مَعْهُ الْمُشْترى وَكَذَا زُحَلٌ   وَبَاقِي مَنَازِلِ مَا ذَكَرْتُ وَعَقْرَبِي

وَبَحْرٍ وَبَرِّ ثُمَّ كَذَا بَهَمُوتُنَا   وَثَوْرٌ دَوَابٌّ فَاسْتَمِعْ مَا بِهِ حُبِي

كَذَا مَلَكُوتٌ ثُمَّ مُلْكٌ وَاصِلٌ مَا   ذَكَرْتُ وَجَمِيعُ الْكَوْنِ وَالنُّورِ مَنْ رُبِي

تَجَلَّى لَهُ أَعْنِي لِنَفْسِهِ فَأَنْصِتُوا   وَذَلِكَ قَبْضَةُ نُورٍ مِنْ نُورِهِ النَّبِي

فَهُوَ الْقَلَمُ الْأعْلَى كَذَا الْعَقْلُ يَا فَتَى   وَمِنْهُ تُقَسَّمْ كُلَّ مَا جَاء تَقَرُّبِي

لِنَحْوِ حَدِيثٍ جَاءَ عَنْ جَابِرٍ تَرَا   حَقِيقَةَ مَا أَبْدَيْتَ مِنْ سِرِّ مَطْلَبِي

وَشَمْسٌ كَذَا قَمَرٌ كَذَاكَ كَثِيبنَا   بِهِ رَبُّنَا يَتَجَلَّى فِي جَنَّةِ الْقُرْبِي

فَوَحْدَةٌ حَقًّا لَوْ تَأَمَّلْتَ سِرَّهَا   وَكَثْرَةَ لِبَانِ الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ تَتْعَبِي

وَلَكِنَّمَا لَا يَعْرِفُونَ لَهَا سِوَى   أُهَيْلِ تَجَلِّيهَا فَشَمِّرْ تَقْرُبِي

بِكَثْرَةِ نَفْلٍ جَاءَ عَنْ رَبِّنَا يَكُونُ   أَنَا أَعْنِي لَكَ سَمْعَاً كَذَا بَصَراً فَبِي

كَذَا وَفُؤَاداً جَاءَ بَعْضُ رِوَايَاتٍ   بِذَا يَا إِلَهِي جُدْ بِالْفَيْضِ وَاسْكُبِي

وَمَهْمَا بَدَا إِذْ نَطَقْتَ أَخَا الْعُلَى   أَلَا يَا مُرَادِي أَنْ تُجِبْ لِي وَتَقْرُبِي

فَإِنِّي قَدْ ضَاقَ الْخِنَاقُ بِلَا مِرَا   فَكَمْ أُبْعِدَنْ عَنْكَ وَتَنْصُرُ رَاغِبِي

أَرَى الْوَاشِي يَغْدُو قَائِلاً كُلَّ مَرَّةٍ   تَسَلَّى فَحَاشَا لَسْتُ أَنْسَى حُبَيِّبِي

وَكَمْ فِي فُؤَادِي مِنْ غَرَامٍ وَلَوْعَةٍ   تُحَرِقُ أَحْشَائِي وَلَسْتُ بِمُرْغِبِي

وَكَمْ أَصْطَلِي جُرْمَ الْبِعَادِ وَكَمْ أَرَى   جُفُونِي تُذْرِفُ بِالدُّمُوعِ وَتَسْكُبِي

وَكَمْ يَمْتَلِي جَوْفِي مِنَ الْحُزْنِ وَالْعَنَاء … وَجِسْمِي يَبْلَى وَالْفَنَاء صَارَ مُتْعِبِي
أَرَى الْحَاسِدَ الْمُؤْذِي يَقُولُ تَجَنَّنُوا … وَمَا هُوَ إِلَّا قَاصِدٌ أَتْلَفَ جَانِبِي
يَظُنُّ بِأَنِّي أَعْدِلَنْ نَحْوَ غَيْرِكُمْ … وَكَلَّا وَقَلْبِي فِي الْحِمَاءِ مُتَقَلِّبِي
وَعِزَّتِكَ الْعُظْمَى وَعَهْدِ الْوِلَاء وَمَا … تَمَلَّكَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ الْمُقَلِّبِي
عَلَى ذَاتِي يَا عَيْنَ الْفُؤَادِ وَبُغْيَتِي … وَسِرِّي مِنْ سِرِّي وَمَظْهَرَ مَنْسَبِي
وَبَسْطِ جَمَالِ الْوَجْهِ مِنْكَ وَسِرِّ مَا … تَلَقَّتْهُ رُوحِي مِنْكَ فِي بَسْطِ التَّقَرُّبِي
وَقَهْرِ جَلَالِ الْعِزِّ فِينَا وَرَمْيِنَا … إِلَى حُبِّكَ الْأَعْلَى وَمَنْ هُوَ مَشْرَبِي
وَحَضْرَتِكَ الْعُلْيَا الَّتِي تَقَدَّسَتْ … عَنِ الَّذِي لِنَفْسٍ لَيْسَ يَفْنَى وَيَذْهَبِي
وَسِرّ لِصِفَاتٍ لَمْ يَنَلْ حَيْ قُرْبَهَا … سِوَى بَاذِلٍ لِلرُّوحِ مَعْ كُلِّ مَأْرِبِي
وَحُجْبِكَ وَالْأَسْتَارِ يَا غَايَةَ الْمُنَى … وَمَا فِيكَ مِنْ حُسْنٍ وَمَعْشُوقِكَ الْأَبِي
عَنِ الْغَيْرِ أَعْنِي الْتِفَاتاً وَمَنْ لَهُ … مَقَاماً نَرَاهُ لَمْ يَنَلْهُ وَلَا نَبِي
لَأَنْتَ بِوَسْطِ الْقَلْبِ وَالْغَيْرُ كَالْهَبَاءِ … وَحُبُّكَ قَدْ أَضْحَى نِهَايَةَ مَطْلَبِي
وَإِنَّ فَنَائِي فِيكَ مِنْ أَقْوَى مَا أُحِبّ … وَهَجْرُكَ مَعَ حَالِ الرِّضَا لَهُوَ أَحْلَى بِي
مِنَ الْوَصْلِ مَعَ حَالِ التَّنَظُّرِ لِلسِّوَى … فَذَاكَ إِلْفُ الْعَيْنِ يَشْهَدُهُ الْأَبِي
عَنِ الْغَيْرِ بَلْ وَحْدِي أَغْزُ الَّذِي أَرَى … بِحَيِّ لِقَاكَ ثُمَّ ذَا سِرُّ مَطْلَبِي
وَمِنْهَا التَّوَكُّلُ وَهُوَ مُرٌّ وَإِنْ تُرِدْ … حَقِيقَ مَقَامَاتٍ فَانْظُرْ كُتَيِّبِي
وَأَعْنِي بِهِ مَا قَدْ وَرَدْ عَلَيَّ فَإِنَّهُ … لِحَضْرَةِ أَسْمَاءِ الْمُوَافِقِ يَصْحَبِي
كَذَا وَمَقَامَاتٍ فَإِنْ رُمْتَ فَانْظُرْهَا … وَاسْتُرْ مَا تَلْقَاهُ مِنْ سِرِّ مَنْ حُبِي
وَإِنْ تَمَّ لَكَ حَالُ الْمَقَامَاتِ فَانْظُرَنْ … إِلَى حَضَرَاتٍ إِنَّهَا تُتْعِبُ الْغَبِي

فَفِي حَضْرَةِ الْبَسْطِ الْجَمِيلِ تَأَدَّباً ... أَوْزِنْ يَا مُرِيدَ الْبَسْطِ مِنْ أَيِّ جَانِبِي
فَمَهْمَا أَتَاكَ الْبَسْطِ كُنْ مُتَأَدِّباً ... وَإِيَّاكَ تَهْوَى يَا فَتَى ثُمَّ تَعْطَبِي
وَفِي حَضْرَةِ الْفَيْضِ الْعَظِيمِ فَكُنْ لِذَا ... مُشَاهِداً لَهُ مِنْ حَضْرَةِ الْقَابِضِ الْأَبِي
أَنَا أَعْنِي الْتِفَاتاً لِلسَّوَاءِ فَإِنَّ ذَا ... هُوَ الشَّرُّ الْمُؤَدِّي إِلَى شَرِّ مَعْطَبِي
وَاشْهَدْ جَمِيعَ الْأُنْسِ مِنْ حَضَرَاتِهِ ... وَلَا تَنْظُرَنْ لِلْغَيْرِ تَبْقَى مُذَبْذَبِي
وَمِنْ أَوَّلٍ فَاشْهَدْ أَوَائِلَ كُلَّمَا ... أَتَى لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ دُونِ أَوْ نَبِي
وَمِنْ حَضْرَةٍ لِلْوَاحِدِ الْفَرْدِ فَانْظُرَنْ ... بِأَنَّهُ هُوَ الْآخِرْ بِغَيْرِ انْقَضَا صَبِي
وَمِنْ حَضْرَةِ الظَّاهِرِ كَثِّرْ ظُهُورَهُ ... وَيَفْهَمُ هَذَا مَنْ لَهُ اللهُ مُجْتَبِي
وَمِنْ بَاطِنِ بَطْنِ الْمَلِيكِ وَيَعْلَمَنْ ... مُرَادِي أُهَيْلُ الْحَقِّ وَمَنْ لَكَ أَجْنَبِي
يَتِيهُ وَلَا يَدْرِي لِأَيَّةِ مَوْطِنٍ ... أُشِيرُ وَمَوْلَى الدَّارِ يَدْرِي الَّذِي خُبِي
وَيَعْرِفُ رَطْنِي أَوْلَادُ بَطْنِي كَمَا يُقَالُ ... وَمَا قَصْدِي أَنْ أُفْشِي لِسِرٍّ وَكَيْفَ بِي
إِذَا قِيلَ قَدْ أَفْشَى لِأَسْرَارِ حِكْمَةٍ ... وَأَتَاهَا غَيْرُ أَهْلٍ لَهَا هَذَا الْغَبِي
وَقَدْ ظَلَمْنَهَا جَاءَ هَذَا عَنْ أَحْمَدٍ ... عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ مَا تَابَ مُذْنِبِي
وَقَدْ أَمَّنُوهُ قِيلَ قِدْماً وَقَدْ فَشَا ... فَلَا يَأْمَنُوهُ مَا عَاشَ مِنَّةُ الْأَبِي
وَفِي حَضْرَةِ الْعِلْمِ الْخَزَائِنِ سِيَّمَا ... خَزَائِنُ عِلْمٍ لِلْكِتَابِ وَاكْتُبِي
كَذَاكَ خَزَائِنُ مَا أَتَى عَنْ رَسُولِنَا ... وَكَمْ ثَمَّ أَسْرَارٍ يَنَلْهَا الْمُقَرَّبِي
وَلِلْعِلْمِ أَقْسَامٌ وَأَعْظَمُهُ الَّذِي يَجِي ... مِنْ لَدُنْ كَالْخَضْرِ ذَاكَ الْمُقَلَّبِي
بِأَنْوَاعِ عِلْمٍ ثُمَّ كَسْبٍ وَكُلُّهُ مِنَ الْحَقِّ ... جَلَّ اللهُ خَالِقٌ وَمُذْهِبِي
عَنِ الْعَبْدِ إِذَا مَا اصْطَفَاهُ كُلَّ سِوَى ... وَمُعْطِيهِ مِنَ الْعِلْمِ يَا خِلِّ الْوَهْبِي

وَمِنْ حَضْرَةِ النُّورِ الْمُزِيلِ لِظُلْمَةٍ وَكَمْ فِيهَا أَنْوَرٌ تُنِيرُ لِأَقْلُبِي

فَفِي النُّورِ الَّذِي بِهِ تَرَى مَا تُرِيدُهُ فَذَاكَ نُورٌ بِهِ تَرَى يَكْشِفُ وَبِي

أُرِيدَنَ النُّورَ الَّذِي بِهِ لَيْسَ يُرَى بَلْ يَفْنَى فِيهِ الْعَبْدُ فَهُوَ لِمَطْلَبِي

وَفِي الْحُجْبِ كَمْ نُورٍ وَكَمْ ظُلْمَةٍ كَمَا أَتَانَا بِهَذَا السَّيِّدُ الْخَاتِمُ النَّبِي

وَلَوْ رُفِعَتْ عَنِ الْكَوْنِ صَارَ مُحْرِقَاً وَيَعْلَمُ هَذَا مَنْ تَرَقَّى وَقَدْ حُبِي

فَيَا رَبِّ نَوِّرْ قَلْبِي بِالنُّورِ الْأَعْلَى وَيَا رَبِّ أَشْهِدْنِي الْجَمَالَ أَيَا رَبِّي

وَكُنْ بِأَحْوَالِكْ جَمِيعاً مُسَافِراً وَسِرْ وَلَا تَقِفَنْ مَعْ أَيِّ مَوْكِبِ

وَسَافِرْ إِلَى عِلْمِ الْيَقِينِ أَيَا فَتَى إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْظَى بِمَحْيَ مُحَبِّبِي

إِلَى عَيْنِهِ فَالْعَيْنُ عِنْدَ أُهَيْلِهَا لَهَا الْمَشْهَدُ الْأَعْلَى فَقَوِّمْ وَاسْكُبِي

لِعَبْرَةِ عَيْنٍ وَاطْلُبَنَّ لُحُوقَهَا فَثَمَّ كَمَالُ الْعَارِفِينَ وَمَنْ سُبِي

بِمَبْدَأ جَمَالٍ لَوْ رَءَاهُ الَّذِي بِهِ بِهِ الْمَوْتُ أُحْيَا مِنْ جَمَالِ الْمَطْلَبِي

لِمَنْ شَاهَدَ عَقْلَهُ كَذَاكَ وَلُبَّهُ فَصَاحَ أَجِرْنِي مِنْ بِعَادِ الْمُجَرَّبِي

فَهَجْرُكَ هُوَ نَارُ الْجَحِيمِ فَدَيْتُكَا بِرُوحِي وَمَا لِي ثُمَّ أَهْلِي وَمَصْحَبِي

فَمَا عَشِقَا فِي الْكَوْنِ غَيْرَكَ إِنَّمَا تَسَتَّرْتُ فِي لَيْلَى وَدَعْدٍ وَزَيْنَبِي

فَقَيْسٌ وَلَيْلَى أَنْتَ مَعْهُمَا عَزَّةٌ كَذَاكَ جَمِيلٌ مَعْ جَمِيلَةُ مَنْصَبِي

تَبَدَّتْ وَأَمَّا أَنْتَ سِرٌ لِكُلِّ مَا ذَكَرْتُ وَيَفْهَمُ قَوْلِي أَهْلُ الْمَشَارِبِي

بُثَيْنَةُ مِنْكَ وَأَيْضَاً مُحِبُّهَا أُصِيبَ وَمَا قَدْ صَابَهُ غَيْرُ أَصْبُعِي

تَسَتَّرْتُ فِي جَمْعِ الْمَظَاهِرِ لَا يَرَى جَمَالَكَ غَيْرُ الْوَاصِلِ الْمُتَقَرِّبِي

وَمَا مَرَّ شَيْءٌ فِي الْوُجُودِ سِوَى الْعَنَاء وَمَا حَلَّ ذِي الْجَلْوَى إِلَّا مُطَيِّبِي

وَقُلْ بِعَقْلٍ صَاحِ أَيَا أَخَا الْعُلَى   وَاعْتَمِدْ تَعَالَى اللهُ مَنْ هُوَ مَطْلَبِي
إِذَا جَاءَ شَيْءٌ أَغْنَى عَنْ كُلِّ مَا تَرَى   وَمَا تَتَصَوَّرُهُ الْعُقُولُ وَاتْقُبِي
بِفِكْرِكَ فِي كَوْنٍ وَإِيَّاكَ فِي ذَاتِهِ   فَتَهْلِكَ يَا هَذَا وَتَبْقَى مُحَبَّبِي
فَنَزِّهْهُ وَالتَّنْزِيهُ لِلَحَقِّ وَاجِبٌ   وَنَزِّهْهُ عَنْ تَشْبِيهِ كُلِّ مُعَذِّبِي
وَقُلْ تَعَالَى اللهُ عَنْ كُلِّ مَا قَدَرْ   فَمَا يَقْدِرَنْ قَدْرَهُ سِوَاهُ وَمَنْ نُبِي
وَإِيَّاكَ وَالتَّشْبِيهَ تُدْعَى بِكَاذِبٍ   وَإِيَّاكَ مِنْ دَعْوَى الْحُلُولِ فَتَكْذِبِي
وَإِيَّاكَ مِمَّا عَظَّلُوهُ فَافْهَمْ بِهِمْ   لَهُمْ شَرُّ حَالٍ مِنْ حَكِيمٍ مُعَذِّبِي
وَكُنْ فِيمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ مِنْ تَنَزُّلٍ   وَضَحِكٍ وَمَرَضٍ ثُمَّ كَذَا وَتَعَجُّبِي
وَأَمْثَالِهِ فَإِنَّهُ كَمَا يَعْلَمُ اللهُ   وَقَلِّدْ لِمَا قَالُوهُ أَسْلَافُنَا حِبِّي
وَمَا جَاءَ عَنْ أَهْلِ الْوِلَايَةِ سَلِّمَنْ   لَهُمْ فَلَدَيْهِمُ الْأَدِلَّةُ تُصْحَبِي
وَأَحْبِبْ لَهُمْ إِنْ شِئْتَ تَحْظَى بِمَقْعَدٍ   جَلِيلٍ لَنَا الرَّحْمَنُ جَلَّ الْمُقَرَّبِي
لِمَنْ حُبَّهُمْ وَاسْمَعْ هُدِيتَ لِرُؤْسِهِمْ   وَسَلْ لِمَقَامَاتٍ لَهُمْ وَتَطَلَّبِي
فَفِي السَّادَةِ النُّقَبَاءِ كَمْ مِنْ مَعَارِفٍ   لَدَيْهِمْ وَعِلْمٍ قَدْ تَمَكَّنَ فِي الْقَلْبِ
لَهُمْ مَنْزِلٌ تَجَلَّى لَدَيْهِمْ مِنَ الْعَلِي   وَعَزَّ مَنْ وَافَى عِنْدَهُمْ كَسْبِي
وَلِلْعُلَمَاءِ أَهْلِ النَّجَابَةِ مَقْصِدٌ   إِذْ حَضَرُوا فِي مَجْمَعِ النُّورِ السَّبِي
بِجَنَّةِ دَارٍ لِلْمَزِيدِ وَكَيْفَ لَا   وَفِيهِ أُمُورٌ كُلَّ عَنْهَا الَّذِي حُبِي
لَهُمْ فِي أُمُورِ الْقِيَامِ بِإِصْلَاحٍ   وَفِي الْكُلِّ أَصْلُ جَانَا ذَا عَنِ النَّبِي
وَهُوَ لَا تَزَالُ مِنْ أُمَّتِي طَائِفَةٌ وَفِيَّةٌ   عَلَى الْحَقِّ هُمْ ذَا ظَاهِرِينَ بِهِ حُبِي
وَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِي أَمْرُ إِلَهِنَا   فَيَا رَبِّ خُذْنِي نَحْوَ بَابِكَ وَانْجُبِي

وَلِلْبُـدَلَاءِ فِي الْجَمْـعِ قَـدْرٌ مُجَلَّـلٌ ... وَقَـدْرُهُمْ مَعْلُـومٌ فِي أَيِّ مَـوْكِبِي
وَلِلْفُضَـلَاءِ الْأَبْـدَالِ أَقْسَـامٌ يَـا فَـتَى ... وَاسْـماً وَهَـذَا شَـأْنُ بَعْـضِ الْمُنَجَّـبِي
خَلِيلَيَّ مَنْ هَذَا صِفَاتٌ لَهُـمْ وَهُـمْ أَمَلِي ... لَهُمْ مَشْرَبٌ مِنْ حَضْـرَةِ الْحَقِّ مَشْـرَبِي
وَلِـلذَّاتِ نَـاسٌ وَالْجَمِيـعُ لَهُـمْ عِلْـمُ ... عَبِيـدٌ لَهُ الـرَّحْمَنُ مِـنْ قِـدَمِ مُجْتَـبِي
وَأَوْتَادُنَـا هُـمْ لِلْأَرَاضِـينَ أَوْتَـادُ ... جِبَـالُ لَهُـمْ رُسِـيَتْ مَعَـارِفُ مُقْـرَبِي
وَثَمَّ إِمَامٌ عَـنْ يَمِـينِ لَـهُ التَّصْـرِيفُ ... بِعَـالَمِ مَلَكُـوتٍ وَهُـوَ دُونَ صَـاحِبِي
وَمِـنْ جِهَـةِ الْيُسْـرَى إِمَـامٌ لَهُ حُكَـمُ ... بِمِلْـكٍ وَيُسْـتَخْلَفْ لَدَيْهُـمِ الْقُطْـبِي
وَقَاضِـيَهُمُ شَـهْمٌ عَظِـيمٌ مُكَمَّـلٌ ... لَـهُ مَشْـهَدٌ أُجْلَـى وَيَعْلَمْـهُ مُنْجِـبِي
وَلِلْقُطْـبِ أَحْـوَالٌ وَحَضْـرَةٌ جَمْعِـهِ ... لِذَا مِثْلُهَـا مَعْلُومَـةٌ فِي التَّقَطُّـبِي
وَمَنْ مَالَ لِلمَخْـدَعِ أَبْصَـرْ وَمِنْـهُ هُـوَ ... يَمُـدُّ لِأَفْـرَادٍ كِبَـارٍ فَحَـادِ بِي
إِلَيْهِ عَسَـى تَنْظُـرْ وَمِـنْ مَرْقَـدٍ هُـدَى ... إِلَى سُـبُلِ الْخَـيْرَاتِ خُـصَّ بِمَـأْرَبِي
وَلِلسَّـادَةِ الْأَفْـرَادِ عَـدٌّ قَلِيـلُ جَـلَّ ... وَشَـأْنُهُمْ شَـأْنٌ عَجِيـبٌ مُعْجَّـبِي
وَلَيْسَ لَهُمْ فِي غَالِـبِ الْأَمْـرِ تَصْـرِيفٌ ... وَلَكِـنَّهُمْ فِي أَبْحُـرِ النُّـورِ غُيَّـبِي
مَشَاهِدُهُمْ عُظْـمَى وَعِلْـمٌ لَهُـمْ جَلِيـلٌ ... عَبَـايِرُهُمْ مِثْـلُ الرُّمُـوزِ فَقَلِّـبِي
لِحَـلِّ لَهَـا بِـالْفَهْمِ إِنْ تُـرِدِ الْجَـلَا ... وَجَاهِـدْ تُشَـاهِدْ قَـالَ أَهْـلُ التَّكَسُّـبِي
وَأَقْـدَامُ كُـرُوبٌ لَدَيْهِـمْ كَمَـا بَـدَا ... لَدَى الْعَـارِفِينَ الْوَاصِـلِينَ الْمُغَيَّـبِي
وَأَمَّـا الْأُولَى فَلَهُـمْ أَقْـدَامُ تَسْـخِيرٍ ... وَلِلْـكُلِّ أَقْـدَامٌ مِـنَ الَّذِي سُـمِي نَـبِي
فَمَـنْ مَـدَّهُ إِبْـرَاهِيم نَـالَ تَكَمُّـلاً ... وَأُعْطِـي رُسُـوخاً فِي الْكَمَـالِ تَعَجَّـبِي
وَمَـنْ مُـدَّمِنْ مُـوسَى فَـإِنَّ لَهُ هُنَـا ... بِكَـثْرَةِ تَعْبِـيرٍ وَعِلْـمِ غَـرَايِبِي

وَكُلُّهُـم يَبْـدُو بُـنَيَّ مِـنْ أَحْمَـدٍ وَكُلًّا بِحُبِّـكَ لَيْلَـتِي هُـوَ ذَا حِـبِّي
فَمَـا أَلْـقَى إِبْـرَاهِيم فِي النَّـارِ إِلَّا ذَا جَمَالُـكَ لَا غَـيْرُ وَعِزَّتْـكَ وَرَبِّي
وَمَـا حَـاجَّ ذَا مُـوسَى لِفِرْعَـوْنَ إِلَّا ذَا تَوَلَّـتْ مَحَبَّتـكَ عَلَيْـهِ وَهُـوَ صَـبِي
وَمَـا خَـرَّ مُـوسَى صَـعِقاً إِلَّا لِعِزَّتِـكَ وَمَـا سَـافَرَ إِلَّا لِأَجْـلِ التَّقَـرُّبِي
وَمَـا فَلَـقَ الْبَحْـرَ الْعَظِـيمَ سِـوَاكَ ذَا وَلَكِـنَّ مُـوسَى كَانَ مَظْهَـرَكَ الْخَـبِي
فَمَـنْ مَـدَّهُ الـرَّحْمَنُ عَـنْ قَلْبِـهِ فَقَـدْ أَتَـاهُ مِـنَ الـرَّحْمَنِ غَايَـةُ مَطْلَـبِي
وَمَـنْ نَـالَ مِـنْ عِيسَـى مِـدَاداً فَإِنَّـهُ يُبْـدِي أَمُـوراً مِـنْ غَرِيـبِ الغَـرَايِبِي
وَمَـنْ مُـدَّ مِـنْ مَـوْلَى الْمَـوَالِي مُحَمَّـدٍ فَقَـدْ حَـازَ ذَا رَأْسَ الْعُـلَى وَالتَّقَـرُّبِي
وَفِي الْـكُلِّ مِـنْ مَحْمُودِنَـا إِنَّمَـا عَـلَا عَلَى قَلْـبِ مَـنْ مُـدَّ الْـوَلِيُّ مِـنَ النَّـبِي
وَيَجْمَـعُ أَقْـدَاماً لَهُـمْ غَوْثُنَـا وَهَـا نُثْبِـتُ لَـكَ الْأَمْـرَ الْعَجِيـب فَـاعْجَبِي
وَلِلْـكُلِّ مِـنْ أَسْـمَائِهِ حِصَّـةٌ وَمَـا يُكْمُـلُ إِلَّا الْغَـوْثُ مَـنْ هُـوَ مَنْصَـبِي
خِلَافَتُـهُ حَـقٌّ وَهُـوَ نَايِـبُ أَحْمَـدٍ عَلَيْـهِ مِـنَ الـرَّحْمَنِ أَطْيَـبُ مَطْلَـبِي
وَكَمْ حَضْـرَتُ الْحَـقِّ لَـيْس بِاحْصَـاهَا وَقَـدْ جِئْـتُ بِـالْحَظِّ الْقَلِيـلِ بِكتيِّـبِي
أُرِيـدُ الْخِزَانَـةَ وَهُـوَ شَيْءٌ نَفِـيسٌ عَظِـيمٌ فَاسْـأَلِ الْإِلَهَ مُصَـاحِبِي
يُتَمِّمْهُ فَهُوَ الْمُعْطِي مِنْ غَـيْرِ مَـا عَـدٍّ وَلِلْـكُلِّ حَضْـرَاتٌ اتَبَـدَّى الْمُنَاسِـبِي
فَمَـنْ أَبْـدَأَ مِـنْ حَضَـرَاتِ جَمْعٍ فَإِنَّـهُ يَقُـولُ مَقَـالاً رُبَّمَـا خَـالَفَ الْغَـبِي
وَمَـنْ حَصَـلْ لِلْجَمْـعِ وَالْفَـرْقِ إِنَّـهُ هُـوَ الْكَامِـلُ الْحَـقُّ الْحَقِيـقُ مُنْجِـبِي
وَمَنْ قَالَ جَمْعُ الْجَمْعِ فَهُـوَ الَّذِي تَـرَى أَشَـارَ إِلَى هَـذَا الْمَقَـامِ الْمُحَجَّـبِي
عَـنِ الْخَلْـقِ بَاطِنُـهُ وَظَـاهِرُهُ لَهُـمْ وَهَـذَا كَمَـالُ الْأَمْـرِ يَـا رَبِّ أَوْهِـبِي

وَمِنْ حَضْرَةِ الرَّحْمَنِ الرَّحْمَاتِ نُزِّلَتْ ... وَكَمْ رَحْمَاتُ الْحَقِّ جَلَّ مُطَيِّبِي

بِرَحْمَتِهِ وَالْعَرْشُ مُسْتَوٍ كَمَالَهُ ... يَعْلَمُوا أَهْلُ الْمَقَامِ الْمُقَرَّبِي

وَوَاصِلْ لِرَحْمٍ فَهْيَ شُحْنَةٌ قَدْ أَتَتْ ... مِنَ الرَّاحِمِ الرَّحْمَنِ جَلَّ مُطَيِّبِي

وَهَا أَبْرَزَ الرَّحْمَنُ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ ... مُحَمَّدُ عُثْمَانُ الْفَتَى بِمَوَاهِبِي

مَعَارِفُ مِنْ عِلْمٍ لَدُنِّي يَا بُنَيِّ ... وَقَدْ شُهِرْنَ بِالْمِيرْغَنِيِّ الْمُحَجَّبِي

وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُوَفَّى مَقَاماً لَهُ فَمَا ... رَمَزُهُ إِمَامُ خَتْمِ أَعْلَى الْوَلَاءِ يَابِي

وَمَوْعُودُ ذَا إِنْ يَأْتِنِي مَا أُبْدِهِ ... وَهُوَ غَوْثٌ فَافْهَمْ رَمْزِي إِنْ تَكُ مُحَبِّبِي

وَأَبِي مُحَمَّدُ بْنِ عَبْدِ الإِلَهَ جَلَّ ... وَتِلْمِيذُ ابْنِ إِدْرِيسَ أَحْمَدَ مَنْ حُبِي

كَمَالًا مِنَ الْمَنَّانِ جَلَّ عَلَا وَذَا ... بِعَامِ ابْتِدَاءِ الْفَتْحِ عِشْرِينَ عُمْرِي بِي

تَبَدَّتْ تُنَبِّهُ ثُمَّ ذَا عَامُ سِتَّةٍ ... وَعِشْرِينَ مَعْ مِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ فَاحْسِبِي

مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ هَا هِيَ سُمِّيَتْ ... قَصِيدَةٍ بِالسِّرِّ الطَّهِيرِ فَاطْنِبِي

وَفِي مَعْرِفَةٍ لِتَرَقَى أَكَابِرَ سَادَةٍ ... إِلَى حَضْرَةِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ فَبِي

تَحَلَّتْ فَلَامَيْنِ قُلْ ثَلَاثَةً يَا فَتَى ... وَيَصْغَ وَصْلُ اللهِ مَا هَزَّ مُطْرِبِي

نُفَيْحَاتُ أُنْسٍ مِنْ حَظِيرَةِ خَالِقِي ... وَمَا لَاحَ نُورُ الْقُدْسِ لِلْمُتَطَيِّبِي

عَلَى مَنْبَعِ الْجُودِ الإِلَهِي وَآلِهِ ... وَتَابِعٍ مَعْ تَابِعٍ لَهُمْ وَمُصَاحِبِي

١٧

الإيضاحات المنهجة
لدفع النفوس المنعوجة
في شرح المبتهجة

تأليف
السيد جعفر بن السيد محمد عثمان الميرغني الختم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصيدة المبتهجة

يَا رَبِّ بِهِمْ وَبِآلِهِمْ ... عَجِّلْ بِالنَّصْرِ وَبِالفَرَجِ

اشْتَدَّ هَوَايَ عَلَى المُهَجِ ... يَا رَبِّ فَعَجِّلْ بِالفَرَجِ

وَتَوَلَّتْ نَفْسِي يَا سَنَدِي ... بَدِّرْ بِخَلَاصِي مِنْ زَهَجِ

وَخَصِيمُ السُّوءِ يُعَالِجُنِي ... لِهَلَاكِي زِحْ عَنِّي وَهَجِي

عَنْ كُلِّ مُبَعِّدْ يَا مَوْلَايَ ... أَبْعِدْنِي وَفِي التَّقْرِيبِ لِجِ

مِنْ لَحْظَةِ ذِي لِمَمَاتِي ... يَا مُعْطِي المَقْصُودِ لِمُنْزَعِجِ

كَمِّلْنِي فِي قَدَمِ المَرْقَى ... وَأَجِبْ لِدُعَائِي زِلْ عِوَجِي

بِجَمَالِ الوَجْهِ سَأَلْتُكَ ذَا ... وَبِسِرِّ جَلَالٍ مُبْتَهِجِ

بِكَمَالِكَ يَا مَوْلَى العُظْمَى ... بِالذَّاتِ وَأَنْوَارٍ عُجَجِ

بِصِفَاتِكَ يَا قُدُّوسُ وَبَالـ ... أَسْمَاءِ وَأَسْرَارِ الدَّرَجِ

بِحَظَائِرِ تَقْدِيسٍ وَمَعَا ... سُبُحَاتِ الوَجْهِ المُبْتَهِجِ

وَبِأَمْلَاكٍ وَبِإِرْسَالٍ ... وَبِأَصْحَابِ النُّورِ السَّبِجِ

وَبِأَهْلِ البَيْتِ جَمِيعِهِمُ ... وَخُصُوصَ الزَّهْرَا وَمُنْدَرِجِ

وَبِنُورِ الكَوْنِ مُنَوِّرِهِ ... مُخْتَارِكَ أَحْمَدِنَا البَهِجِ

وَبِمَا أَوْدَعْتَ بِهِ رَبِّي ... مِنْ عِلْمِكَ مَعْ سِرِّ الفَلَجِ

بِكَمَالِهِ يَا سُبُّوحُ كَذَا ... بِجَلَالِهِ يَا مُهْدِي النَّهَجِ

بِجَمَالِهِ بِالاِسْمِ الأَسْنَى　　وَبِكُلِّ وَلِيٍّ ذِي رَهَجِ
وَبِبَيْتِ الخَلْوَةِ عُمْدَتِنَا　　وَبِعَرْشِ المَجْدِ وَكُلِّ شَجِ
وَبِكُرْسِيٍّ وَبِسِدْرَتِنَا　　وَبِبَيْتِ العِزِّ وَمَنْ يَلِجِ
وَبِكُلِّ كِيَانِكَ يَا مَدَدِي　　يَسِّرْ بِالنَّصْرِ وَبِالدَّرَجِ
وَأَغِبْ لِفُؤَادٍ فِي نُورٍ　　يَحْضُرْهُ بِصَوْمِي مَعْ حِجَجِي
وَكَذَاكَ صَلَاتِي يَا أَمَلِي　　مَعْ كُلِّ مُقَرَّبْ لَا حَرَجِ
وَأَشْهِدْنِي نُورَ جَمَالِكِ فِي　　كِلْتَا الدَّارَيْنِ وَطِبْ أَرَجِي
وَكَذَاكَ حَبِيبُكَ دَوْماً لَا　　يَأْتِينَ حِجَابٌ فِي السُّرُجِ
وَأَنِلْنِي مِنْكَ رِضاً يَنْمُو　　فِي كُلِّ زَمَانٍ مُنْبَلِجِ
وَأَفِدْنِي عِلْماً فِي شَرْعٍ　　وَكَذَاكَ البَاطِنُ زِدْ حُجَجِي
وَقِنِي شَرَّ مُعَادِينِي　　وَكَذَاكَ الظُّلْمُ مَعَ الهَرَجِ
وَاشْغَلْ أَعْدَايَ بِأَنْفُسِهِمْ　　وَابْلِيهِمْ رَبِّي بِالمَرَجِ
وَأَعِنِّي فِي التَّقْوَى وَأَزِحْ　　ظُلَمَ الإِبْعَادِ عَنِ المُهَجِ
وَاتْبِعْ أَوْلَادِي مَعْ صَحْبِي　　لِطَرِيقِ القُرْبِ كَذَا زَوْجِي
وَاشْمَلْ لِلجَمْعِ بِتَمْهِيدٍ　　فِي الرِّزْقِ يَكُونُ مِنَ اللُّجَجِ
وَاخْتِمْ لِي رَبِّ كَذَاكَ لَهُمْ　　بِالحُسْنَى وَحَسِّنْ مُنْعَرِجِي
وَصَلَاةٌ مِنْكَ أَيَا أَحَدُ　　وَسَلَامٌ يَغْشَى ذَا الدَّعَجِ
طَهَ المَحْبُوبُ وَأَصْحَابٌ　　وَكَذَا آلٌ مَا الخَتْمُ نَجِ

بسم الله الرحمن الرحيم

به الإعانة بدءاً وختماً، وصلّى الله على سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسما

الحمدُ للهِ الذي جعل مخ العبادة الدعاء، وجعل التوسل من أحبابه للنيل من جنابه ملء الوعاء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أعظم من تُقضى به الحاجات، وعلى آله وصحبه القادات .

(وبعد): فيقول عبد الغني المقتدر، الراجي إمدادات ربه الحقير جعفر، ابن العارف بالله الأعظم، الدَّال على الله، الطود الأفخم، سيدي الوالد الأكبر، الختم الميرغني، المكي محمد عثمان، كان لي وله مَنُّ المنّان، بالفيض خصاً وعماً، هذا شرح جعلته على منظومته المسماة بـ"المبتهجة"، التي تقرأ في وقت السحر، وبعد إذن سيدي الوالد، وطلب جملة من الإخوان، كان لي ولهم البر، وجعلته كالحل للمتن، فقلت مُستمداً، من المؤلف، والتمست من بحر المنان، مُسمياً لها: (الإيضاحات المنهجة، لدفع النفوس المنعوجة) .

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) بدأ بها اقتداءاً بالقرآن، وتبعاً لقول سيدنا محمد بن عنان، (كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَهُوَ أَشَلَّ) أي قليل ناقص البركة، (اشْتَدَّ) بصورة الماضي تحكّم وتسلّط، (هَوَايَ) أي خواطر نفسي، (عَلَى المُهَجِ) بضم الميم المهملة، جمع مهجة وهو القلب، (يَا رَبِّ) أي يا مالك، (فَعِجِّلْ) أي أدركني سريعاً، بخلاص نفسي، من هذه الآفات، (بِالفَرَجِ) أي بخلاصي، من هذه الحالة .

(وَتَوَلَّتْ) أي تحكمت، (نَفْسِي) وهذه النفس الجنية، الأمارة بالسوء، (يَا سَنَدِي) أي يا رب، لأنه المستند إليه، (بَدِّرْ) أي عجّل، (بِخَلَاصِي) أي خروجي من هذه الحالة، (مِنْ زَهَجِ) من شدة الزعل، وتحكم النفس .

(وَخَصِيمُ السُّوءِ) وهو الشيطان، لعنه اللّٰه، (يُعَالِجُنِي) يراودني ويشاغلني، (لِهَلَاكِي) أي لعداوتي، وطلب هلاكي، كما قال تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)، (زِحْ) أي أذهب، وارفع، (عَنِّي وَهَجِي) بفتح الواو والهاء معاً، أصله لهب النار، ثم استعير ههنا، لتوقية نار النفس، بالمعاصي والمخالفات .

(عَنْ كُلِّ مُبَعِّدْ) أي جميع مبعد عن جنابك الأقدس، وكمالك المقدس، (يَا مَوْلَايَ) أي يا إلهي، (أَبْعِدْنِي) أي أبعدني عنه، (وَفِي التَّقْرِيبِ) أي إلى حضرتك المشرَّفة، (لِجِ) أي أدخلني، وهبني لكل عمل، مقرب لديك .

(مِنْ لَحْظَتِي) أي من ساعتي، (ذِي) أي هذه، (لِمَاتِي) إلى جنب وفاتي، (يَا مُعْطِي) وهو اسم من أسمائه تعالى، يا موهب (المَقْصُودِ) أي المراد، (لِمُنْزَعِجِ) أي لذي الخاطر المشتد، والانزعاج هو حال الشدة.

(كَمِّلْنِي) أي رقني، (فِي قَدَمِ) أي في طريق (المَرْقَى) وهو النبي ﷺ، وهو المرقي لكل نبي وولي، (وَأَجِبْ) أي أقبل، يا معتمدي، (لِدُعَائِي) أي ندائي، (زِلْ) زح، (عِوَجِي) أي اعوجاجي، والعوج عدم الاستقامة.

(بِجَمَالِ الوَجْهِ) أي وجهك العظيم، (سَأَلْتُكَ ذَا) أي طلبت وتوسلت، (وَبِسِرِّ جَلَالٍ) أي بسرّ جلالك الفخيم، (مُبْتَهِجِ) أي مضيء، ومنير والابتهاج الإضاءة.

(بِكَمَالِكَ) المنوّر المشرف يا كريم، والضمائر ما هنا، لله سبحانه وتعالى، (يَا مَوْلَى) يا سند (العُظْمَى) جمع عظيم، يا سيد كل عظيم، (بِالذَّاتِ) أي بذاتك الجميلة، (وَأَنْوَارٍ) وأنوارك المعظمة، (عُجَجِ) أي جد.

(بِصِفَاتِكَ) المليحة الحسنة، سألتك وتوجهت إليك، (يَا قُدُّوسُ) وهو من أسمائه تعالى، ومقام في الولاية، (وَبِالأَسْمَاءِ) الطاهرة الزكية، الهنية المرضية سألتك، (وَأَسْرَارِ الدَّرَجِ) سألتك بالأسرار العظيمة.

(بِحَظَائِرِ تَقْدِيسٍ) أي بحظائر تقديس أسمائك، التي هي أعظم وأشرف القربات، (وَمَعَ) أي كذا، (سُبُحَاتِ الوَجْهِ) أي سبحات وجهك، التي لا يعرف حقيقتها أحد، كما قال عليه الصلاة والسلام: (لَوْ كَشَفَ عَنْ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ؛ لَأَحْرَقَ مَا أَدْرَكَه بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ)، (المُبْتَهِجِ) بمضئ.

(وَبِأَمَلَاكٍ) عظام، (وَ) بجميع (إِرْسَالٍ) فخام، (وَبِـ) جميع (أَصْحَابِ النُّورِ) العظيم، (السَّبِحِ) المظلم .

و(بِـ) كل، (أَهْلِ البَيْتِ) أي بيت النبي ﷺ، (جَمِيعِهِمُ) أي كلهم، (وَخُصُوصَ) أي خصوصاً منهم، (الزَّهْرَاء) التي هي سيدة نساء الدنيا والآخرة، ومعناه أتوسل إليك بجميع الأنبياء والرسل، ما تقدم سابقاً، من التوسل، وأتوسل إليك بأهل البيت، وخصوصاً منهم السيدة فاطمة، أشرف أهل البيت، (وَمُنْدَرِجِ) ومن اندرج في سلكها، وانتسب إليها، وهم ذريتها آل بيت المصطفى، الحبيب عليه الصلاة والسلام .

(وَبِنُورِ الكَوْنِ) العالم كله، علوي وسفلي، (مُنَوِّرِهِ) مضيئه، ومبهجه، (مُخْتَارِكَ) يا الله، وصفوتك، وهو المحبوب ﷺ، (أَحْمَدِنَا) بدل أو عطف بيان لمختارك، (البَهِجِ) ذي النور .

(وَبِمَا أَوْدَعْتَ) أي الذي أودعت، أي وصفته به ﷺ، والضمائر من هنا، للرسول عليه الصلاة والسلام، (بِهِ رَبِّي) أي يا رب، منادى محذوف منه حرف النداء، (مِنْ عِلْمِكَ) يا الله المكنون، وسرّك المصون المخزون، (مَعْ سِرِّ) أي محبة، (الفَلَجِ) وكان ﷺ أفلج الأسنان، فتوسل بالعلوم، التي أودعها فيه، مع فلجته .

(بِكَمَالِهِ) ﷺ النفيس، (يَا سُبُّوحُ) هو من أسمائه تعالى، (كَذَا بِجَلَالِهِ) العظيم، (يَا مُهْدِي) إلى الطريق، (النَّهَجِ) إلى الطريق المستقيم .

(بِجَمَالِهِ) الفخيم العالي، (بِـ)عظمة (الإِسْمِ) الكريم، (الأَسْنَى) العالي النور الجالي، (وَبِكُلِّ وَلِيٍّ) أي جميع أوليائك، (ذِي) أي صاحب، (رَهَجٍ) أي نور، أصل الرهج هو: المتلألئ من بعيد، ثم استعير هنا لمعنى النورانية، والأسرار البرهانية، وسألتك يا باسط .

(بِـ) نور، (بِبَيْتِ الخَلْوَةِ) وهو مقام مفرد يختص به ﷺ، لا يصل إليه وليّ ولا نبيّ، ولا ملك مقرّب، (عُمْدَتِنَا) أي معتمدنا، ومقصودنا الذي هو ذو القدر الشريف، والمقام العالي المنيف، (وَبِعَرْشِ المَجْدِ) وهو الفلك العاشر، (وَكُلِّ شَجٍ) محب إلى جنابك، مرغب إلى رحابك، وسألتك يا سميع.

(بِكُرْسِيٍّ) وهو فوق الفلك الأطلس، والفلك الأطلس الثامن، والكرسي التاسع، وكذا (بِسِدْرَتِنَا) أي سدرة العباد، التي تنتهي أعمار وأعمال العباد إليها، وسألتك يا مانح (بِبَيْتِ العِزِّ) العزيز، الذي هو للكمالات حائز، وهو البيت المعمور، وفي الحديث: (يَدْخُلُه كُلَّ يَوْمٍ، سَبْعُونَ أَلْف مَلَكٍ، وَلاَ يَعُودُونَ)، بل كل يوم يدخله آخرون، كما ورد: (أَنَّ جِبَرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، يَنْغَمِس كُلَّ يَوْم فِي بَحْرِ الحَيَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ يَنْتَفِض، وَيَأْتِي بِكُلِّ نُقْطَةٍ مَلَكٌ، ثُمَّ تَدْخُل تِلْكَ المَلاَئِكَة فِيهِ)، (وَ) كذا، (مَنْ) أي ملك، (يَلِجِ) يدخل فيه هؤلاء المذكرون .

(وَبِكُلِّ كِيَانِكَ) أي عوالمك العلوية والسفلية معاً، (يَا مَدَدِي) أي مُمدني، (يَسِّرْ) أي سهّل، (بِالنَّصْرِ) على الأعداء، (وَبِالدَّرَجِ) أي الترقي لأعلى الدرجات، لنيل الإمدادات، وكمال الفيوضات .

(وَأَغِبْ) أي غيّب (لِفُؤَادِي) الذي هو قلبي، (فِي) محض، (نُورٍ يَحْضُرُهُ) المضمر للفؤاد، (بِصَوْمِي) أي صيامي، (مَعْ حِجَجِي)بكسر الحاء، جمع حجة .

(وَكَذَاكَ صَلَاتِي) سواء كانت فريضة، أو نافلة، (يَا أَمَلِي) أي رجائي، (مَعْ كُلِّ مُقَرَّبْ) حضر على كل مقرب إليك، من ذكر، وتلاوة قرآن، وغيرهما، (لَا حَرَجِ) أي لا تعقبه غفلة، ولا حجاب .

(وَأَشْهِدْنِي) أي أرني، (نُورَ) عظيم، (جَمَالِكِ فِي كِلْتَا) مقصود المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالتثنية، (الدَّارَيْنِ) أي دار الدنيا ودار الآخرة، (وَطِبْ) أي زيّن وطيّب، وحسّن مولاي، (أَرَجِي) أي حالي .

(وَ) كذاك، (حَبِيبُكَ) أي مصطفاك، أشهدني جماله، (دَوْماً) أي دواماً، (لَا يَأْتِينَ) أي يصحبني، (حِجَابٌ فِي السُّرُجِ) بضم السين، وهي الأنوار المضيئة المنيرة .

(وَأَنِلْنِي) أعطني، (مِنْكَ) يا رب، (رِضاً) لا ينفك، (يَنْمُو) أي يزيد، (فِي كُلِّ زَمَانٍ مُنْبَلِجِ) أي مبتهج .

(وَأَفِدْنِي) أي علّمني، (عِلْماً) نافعاً، (فِي شَرْعٍ) أي شرع المصطفى، عليه الصلاة والسلام، (وَكَذَاكَ) اجعلني إماماً في علم، (البَاطِنُ زِدْ) أكثر، (حُجَجِي) بضم الحاء، جمع حُجة، أي قوّني وولّني، على نفسي وعزّني .

(وَقِنِي) أي اكفني، (شَرَّ مُعَادِينِي) ادفع عني شرّه، فإنك الكافي، (وَكَذَاكَ الظُّلْمُ) أي بغير حق كاذبة وبطش، وغير ذلك، (مَعَ الهَرَجِ) أي الفتن، كذلك اكفينها .

(وَاشْغَلْ) يا إلهي، (أَعْدَايَ) أي كل من عادني، (بِأَنْفُسِهِمْ) أي أشغلهم بها عني، (وَابْلِيهِمْ) أي ابتليهم، (رَبِّي) يا ربي وخالقي، (بِالمَرَجِ) بفتح الميم، كالحرج، أي أبلهم بالفتنة والتعب، والمحنة والإحنة، بجاه نبيك المؤتمن .

(وَأَعْنِّي) أي أعني بعونك، يا معيني، (بِالتَّقْوَى) لاتباع أوامرك، واجتناب نواهيك، (وَأَزِحْ) أي أزل، (ظُلَمَ الإِبْعَادِ) أي كل شيء مبعد، من حضرتك المكرمة، (عَنِ المُهَجِ) عن القلوب .

(وَاتْبِعْ) في جمع، (أَوْلَادِي) سواء ذكوراً أو إناثاً، (مَعْ صَحْبِي) أي كل من صحبني، واتبع طريقتي، وسلك على نهجي، ودخل في سلكي، (لِطَرِيقِ) أي سبيل، (القُرْبِ) أي المقرب إلى الله، (كَذَا زَوْجِي) من أحرار وسريات .

(وَاشْمَلْ) أي عمّم، (لِلجَمْعِ) هؤلاء المذكورين، (بِتَمْهِيدِ) وسعة وراحة (فِي الرِّزْقِ) منك يا مجيب، (يَكُونُ مِنَ) عظيم، (اللُّجَجِ) أي اللجة في الأنوار .

(وَاخْتِمْ لِي رَبِّ) وسيدي، بهذا المقام الشريف العظيم، الذي هو أعلى الدرجات، (كَذَاكَ لَهُمْ) كذلك المذكورين سابقاً، من أبناء وأزواج وأصحاب، وغيرهم من المحبين الداخلين، في سلك المنبهين بالصدق،

(بِالحُسْنَى) أي بحسن الخاتمة، والإيمان الكامل، الذي يكون للجمع شاملاً، (وَحَسِّنْ) أي زيّن، (مُنْعَرِجِي) منقلبي إليك .

(وَصَلَاةٌ مِنْكَ أَيَا أَحَدُ) تامة عظيمة، تغشى سيد الكونين، وممد العالمين، إلى العرش والفرش، (وَسَلَامٌ) أي سلام تام، (يَغْشَى) كما ذكرنا، (ذَا) صاحب (الدَّعَجِ) أي ذا عينين مكحولتين، متوج مدعجتين، وهو ﷺ عيناه مكتحلتان، بنور الله، لا مثيل لهذا الحبيب .

(طَهَ) ﷺ، (المَحْبُوبُ) المطلوب المرغوب، (وَأَصْحَابٌ) أي جميع أصحابه، وهو من تواجد به ﷺ، (وَكَذَا) آل بيت المصطفى ﷺ ، (مَا) مصدرية ظرفية، بمعنى مدة، أي مدة دوام، (الخَتْمُ) وهو مؤلف هذا الكتاب، رضي الله عنه، شُهِر بالختم، (نَجِ) من جميع الآفات، والبلايا والعوج .

وأختم الكتاب، بما ورد عن عالي الجناب، بسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوّة، إلا بالله العليّ العظيم، سُبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب أليك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

تم بعون الله، وحسن وتوفيقه، وصلّى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه، وتابعيه إلى يوم الدين، وأختم لنا، ولإخواننا المسلمين أجمعين، بخير آمين يا رب العالمين .

فهرس كتاب الرسائل الميرغنية